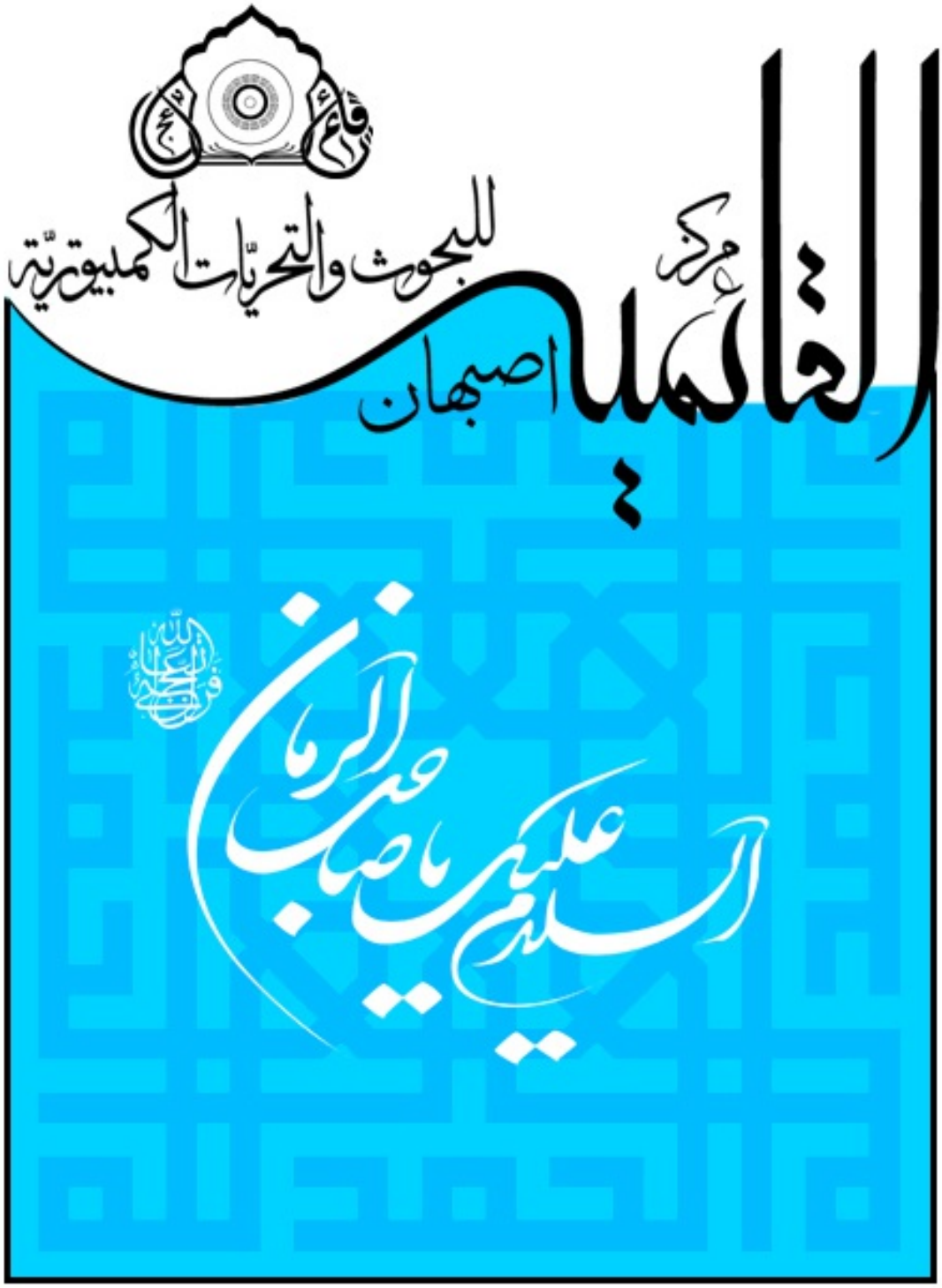

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

النجوم الزاهرة

في ملوك مصر والقاهرة

تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف تغري بردي الأتابكي

٨١٣ - ٨٧٤ هـ

جلد ٩

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب

مع استدراكات وفهارس تحليلية

بسم الله الرحمن الرحيم

النجوم الزاهره فی ملوک مصر والقاهره

کاتب:

جمال‌الدین ابی‌المحاسن یوسف‌بن تغری بردی الاتابکی

نشرت فی الطباعة:

وزاره الثقافه والارشادالقومی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة المجلد ۹ ----- ۷
اشارة ----- ۷
تقدیم ----- ۷
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۱۰] ----- ۸
ذکر عود الملک الناصر محمد بن قلاوون إلی ملک مصر ثالث مرّة ----- ۸
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۱۱] ----- ۷۲
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۱۲] ----- ۷۵
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۱۳] ----- ۷۵
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۱۵] ----- ۷۷
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۱۶] ----- ۷۸
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۱۷] ----- ۸۱
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۱۸] ----- ۸۲
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۱۹] ----- ۸۳
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۲۰] ----- ۸۴
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۲۱] ----- ۸۶
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۲۲] ----- ۸۷
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۲۳] ----- ۸۸
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۲۴] ----- ۸۹
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۲۵] ----- ۹۰
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۲۶] ----- ۹۱
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۲۷] ----- ۹۲
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۲۸] ----- ۹۳

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۲۹] ۹۵
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۳۰] ۹۷
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۳۱] ۹۹
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۳۲] ۱۰۱
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۳۳] ۱۰۴
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۳۴] ۱۰۵
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۳۵] ۱۰۶
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۳۶] ۱۰۷
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۳۷] ۱۰۸
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۳۸] ۱۰۹
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۳۹] ۱۱۱
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۴۰] ۱۱۳
[ما وقع من الحوادث سنة ۷۴۱] ۱۱۴
استدراکات ۱۱۶
اشارة ۱۱۶
باب سعادة ۱۱۶
حوض ابن هنس ۱۱۶
مسجد الأمیر بکتوت الخازندار ۱۱۷
دار الأمیر آقوش الموصلی ۱۱۷
مدارس و جوامع أخری ۱۱۷
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ۱۱۸

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة المجلد ۹

اشارة

سرشناسه : ابن تغری بردی، یوسف بن تغری بردی، ۸۱۳-۸۷۴ق.

عنوان و نام پدیدآور : النجوم الزاهره فی ملوک مصر والقاهره/ تالیف جمال‌الدین ابی‌المحاسن یوسف‌بن تغری بردی الاتابکی.

وضعیت ویراست : [ویراست ؟].

مشخصات نشر : قاهره: وزاره الثقافه والارشادالقومی، الموسسه المصریه العامه، ۱۳۴۲.

سال چاپ: ۱۳۹۲ ه. ق

نوبت چاپ: اول

موضوع: شرح حال

زبان: عربی

تعداد جلد: ۱۶

مشخصات ظاهری : ۱۶ج. (درسه مجلد).

یادداشت : عربی.

یادداشت : جلد سیزدهم تاجلد شانزدهم توسط فهیم محمد شلتوت، جمال‌الدین شیال و ابراهیم علی طرخان تصحیح‌شده توسط الهیئه‌المصریه‌العامه للتالیف و النشر منتشر گردیده است.

یادداشت : ج.۱، ۲، ۳، ۴، ۷ ، ۸ ، ۱۱ و ۱۲ (چاپ ؟: ۱۳).

یادداشت : ج. ۱۵ (چاپ؟: ۱۳۹۱ق. = ۱۹۷۱م. = ۱۳۵۰).

یادداشت : ج.۱۶ (چاپ؟ = ۱۳۹۲ق. = ۱۹۷۲م. = ۱۳۵۱).

یادداشت : بالای عنوان: تراثنا.

یادداشت : کتابنامه.

عنوان دیگر : تراثنا.

موضوع : مصر -- شاهان و فرمانروایان

موضوع : مصر -- تاریخ -- ۱۹ - ۸۹۷ق.-- سالشمار.

شناسه افزوده : شلتوت، فهیم محمد، مصحح

شناسه افزوده : شیال، جمال‌الدین، مصحح

شناسه افزوده : طرخان، ابراهیم علی، مصحح

رده بندی کنگره : DT۹۵/الف۲ن۳ ۱۳۴۲

رده بندی دیویی : ۹۶۲/۰۲

شماره کتابشناسی ملی : م۷۵-۵۵۴۷

تقدیم

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم و صلّی اللّه علی سیّدنا محمد و آله و صحابته و المسلمین الجزء التاسع من کتاب النجوم الزاهرة فی ملوک

مصر و القاهرة

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۱۰]

ذكر عود الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى ملك مصر ثالث مرّة

و قد تقدّم ذكر نزوله عن الملك و توجّهه إلى الكرك و خلع نفسه و ما وقع له بالكرك من مجيء نوغاى و رفقته، و مكاتباته إلى نوّاب الشام و خروجه من الكرك إلى الشام، طالبا ملك مصر إلى أن دخل إلى دمشق؛ كلّ ذلك ذكرناه مفصّلا فى ترجمة الملك المظفر بيبرس الجاشنكير. و نسوق الآن ذكر دخوله إلى مصر فنقول:

لمّا كانت الثانية من نهار الثلاثاء السادس عشر من شهر رمضان سنة تسع و سبعمائة، و هى الساعة التى خلع الملك المظفر بيبرس نفسه فيها من ملك مصر بديار مصر، خرج الملك الناصر محمد بن قلاوون من دمشق يريد الديار المصرية، فانظر إلى هذا الاتّفاق العجيب، و إقبال سعد الناصر و إدبار سعد المظفّر! و سار الملك الناصر يريد الديار المصريّة و صحبته نوّاب البلاد الشاميّة بتمامهم و كمالهم و العساكر الشامية و خواصّه و مماليكه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۴

و أمّا أمر الديار المصرية فإنّ الملك المظفّر بيبرس لمّا خلع نفسه و خرج من مصر إلى الإطفيحيّة جلس الأمير سلّار بقاعة النيابة من قلعة الجبل و جمع من بقى من الأمراء و اهتم بحفظ القلعة، و أخرج المحابيس الذين كانوا فيها من حواشى الملك الناصر محمد و غيرهم، و ركب و نادى فى الناس: ادعوا لسلطانكم الملك الناصر، و كتب إلى الملك الناصر بنزول المظفّر عن الملك و فراره إلى إطفيح، و سيّر بذلك أصلم الدّوادار و معه النّمجاه، و كان قد توجّه قبل ذلك من القاهرة الأمير بيبرس المنصوريّ الدّوادار، و الأمير بهادر آص فى رسالة المظفّر بيبرس أنّه قد ترك السلطنة و أنّه سأل: إمّا الكرك و إمّا حماة و إما صهيون، و اتّفق يوم وصولهما إلى غزّة قدوم الملك الناصر أيضا إليها، و قدوم الأمير سيف الدين شاطى السّلاح دار فى طائفة من الأمراء المصريّين إليها أيضا. ثم قدمت العربان و قدم الأمير مهنّا بجماعة كثيرة من آل فضل، فركب السلطان إلى لقائه. ثم قدم الأمير برلغى الأشرفى مقدّم عساكر المظفّر بيبرس و زوج ابنته، و الأمير آقوش الأشرفىّ نائب الكرك، فسرّ الملك الناصر بقدومهما، فإنّهما كانا عضدى المظفّر. قال الأمير بيبرس الدّوادار المقدّم ذكره فى تاريخه- رحمه اللّه-:

«و أمّا نحن فإنّا تقدّمنا على البريد فوصلنا إلى السلطان يوم نزوله على غزّة فمثلنا بين يديه و أعدنا المشافهة عليه، و طالعناه بنزول الرّكن عن السلطنة و التماسه مكانا من بعض الأمكنة، فاستبشر لحقن دماء المسلمين و خمود الفتنة، و اتّفق فى ذلك النهار ورود الأمير سيف الدين برلغى و الأمير عزّ الدين البغدادىّ و من معهما من الأمراء

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۵

و المقدّمين، و اجتمعنا جميعا بالدّهليز المنصور، و قد شملنا الابتهاج، و زال عنّا الازعاج، و أفاض السلطان على الأمراء التشاريف الجليلة على طبقاتهم، و الحوائص الذهب الثمينة لصلاتهم، فلم يترك أميرا إلّا وصله، و لا مقدّما حتى شرّفه بالخلع و جمّله، و جدّدنا استعطاف السلطان، فيما سأله الركن من الأمان، و كلّ من الأمراء لحاضرين بين يديه يتلطّف فى سؤاله، و يتضرّع فى مقاله؛ حتّى أجاب، و عدنا بالجواب. و رحل السلطان على الأثر قاصدا الديار المصرية؛ فوصلنا إلى القلعة يوم الخميس الخامس و العشرين من شهر رمضان، و اجتمعنا بالأمير سيف الدين سلّار و وجدنا الجاشنكير قد تجاوز موضع الميعاد، و أخذ فى الإصعاد، و حمله الإجفال على الإبعاد، و لم يدعه الرّعب يستقرّ به قرار، و لا تلقّته معه أرض و لا دار؛ فاقتضى الحال أن أرسلنا إليه الكتب الشريفة الواردة على أيدينا، وعدت أنا و سيف الدين بهادر آص إلى الخدمة السلطانية، فوجدنا الدّهليز على منزلة السعيدية». انتهى كلام بيبرس الدوادار

باختصار.

قلت: و لمّا تكاملت العساكر بغزّة سار الملك الناصر يريد الديار المصريّة، فوافاه أصلم دوادار سلّار بالنّمچاه، ثم وصل رسلان الدّوادار فسّر السلطان بنزوله.

و سار حتى نزل بركة الحجّاج فى سلخ شهر رمضان، و قد جهّز إليه الأمير سلّار الطلب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۶

السلطانى و الأمراء و العساكر، ثم خرج الأمير سلّار إلى لقائه، و صلّى السلطان صلاة العيد بالدّهليز ببركة الحاج فى يوم الأربعاء مستهلّ شوّال، و خرج الناس إلى لقاء السلطان الملك الناصر. و أنشد الشعراء مدائحهم بين يديه؛ فمن ذلك ما أنشده الشيخ شمس الدين محمد بن على بن موسى الداعى أبياتا منها:

الملك عاد إلى حماه كما بدا و محمد بالنصر سرّ محمدا

و إيابه كالسيف عاد لغمده و معاده كالورد عاوده النّدى

الحقّ مرتجع إلى أربابه من كفّ غاصبه و إن طال المدى

و منها:

يا وارث الملك العقيم تهنّه و اعلم بأنك لم تسد فيه سدى

عن خير أسلاف ورثت سريره فوجدت منصبه السّرىّ ممهّدا

يا ناصرا من خير منصور أتى كمهنّد خلف الغداة مهنّدا

آنست ملكا كان قبلك موحشا و جمعت شملا كان منه مبدّدا

و منها:

فالناس أجمع قد رضوك مليكهم و تضرّعوا ألا تزال مخلّدا

و تباركوا بسناء غرّتك التى وجدوا على أنوار بهجتها هدى

اللّه أعطاك الذى لم يعطه ملكا سواك برغم آناف العدا

لا زلت منصور اللّواء مؤيّد ال عزمات ما هتف الحمام و غرّدا

ثم قدّم الأمير سلّار سماطا جليلا- بلغت النفقة عليه اثنى عشر ألف درهم؛ و جلس عليه السلطان و الأمراء و الأكابر و العساكر، فلما انقضى عزم السلطان على المبيت هناك و الركوب بكرة النهار يوم الخميس، فبلغه أن الأمير برلغى و الأمير آقوش نائب الكرك قد اتّفقا مع البرجية على الهجوم عليه و قتله، فبعث السلطان إلى الأمراء

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۷

عرّفهم بما بلغه و أمرهم بالركوب، فركبوا و ركبت المماليك و دقت الكوسات و سار وقت الظهر من يوم الأربعاء، و قد احتفّت به مماليكه كى لا- يصل إليه أحد من الأمراء حتى وصل إلى القلعة، و خرج الناس بأجمعهم إلى مشاهدته. فلما وصل بين العروستين ترجّل سلّار عن فرسه، و ترجّل سائر الأمراء و مشوا بين يديه إلى باب السّرّ من القلعة، و قد وقف جماعة من الأمراء بمماليكهم و عليهم السّلاح، حتى عبر السلطان إلى القلعة، ثم أمر السلطان الأمراء بالانصراف إلى منازلهم، و عيّن جماعة من الأمراء الذين يثق بهم أن يستمرّوا على ظهور خيولهم حول القلعة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۸

طول الليل فباتوا على ذلك، و أصبحوا من الغد وفد جلس السلطان الملك الناصر على كرسىّ الملك و هو يوم الخميس ثانى شوّال. و حضر الخليفة أبو الربيع سلمان و القضاة و الأمراء و سائر أهل الدولة للهناء، فقرأ الشيخ شمس الدين محمد بن علىّ ابن موسى

الداعى: «قل اللّهمّ مالك الملك تؤتى الملك من تشاء» الآية. و أنشد بعض الشعراء هذه الأبيات:

تهنّأت الدنيا بمقدمه الذى أضاءت له الآفاق شرقا و مغربا

و أمّا سرير الملك فاهتز رفعة ليبلغ فى التشريف قصدا و مطلبا

و تاق إلى أن يعلو الملك فوقه كما قد حوى من قبله الأخ و الأبا

و كان ذلك بحضرة الأمراء و النوّاب و العساكر، ثم حلّف السلطان الجميع على طبقاتهم و مراتبهم الكبير منهم و الصغير.

و لمّا تقدّم الخليفة ليسلّم على السلطان نظر إليه و قال له: كيف تحضر و تسلّم على خارجىّ؟ هل كنت أنا خارجيّا؟ و بيبرس من سلالة بنى العباس؟ فتغيّر وجه الخليفة و لم ينطق.

قلت: و الخليفة هذا، كان الملك الناصر هو الذى ولّاه الخلافة بعد موت أبيه الحاكم بأمر اللّه.

ثم التفت السلطان إلى القاضى علاء الدين علىّ بن عبد الظاهر الموقّع و كان هو الذى كتب عهد المظفّر بيبرس عن الخليفة، و قال له: يا أسود الوجه، فقال ابن عبد الظاهر من غير توقّف: يا خوند، أبلق خير من أسود. فقال السلطان:

ويلك! حتّى لا تترك رنكه أيضا، يعنى أنّ ابن عبد الظاهر كان ممّن ينتمى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۹

إلى سلّار، و كان رنك سلّار أبيض و أسود. ثم التفت السلطان إلى قاضى القضاة بدر الدين [محمد] بن جماعة و قال له: يا قاضى، كنت تفتى المسلمين بقتالى؟ فقال: معاذ اللّه! أن تكون الفتوى كذلك، و إنّما الفتوى على مقتضى كلام المستفتى. ثم حضر الشيخ صدر الدين محمد بن عمر [بن مكّى بن عبد الصمد الشهيربا] ن المرحّل و قبّل يد السلطان، فقال له السلطان: كنت تقول فى قصيدتك:

ما للصبىّ و ما للملك يكفله

فخلف ابن المرحّل بالله ما قال هذا، و إنّما الأعداء أرادوا إتلافى فزادوا فى قصيدتى هذا البيت، و العفو من شيم الملوك فعفا عنه. و كان ابن المرحّل قد مدح المظفّر بيبرس بقصيدة عرّض فيها بذكر الملك الناصر محمد، من جملتها:

ما للصّبىّ و ما للملك يكفله شأن الصبىّ بغير الملك مألوف

ثم استأذن شمس الدين محمد بن عدلان للدخول على السلطان، فقال السلطان للدّوادار، قل له: أنت أفتيت أنّه خارجىّ و قتاله جائز، مالك عنده دخول، و لكن عرّفه هو و أبن المرحّل يكفيهما ما قال الشّارمساحىّ فى حقّهما، و كان من خبر ذلك أن الأديب شهاب الدين أحمد بن عبد الدائم الشّارمساحىّ الماجن مدح السلطان الملك الناصر بقصيدة يهجو فيها المظفّر بيبرس و يعرّض لصحبته ابن المرحّل و ابن عدلان، منها:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۰

ولّى المظفّر لمّا فاته الظّفر و ناصر الحقّ وافى و هو منتصر

و قد طوى اللّه من بين الورى فتنا كادت على عصبة الإسلام تنتشر

فقل لبيبرس إنّ الدهر ألبسه أثواب عارية فى طولها قصر

لمّا تولّى تولّى الخير عن أمم لم يحمدوا أمرهم فيها و لا شكروا

و كيف تمشى به الأحوال فى زمن لا النّيل وافى و لا وافاهم مطر

و من يقوم ابن عدلان بنصرته و ابن المرحّل قل لى كيف ينتصر

و كان المطر لم يقع فى تلك السنة بأرض مصر و قصّر النيل، و شرقت البلاد و ارتفع السعر. و اتّفق أيضا يوم جلوس السلطان الملك الناصر أنّ الأمراء لمّا اجتمعوا قبل خروج السلطان إليهم بالإيوان، أشار الأفرم نائب الشام لمنشد يقال له مسعود أحضره معه من دمشق،

فقام مسعود و أنشد أبياتا لبعض عوام القاهرة، قالها عند توجّه الملك الناصر من الديار المصرية إلى الكرك: منها:

أحبّة قلبى إنّنى لوحيد أريد لقاكم و المزار بعيد

كفى حزنا أنّى مقيم ببلدة و من شفّ قلبى بالفراق فريد

أجول بطرفى فى الديار فلا أرى وجوه أحبّائى الذين أريد

فتواجد الأفرم و بكى و حسر عن رأسه [و وضع] الكلفتاة على الأرض، فأنكر الأمراء ذلك، و تناول الأمير قراسنقر الكلفتاة و وضعها بيده على رأس الأفرم، ثم خرج السلطان فقام الجميع، و صرخ الجاويشية فقبّل الأمراء الأرض و جرى ما ذكرناه، و انقضت الخدمة، و دخل السلطان إلى الحريم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۱

ثم بعد الخدمة قدّم الأمير سلّار النائب عدّة من المماليك و الخيول و الجمال و تعابى القماش ما قيمته مائتا ألف درهم، فقبل السلطان شيئا و ردّ الباقى. و سأل سلّار الإعفاء من الإمرة و النيابة و أن ينعم عليه بالشّوبك فأجيب إلى ذلك، بعد أن حلف أنّه متى طلب حضر، و خلع السلطان عليه، و خرج سلّار من مصر عصر يوم الجمعة ثالث شوّال مسافرا إلى الشّوبك، فكانت مدّة نيابة سلّار على مصر إحدى عشرة سنة، و كانت الخلعة التى خلعها السلطان عليه بالعزل عن النيابة أعظم من خلعة الولاية؛ و أعطاه حياصة من الذهب مرصّعة، و توجّه معه الأمير نظام الدين آدم مسفّرا له، و استمرّ أمير علىّ بن سلّار بالقاهرة، و أعطاه السلطان إمرة عشرة بمصر. ثم فى خامس شوّال قدم رسول المظفّر بيبرس يطلب الأمان فأمّنه السلطان.

و فيه خلع السلطان على الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورىّ باستقراره فى نيابة دمشق، عوضا عن الأمير آقوش الأفرم بحكم عزله. و خلع على الأمير سيف الدين قبجق المنصورىّ بنيابة حلب عوضا عن قراسنقر. و خلع على أسندمر كرجى بنيابة حماة عوضا عن قبجق، و خلع على الحاج بهادر الحلبىّ بنيابة طرابلس عوضا عن أسندمر كرجى. و خلع على قطلوبك المنصورىّ بنيابة صفد عوضا عن بكتمر الجوكندار. و استقرّ [سنقر] الكمالىّ حاجب الحجّاب بديار مصر على عادته، و قراجين أمير مجلس على عادته. و بيبرس الدوادار على عادته، و أضيف إليه نيابة دار العدل و نظر الأحباس. و خلع على الأمير جمال الدين آقوش الأفرم نائب الشام كان بنيابة صرخد على خبز مائة فارس. و أنعم السلطان على نوغاى القبچاقىّ بإقطاع الأمير قطلوبك المنصورىّ، و هو إمرة مائة و تقدمة ألف بدمشق. و نوغاى هذا هو صاحب الواقعة مع المظفّر و الخارج من مصر إلى الكرك. انتهى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۲

ثم رسم السلطان لشهاب الدين بن عبادة بتجهيز الخلع و التشاريف لسائر أمراء الشام و مصر فجهّزت، و خلع عليهم كلّهم فى يوم الاثنين سادس شوّال، و ركبوا بالخلع و التشاريف فكان لركوبهم يوم عظيم. و فى يوم الأحد ثانى عشر شوّال استقرّ فخر الدين عمر بن الخليلىّ فى الوزارة عوضا عن ضياء الدين النشائىّ. ثم رسم السلطان للنوّاب بالسفر، فأوّل من سافر منهم الأمير قبجق نائب حلب، و خرجت معه تجريدة من العساكر المصريّة خوفا من طارق يطرق البلاد. و الذى تجرّد مع قبجق من أمراء مصرهم: الأمير جبا أخو سلّار، و طرنطاى البغدادىّ، و علاء الدين أيدغدى، و [سيف الدين] بهادر الحموىّ، و [سيف الدين] بلبان الدّمشقىّ، و سابق الدين بوزنا الساقى، و ركن الدين بيبرس الشجاعىّ، و [سيف الدين] كورى السلاح دار، و [علاء الدين] آقطوان الأشرفىّ، و [سيف الدين] بهادر الجوكندار، و [سيف الدين] بلبان الشمسىّ، و [علاء الدين] أيدغدى الزّرّاق، و [سيف الدين] كهرداش الزّرّاق، و [سيف الدين] بكتمر أستادار، و [عز الدين] أيدمر الإسماعيلىّ، و [فارس الدين] أقطاى الجمدار، و جماعة من أمراء العشرات. فلمّا وصلوا إلى حلب رسم بإقامة جماعة منهم بالبلاد الشاميّة، عدّتهم ستة من أمراء الطبلخاناه، و عادت البقيّة.

و فى يوم الخميس سادس عشر شوّال حضر الأمراء للخدمة على العادة، و قد قرّر السلطان مع مماليكه القبض على عدّة من الأمراء، و أنّ كل عشرة يقبضون أميرا ممّن عينهم، بحيث يكون العشرة عند دخول الأمير محتفّة به، فإذا رفع السّماط و استدعى السلطان أمير

جاندار قبض كلّ جماعة على من عيّن لهم، فلمّا حضر الأمراء

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۳

فى الخدمة أحاط بهم المماليك ففهموا القصد و جلسوا على السّماط، فلم يتناول أحد منهم لقمة، و عند ما نهضوا أشار السلطان إلى أمير جاندار فتقدّم إليه و قبض المماليك على الأمراء المعيّنين، و عدّتهم اثنان و عشرون أميرا فلم يتحرّك أحد منهم، فبهت الجميع و لم يفلت منهم سوى جركتمر بن بهادر رأس نوبة، فإنّه لما فهم القصد وضع يده على أنفه كأنّه رعف و خرج من غير أن يشعر به أحد؛ و اختفى عند الأمير قراسنقر، و كان زوج أخته فشفع قرا سنقر فقبل السلطان شفاعته.

و كان الأمراء المقبوض عليهم: الأمير باكير و أيبك البغداديّ و قينغار التّقويّ و قجماس و صاروجا و بيبرس، و بيدمر و تينوا، و منكوبرس، و إشقتمر، و السّيواسيّ و [سنقر] الكماليّ الحاجب، و الحاجّ بيليك [المظّفريّ]، و الغتمى، و إكبار، و حسن الرّدادىّ، و بلاط و تمربغا، و قيران، و نوغاى الحمويّ و هو غير نوغاى القبجاقيّ صاحب الواقعة، و جماعة أخر تتمّة الاثنين و عشرين أميرا. و فى ثالث عشرين شوّال استقرّ الأمير [سيف الدين] بكتمر الجوكندار المنصوريّ فى نيابة السلطنة بديار مصر عوضا عن سلّار. و فيه أمّر السلطان اثنين و ثلاثين أميرا من مماليكه، منهم: تنكز الحسامىّ الذى ولى نيابة الشام بعد ذلك، و طغاى، و كستاى، و قجليس، و خاصّ ترك،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۴

و طط قرا، و أقتمر، و أيدمر الشّيخىّ، و أيدمر الساقى، و بيبرس أمير آخور، و طاجار [الماردينى الناصرى] و خضر بن نوكاى، و بهادر قبجق، و الحاج أرقطاى، و أخوه [سيف الدين] أيتمش المحمّدى، و أرغون الدّوادار الذى صار بعد ذلك نائب السلطنة بمصر، و سنقر المرزوقى، و بلبان الجاشنكير، و أسنبغا [بن عبد اللّه المحمودىّ الأمير سيف الدين]، و بيبغا المكّىّ، و أمير علىّ بن قطلوبك، و نوروز أخو جنكلى، و ألجاى الحسامى، و طيبغا حاجّى، و مغلطاى العزّىّ صهر نوغاى، و قرمشى الزينى، و بكتمر قبجق، و تينوا الصالحىّ، و مغلطاى البهائى، و سنقر السّلاح دار، و منكلى بغا، و ركبوا الجميع بالخلع و الشرابيش من المنصوريّة ببين القصرين و شقّوا القاهرة، و قد أوقدت الحوانيت كلّها إلى الرّميلة و صفّت المغانى و أرباب الملاهى فى عدّة أماكن، و نثرت عليهم الدراهم فكان يوما مشهودا. و كان المذكورون منهم أمراء طبلخاناه و عشراوات. و فيه قبض السلطان على برلغى الأشرفى و جماعة أخر. ثمّ بعد أيام أيضا قبض السلطان على الأمير عزّ الدين أيدمر الخطيرىّ الأستادار، و الأمير [بدر الدين] بكتوت الفتاح أمير جاندار بعد ما حضرا من عند الملك المظفّر بيبرس؛ و خلع عليهما، و ذلك بعد الفتك بالمظفّر بيبرس حسب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۵

ما ذكرناه فى ترجمة المظفّر بيبرس، و سكتنا عنه هنا لطول قصّته، و لقصر مدّة حكايته، فإنّه بالأمس ذكر فليس لتكراره محلّ، و من أراد ذلك فلينظر فى ترجمة المظفّر بيبرس. انتهى. و فيه سفّر الأمراء المقبوض عليهم إلى حبس الإسكندريّة، و كتب بالإفراج عن المعتقلين بها، و هم: آقوش المنصوريّ قاتل الشجاعىّ، و الشيخ على التّتارىّ، و منكلى التّتارى، و شاورشى [قنقر] و هو الذى كان أثار فتنة الشجاعىّ، و كتبغا، و غازى و موسى أخوا حمدان بن صلغاى، فلمّا حضروا خلع عليهم و أنعم عليهم بإمريات فى الشام. ثم أحضر شيخ الإسلام تقىّ الدين أحمد ابن تيميّة من سجن الإسكندرية و بالغ فى إكرامه، و كان حبسه المظفّر لأمر وقع بينه و بين علماء دمشق ذكرناه فى غير هذا الكتاب، و هو بسبب الاعتقاد و ما يرمى به أو باش الحنابلة. و فى يوم الثلاثاء تاسع عشرين صفر سنة عشر و سبعمائة عزل السلطان قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعى عن قضاء الديار المصرية بقاضى القضاة جمال الدين أبى داود سليمان ابن مجد الدين أبى حفص عمر الزرعىّ، و عزل قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن إبراهيم السّروجىّ الحنفىّ، فأقام بعد عزله ستة أيام و مات.

ثم كتب السلطان الملك الناصر بالقبض على الأمراء الذين كان أطلقهم من حبس الإسكندرية و أنعم عليهم بإمريات بالبلاد الشاميّة

خوفا من شرّهم.

ثم استقر السلطان بالأمير بكتمر الحسامى حاجب دمشق فى نيابة غزّة عوضا عن بلبان البدرىّ. ثم قبض السلطان على قطقطو، و الشيخ علىّ و ضروط، مماليك سلّار،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۶

و أمّر عوضهم جماعة من مماليكه و حواشيه، منهم: بيبغا الأشرفىّ، و [سيف الدين] جفتاى، و طيبغا الشمسىّ، و أيدمر الدوادار، و بهادر النقيب.

و فيها حضر ملك العرب حسام الدين مهنّا أمير آل فضل فأكرمه السلطان و خلع عليه، و سأل مهنّا السلطان فى أشياء و أجابه، منها: ولاية حماة للملك المؤيّد إسماعيل ابن الملك الأفضل [علىّ ابن المظفّر محمود ابن المنصور محمد تقى الدين] الأيّوبىّ، فأجابه إلى ذلك و وعده بها بعد أسندمر كرجى، و منها الشفاعة فى أيدمر الشّيخىّ فعفا عنه و أخرجه إلى قوص، و منها الشفاعة فى الأمير برلغى الأشرفىّ، و كان فى الأصل مملوكه قد كسبه مهنّا هذا من التتار ثم أهداه إلى الملك المنصور قلاوون، فورثه منه ابنه الملك الأشرف خليل بن قلاوون، فعدّد السلطان الملك الناصر ذنوبه فما زال به مهنّا حتى خفّف عنه، و أذن للناس فى الدخول عليه، و وعده بالإفراج عنه بعد شهر، فرضى بذلك و عاد إلى بلاده و هو كثير الشكر و الثناء على الملك الناصر.

و لما فرغ السلطان الملك الناصر من أمر المظفّر بيبرس و أصحابه و لم يبق عنده ممّن يخشاه إلّا سلّار، ندب إليه السلطان الأمير ناصر الدين محمد ابن أمير سلاح بكتاش الفخرىّ و كتب على يده كتابا بحضوره إلى مصر، فاعتذر سلّار عن الحضور إلى الديار المصرية بوجع فى فؤاده، و أنّه يحضر إذا زال عنه، فتخيّل السلطان من تأخّره و خاف أن يتوجّه إلى التتار؛ فكتب إلى قراسنقر نائب الشام و إلى أسندمر نائب حماة بأخذ الطّرق على سلّار لئلّا يتوجّه إلى التتار. ثم بعث الملك الناصر بالأميرين: بيبرس الدوادار و سنجر الجاولى إلى الأمير سلّار، و أكّد عليهما إحضاره

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۷

و أن يضمنا له عن السلطان أنه يريد إقامته عنده يستشيره فى أمور المملكة، فقدما على سلّار و بلّغاه عن السلطان ما قال، فوعدهما أنه يحضر، و كتب الجواب بذلك، فلما رجعا اشتد قلق السلطان و كثر خياله منه.

و أمّا سلّار فإنه تحيّر فى أمره و استشار أصحابه فاختلفوا عليه، فمنهم: من أشار بتوجّهه إلى السلطان، و منهم من أشار بتوجّهه إلى قطر من الأقطار: إمّا إلى التتار أو إلى اليمن أو إلى برقة، فعوّل على المسير إلى اليمن، ثم رجع عن ذلك و أجمع على الحضور إلى السلطان، و خرج من الشّوبك و عنده ممّن سافر معه [من مصر] أربعمائة و ستون فارسا، فسار إلى القاهرة، فعند ما قدم على الملك الناصر قبض عليه و حبسه بالبرج من قلعة الجبل، و ذلك فى سلخ شهر ربيع الأوّل سنة عشر و سبعمائة. ثم ضيّق السلطان على الأمير برلغى بعد رواح الأمير مهنّا، و أخرج حريمه من عنده؛ و منع ألّا يدخل إليه أحد بأكل و لا شرب حتى أشفى على الموت و يبست أعضاؤه و خرس لسانه من شدّة الجوع، و مات ليلة الأربعاء ثانى شهر رجب.

و أمّا أمر سلّار فإنه لما حضر بين يدى الملك الناصر عاتبه عتابا كثيرا و طلب منه الأموال، و أمر الأمير سنجر الجاولى أن ينزل معه و يتسلّم منه ما يعطيه من الأموال، فنزل معه إلى داره ففتح سلّار سربا تحت الأرض، فأخرج منه سبائك ذهب و فضّة و جرب من [الأديم] الطائفىّ، فى كل جراب عشرة آلاف دينار، فحملوا من ذلك السّرب أكثر من [حمل] خمسين بغلا من الذهب و الفضة، ثم طلع سلّار إلى الطارمة التى كان يحكم عليها فخفروا تحتها، فأخرجوا سبعا و عشرين خابية مملوءة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۸

ذهبا، ثم أخرج من الجواهر شيئا كثيرا، منها: حجر بهرمان زنته أربعون مثقالا، و أخرج ألفى حياصة ذهب مجوهرة بالفصوص، و ألفى قلادة من الذهب، كلّ قلادة تساوى مائة دينار، و ألفى كلفتاة زركش و شيئا كثيرا؛ يأتى ذكره أيضا بعد أن نذكر وفاته. منها: أنهم

وجدوا له لجما مفضّضة فنكتوا الفضّة عن السيور و وزنوها، فجاء وزنها عشرة قناطير بالشامى. ثم إنّ السلطان طلبه و أمر أن يبنى عليه أربع حيطان فى مجلسه، و أمر ألّا يطعم و لا يسقى؛ و قيل: إنه لما قبض عليه و حبسه بقلعة الجبل أحضر إليه طعاما فأبى سلّار أن يأكل و أظهر الغضب، فطولع السلطان بذلك، فأمر بألّا يرسل إليه طعام بعد هذا، فبقى سبعة أيام لا يطعم و لا يسقى و هو يستغيث الجوع، فأرسل إليه السلطان ثلاثة أطباق مغطّاة بسفر الطعام، فلما أحضروها بين يديه فرح فرحا عظيما و ظنّ أنّ فيها أطعمة يأكل منها، فكشفوها فإذا فى طبق ذهب، و فى الآخر فضّة، و فى الآخر لؤلؤ و جواهر، فعلم سلّار أنه ما أرسل إليه هذه الأطباق إلا ليقابله على ما كان فعله معه، فقال سلّار: الحمد للّه الذى جعلنى من أهل المقابلة فى الدنيا! و بقى على هذه الحالة اثنى عشر يوما و مات، فأعلموا الملك الناصر بموته فجاءوا إليه، فوجدوه قد أكل ساق خفّه، و قد أخذ السّرموجة و حطّها فى فيه و قد عضّ عليها بأسنانه و هو ميّت؛ و قيل: إنهم دخلوا عليه قبل موته و قالوا: السلطان قد عفا عنك، فقام من الفرح و مشى خطوات ثم خرّ ميّتا، و ذلك فى يوم الأربعاء الرابع و العشرين من شهر ربيع الآخر سنة عشر و سبعمائة؛ و قيل: فى العشرين من جمادى الأولى من السنة المذكورة.

فأخذه الأمير علم الدين سنجر الجاولى بإذن السلطان و تولّى غسله و تجهيزه، و دفنه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۹

بتربته التى أنشأها بجانب مدرسته على الكبش خارج القاهرة بالقرب من جامع ابن طولون، لصداقة كانت بين الجاولى و سلّار قديما و حديثا. و كان سلّار أسمر اللون أسيل الخدّ لطيف القدّ صغير اللّحية تركىّ الجنس، و كان أصله من مماليك الملك الصالح علىّ بن قلاوون الذى مات فى حياة والده قلاوون؛ و كان سلّار أميرا جليلا شجاعا مقداما عاقلا سيوسا، و فيه كرم و حشمة و رياسة، و كانت داره ببين القصرين بالقاهرة. و قيل: إنّ سلار لما حج المرّة الثانية فرّق فى أهل الحرمين أموالا كثيرة و غلالا و ثيابا، تخرج عن حدّ الوصف حتى إنه لم يدع بالحرمين فقيرا، و بعد هذا مات، و أكبر شهواته رغيف خبز، و كان فى شونته يوم مات من الغلال ما يزيد على أربعمائة ألف إردب. و كان سلّار ظريفا لبيبا كبير الأمراء فى عصره،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۰

اقترح أشياء من الملابس كثيرة مثل السّلّارى و غيره، و لم يعرف لبس السّلّارىّ قبله، و كان شهد وقعة شقحب مع الملك الناصر و أبلى فى ذلك اليوم بلاء حسنا و ثخنت جراحاته، و له اليد البيضاء فى قتال التتار. و تولّى نيابة السلطنة بديار مصر، فاستقلّ فيها بتدبير الدولة الناصرية نحو عشر سنين. و من جملة صدقاته أنه بعث إلى مكة فى سنة اثنتين و سبعمائة فى البحر المالح عشرة آلاف إردب قمح ففرّقت فى أهل مكة، و كذا فعل بالمدينة. و كان فارسا، كان إذا لعب بالكرة لا يرى فى ثيابه عرق، و كذا فى لعب الرمح مع الإتقان فيهما.

و أمّا ما خلّفه من الأموال فقد ذكرنا منه شيئا و نذكر منه أيضا ما نقله بعض المؤرّخين. قال الجزرىّ: وجد لسلّار بعد موته ثمانمائة ألف ألف دينار، و ذلك غير الجوهر و الحلىّ و الخيل و السلاح. قال الحافظ أبو عبد اللّه الذّهبىّ: هذا كالمستحيل، و حسب زنة الدينار و جمله بالقنطار فقال: يكون ذلك حمل خمسة آلاف بغل، و ما سمعنا عن أحد من كبار السلاطين أنه ملك هذا القدر، و لا سيما ذلك خارج عن الجوهر و غيره. انتهى كلام الذهبىّ.

قلت: و هو معذور فى الجزرىّ، فإنه جازف و أمعن.

و قال ابن دقماق فى تاريخه: و كان يدخل إلى سلّار فى كل يوم من أجرة أملاكه ألف دينار. و حكى الشيخ محمد بن شاكر الكتبىّ فيما رآه بخط الإمام العالم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۱

العلّامة علم الدين البرزالىّ، قال: رفع إلىّ المولى جمال الدين ابن الفويرة ورقة فيها قبض أموال سلّار وقت الحوطة عليه فى أيام متفرّقة، أولها يوم الأحد: ياقوت أحمر و بهرمان رطلان. بلخش رطلان و نصف. زمرّد ربحانىّ و ذبابىّ تسعة عشر رطلا.

صناديق ضمنها فصوص [و جواهر] ستة. ما بين زمرّد و عين الهرّ ثلثمائة قطعة كبار. لؤلؤ مدوّر من مثقال إلى درهم ألف و مائة و خمسون حبّة. ذهب عين مائتا ألف دينار و أربعة و أربعون ألف دينار. و دراهم أربعمائة ألف و أحد و سبعون ألف درهم. يوم الاثنين: فصوص مختلفة رطلان. ذهب عين خمسة و خمسون ألف دينار، دراهم ألف ألف درهم. مصاغ و عقود ذهب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۲

مصرىّ أربع قناطير. فضّيّات طاسات و أطباق و طشوت ستّ قناطير. يوم الثلاثاء: ذهب عين خمسة و أربعون ألف دينار، دراهم ثلثمائة ألف درهم و ثلاثون ألف درهم. قطزيّات و أهلّه و طلعات صناجق فضّة ثلاثة قناطير.

يوم الأربعاء: ذهب عين ألف ألف دينار، دراهم ثلثمائة ألف درهم. أقبية بفرو قاقم ثلثمائة قباء. أقبية حرير عمل الدار ملوّنة [بفرو] سنجاب أربعمائة قباء، سروج ذهب مائة سرج. و وجد له عند صهره أمير موسى ثمانية صناديق لم يعلم ما فيها، حملت إلى الدور السلطانية. و حمل أيضا من عند سلّار إلى الخزانة تفاصيل طردوحش، و عمل الدار ألف تفصيلة. و وجد له خيام السّفر ستّ عشرة نوبة كاملة.

و وصل معه من الشّوبك ذهب مصرىّ خمسون ألف دينار، و دراهم أربعمائة الف درهم و سبعون ألف درهم، و خلع ملوّنة ثلثمائة خلعة و خركاه كسوتها أطلس أحمر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۳

معدنىّ مبطّن بأزرق مرو زىّ [و ستر] بابها زركش. و وجد له خيل ثلثمائة فرس، و مائة و عشرون قطار بغال، و مائة و عشرون قطار جمال. هذا خارج عمّا وجد له من الأغنام و الأبقار و الجواميس و الأملاك و المماليك و الجوارى و العبيد. و دلّ مملوكه على مكان مبنىّ فى داره فوجدوا حائطين مبنيين بينهما أكياس ما علم عدّتها، و فتح مكان آخر فيه فسقيّة ملانة ذهبا منسبكا بغير أكياس.

قلت: و ممّا زاد سلّار من العظمة أنّه لمّا ولى النيابة فى الدولة الناصرية محمد بن قلاوون، و صار إليه و إلى بيبرس الجاشنكير تدبير المملكة حضر إلى الديار المصرية الملك العادل زين الدين كتبغا الذى كان سلطان الديار المصرية و عزل بحسام الدين لاچين، ثم استقرّ نائب صرخد ثم نائب حماة، فقدم كتبغا إلى القاهرة و قبّل الأرض بين يدى الملك الناصر محمد بن قلاوون، ثمّ خرج من عنده و أتى سلّار هذا ليسلّم عليه، فوجد سلّار راكبا و هو يسير فى حوش داره، فنزل كتبغا عن فرسه و سلّم على سلّار، و سلّار على فرسه لم ينزل عنه، و تحادثا حتى انتهى كلام كتبغا، و عاد إلى حيث نزل بالقاهرة؛ فهذا شىء لم يسمع بمثله! انتهى.

و بعد موت سلّار قدم على السلطان البريد بموت الأمير قبجق المنصورىّ نائب حلب، و كان الملك الناصر عزل أسندمر كرجى عن نيابة حماة و ولّى نيابة حماة للملك المؤيّد عماد الدين إسماعيل، فسار إليه المؤيّد من دمشق فمنعه أسندمر، فأقام المؤيّد بين حماة و مصر ينتظر مرسوم السلطان، فاتّفق موت قبجق نائب حلب، فسار أسندمر من حماة إلى حلب و كتب يسأل السلطان فى نيابة حلب، فأعطاها له، و أسرّ ذلك فى نفسه، لكونه أخذ نيابتها باليد، ثم عزل السلطان بكتمر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۴

الحسامى الحاجب عن نيابة غزّة و أحضره إلى القاهرة، و ولّى عوضه على نيابة غزّة الأمير قطلقتمر، و خلع على بكتمر الحاجب بالوزارة بالديار المصرية عوضا عن فخر الدين [عمر] بن الخليلىّ. ثم قدم البريد بعد مدة- لكن فى السنة- بموت الأمير الحاج بهادر الحلبىّ نائب طرابلس، فكتب السلطان بنقل الأمير جمال الدين آقوش الأفرم من نيابة صرخد إلى نيابة طرابلس عوضا عن الحاج بهادر المذكور فسار إليها، و فرح السلطان بموت الحاج بهادر فرحا عظيما، فإنّه كان يخافه و يخشى شرّه.

ثم التفت السلطان بعد موت قبجق و الحاج بهادر المذكور إلى أسندمر كرجى، و أخرج تجريدة من الديار المصرية، و فيها من الأمراء كراى المنصورىّ و هو مقدّم العسكر، و سنقر الكمالىّ حاجب الحجّاب، و أيبك الرّومىّ و بينجار و كجكن و بهادر آص فى عدّة من مضافيهم من أمراء الطبلخاناه و العشرات و مقدّمى الحلقة، و أظهر أنّهم توجهوا لغزو سيس، و كتب لأسندمر كرجى بتجهيز آلات

الحصار على العادة، و الاهتمام فى هذا الأمر حتى يصل إليه العسكر من مصر. و كتب الملك الناصر إلى المؤيّد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة بالمسير مع العسكر المصرىّ. ثم خرج الأمير كراى من القاهرة بالعساكر فى مستهلّ ذى القعدة سنة عشر و سبعمائة.

و بعد خروج هذا العسكر من مصر توحّش خاطر الأمير بكتمر الجو كندار نائب السلطنة من الملك الناصر و خاف على نفسه، و اتّفق مع الأمير بتخاص المنصورىّ على إقامة الأمير مظفّر الدين موسى ابن الملك الصالح علىّ بن قلاوون فى السلطنة، و الاستعانة بالمماليك المظفّريّة، و بعث إليهم فى ذلك فوافقوه. ثم شرع النائب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۵

بكتمر الجوكندار فى استمالة الأمراء و مواعدة المماليك المظفّريّة الذين بخدمة الأمراء، على أنّ كل طائفة تقبض على الأمير الذى هى فى خدمته فى يوم عيّنه لهم، ثم يسوق الجميع إلى قبّة النّصر خارج القاهرة، و يكون الأمير موسى المذكور قد سبقهم هناك، فدبّروا ذلك حتّى انتظم الأمر و لم يبق إلّا وقوعه، فنمّ عليهم إلى الملك الناصر بيبرس الجمدار أحد المماليك المظفّريّة، و هو ممّن اتّفق معهم بكتمر الجوكندار، أراد بذلك أن يتخذ يدا عند السلطان الملك الناصر بهذا الخبر، فعرّف خشداشه قراتمر الخاصّكى بما عزم عليه فوافقه. و كان بكتمر الجوكندار قد سيّر يعرّف الأمير كراى المنصورىّ بذلك، لأنّه كان خشداشه، و أرسل كذلك إلى قطلوبك المنصورىّ نائب صفد ثم إلى قطلقتمر نائب غزّة؛ فأمّا قطلوبك و قطلقتمر فوافقاه، و أمّا كراى فأرسل نهاه و حذّره من ذلك، فلم يلتفت بكتمر، و تمّ على ما هو عليه. فلمّا بلغ السلطان هذا الخبر و كان فى اللّيل لم يتمهّل، و طلب الأمير موسى إلى عنده و كان يسكن بالقاهرة، فلما نزل إليه الطلب هرب، ثم استدعى الأمير بكتمر الجوكندار النائب، و بعث أيضا فى طلب بتخاص، و كانوا إذ ذاك يسكنون بالقلعة، فلما دخل إليه بكتمر أجلسه و أخذ يحادثه حتى أتاه المماليك بالأمير بتخاص، فلما رآه بكتمر علم أنه قد هلك، فقيّد بتخاص و سجن و أقام السلطان ينتظر الأمير موسى، فعاد إليه الجاولى و نائب الكرك و أخبراه بفراره فاشتدّ غضبه عليهما، و ما طلع النهار حتّى أحضر السلطان الأمراء و عرّفهم بما قد وقع، و لم يذكر اسم بكتمر النائب، و ألزم السلطان الأمير كشدغدى البهادرىّ و الى القاهرة بالنداء على الأمير موسى، و من أحضره من الجند فله إمرته، و إن كان من العامّة فله ألف دينار، فنزل و معه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۶

الأمير فخر الدين إياز شادّ الدواوين و أيدغدى شقير، و ألزم السلطان سائر الأمراء بالإقامة بالقاعة الأشرفيّة من القلعة حتى يظهر خبر الأمير موسى. ثم قبض السلطان على حواشى الأمير موسى و جماعته و عاقب كثيرا منهم، فلم يزل الأمر على ذلك من ليلة الأربعاء إلى يوم الجمعة. قبض على الأمير موسى المذكور من بيت أسنادار الفارقانىّ من حارة الوزيريّة بالقاهرة، و حمل إلى القلعة فسجن بها، و نزل الأمراء إلى دورهم، و خلّى عن الأمير بكتمر النائب أيضا و نزل إلى داره، و رسم السلطان بتسمير أستادار الفارقانىّ، ثم عفا عنه و سار إلى داره، و تتبّع السلطان المماليك المظفّريّة، و فيهم: بيبرس [الجمدار] الذى نمّ عليهم و عملوا فى الحديد، و أنزلوا ليسمّروا تحت القلعة، و قد حضر نساؤهم و أولادهم، و جاء الناس من كلّ موضع و كثر البكاء و الصّراخ عليهم- رحمة لهم- و السلطان ينظر فأخذته الرحمة عليهم فعفا عنهم، فتركوا و لم يقتل أحد منهم، فكثر الدعاء للسلطان و الثناء عليه.

و أمّا أمر أسندمر كرجى فإنّ الأمير كراى لما وصل بالعساكر المصرية إلى حمص و أقام بها على ما قرّره السلطان معه حتى وصل إليه الأمير منكوتمر الطبّاخى، و كان السلطان كتب معه ملطّفات إلى أمراء حلب بقبض نائبها أسندمر كرجى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۷

فى الباطن، و كتب فى الظاهر لكراى و أسندمر كرجى بما أراده من عمل المصالح، فقضى كراى شغله من حمص و ركب و تهيّأ من حمص، و جدّ فى السير جريدة حتى وصل إلى حلب فى يوم و نصف، فوقف بمن معه تحت قلعة حلب عند ثلث الليل الآخر، و صاح: «يا لعلى»، و هى الإشارة التى رتّبها بينه و بين نائب قلعة حلب، فنزل نائب القلعة عند ذلك بجميع رجالها و قد استعدّوا للحرب، و زحف الأمير كراى على دار النيابة و لحق به أمراء حلب و عسكرها، فسلّم الأمير أسندمر كرجى نفسه بغير قتال، فأخذ و قيّد و سجن

بقلعتها و أحيط على موجوده، و سار منكوتمر الطبّاخى على البريد بذلك إلى السلطان، ثم حمل أسندمر كرجى إلى السلطان صحبة الأمير بينجار و أيبك الرّومىّ. فخاف عند ذلك الأمير قرا سنقر نائب الشام على نفسه، و سأل أن ينتقل من نيابة دمشق إلى نيابة حلب ليبعد عن الشرّ، فأجيب إلى ذلك، و كتب بتقليده و جهّز إليه فى آخر ذى الحجة من سنة عشر و سبعمائة على يد الأمير أرغون الدّوادار الناصرىّ، و أسرّ له السلطان بالقبض عليه إن أمكنه ذلك. و قدم أسندمر كرجى إلى القاهرة و اعتقل بالقلعة، و بعث يسأل السلطان عن ذنبه فأعاد جوابه؛ مالك ذنب، إلا أنك قلت لى لما ودّعتك عند سفرك: أوصيك يا خوند:

لا تبق فى دولتك كبشا كبيرا و أنشئ مماليكك! و لم يبق عندى كبش كبير غيرك.

ثمّ قبض السلطان على طوغان نائب البيرة، و حمل إلى السلطان فحبس أياما ثم أطلقه و ولّاه شدّ الدواوين [بدمشق].

و فى مستهلّ سنة إحدى عشرة و سبعمائة وصل الأمير أرغون الدّوادار إلى الشام [لتسفير قراسنقر المنصورى منها إلى نيابة حلب] فاحترس منه الأمير قراسنقر على نفسه، و بعث إليه عدّة من مماليكه يتلقونه و يمنعون

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۸

أحدا ممن جاء معه أن ينفرد مخافة أن يكون معه ملطّفات إلى أمراء دمشق.

ثم ركب قراسنقر إليه و لقيه بميدان الحصى خارج دمشق، و أنزله عنده بدار السعادة و كلّ بخدمته من ثقاته جماعة. فلما كان من الغد أخرج له أرغون تقليده فقبّله و قبّل الأرض على العادة، و أخذ فى التجهيز و لم يدع قراسنقر أرغون أن ينفرد عنه، بحيث إنه أراد زيارة أماكن بدمشق فركب معه قراسنقر بنفسه، حتى قضى أرغون أربه و عاد، و تمّ كذلك إلى أن سافر. فلما أراد قراسنقر السفر بعث إلى الأمراء ألا يركب أحد منهم لوداعه، و ألا يخرج من بيته، و استعدّ و قدّم أثقاله أوّلا فى الليل، فلما أصبح ركب يوم الرابع من المحرّم بمماليكه، و عدّتهم ستمائة فارس، و ركب أرغون الدوادار بجانبه و بهادر آص فى جماعة قليلة، و سار معه أرغون حتى أوصله إلى حلب ثم عاد. و قلّد الأمير كراى المنصورىّ نيابة الشام عوضا عن قراسنقر، و أنعم كراى على أرغون الدّوادار بألف دينار سوى الخيل و الخلع و غير ذلك.

ثم إنّ الملك الناصر عزل الأمير بكتمر الحسامى عن الوزارة و ولاه حجوبيّة الحجّاب بالديار المصرية عوضا عن سنقر الكمالىّ. و لا زال السلطان يتربّص فى أمر بكتمر الجوكندار النائب حتى قبض عليه بحيلة دبّرها عليه فى يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى من سنة إحدى عشرة و سبعمائة، و قبض معه على عدّة من الأمراء، منهم:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۹

صهر الجوكندار ألكتمر الجمدار و أيدغدى العثمانى، و منكوتمر الطبّاخىّ و بدر الدين بكمش الساقى و أيدمر الشّمسى و أيدمر الشيخى، و سجنوا الجميع إلّا الطباخى فإنه قتل من وقته.

و الحيلة التى دبّرها السلطان على قبض بكتمر الجوكندار أنه نزل السلطان إلى المطعم و بكتمر بإزائه، فخرج السلطان من البرج و مال إلى بكتمر و قال يا عمى:

ما بقى فى قلبى من أحد إلّا فلان و فلان و ذكر له أميرين، فقال له بكتمر: يا خوند، ما تطلع من المطعم إلا و تجدنى قد أمسكتهما، و كان ذلك يوم الثلاثاء، فقال له السلطان: لا، يا عمى إلا دعهما إلى يوم الجمعة؛ تمسكهما فى الصلاة، فقال له:

السمع و الطاعة. ثم إنّ السلطان جهّز لبكتمر تشريفا هائلا و مركوبا معظّما، فلما كان يوم الجمعة قال له فى الصلاة: و اللّه يا عمى مالى وجه أراهما! و أستحى منهما، و لكن أمسكهما إذا دخلت أنا إلى الدار، و توجّه بهما إلى المكان الفلانى تجد هناك منكلى بغا و قجماس فسلّمهما إليهما، و رح أنت، فأمسكهما بكتمر الجوكندار و توجّه بهما إلى المكان المذكور له، فوجد الأميرين: قجماس و منكلى بغا هناك، فقاما إليه و قالا له: عليك السمع و الطاعة لمولانا السلطان و أخذا سيفه، فقال لهما:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۰

يا خشداشيتى ما هو هكذا الساعة كما فارقت السلطان، و قال لى: أمسك هؤلاء، فقالا: ما القصد إلا أنت، فأمسكاه و أطلقا الأميرين، و كان ذلك آخر العهد ببكتمر الجوكندار كما يأتى ذكره. انتهى.

ثم أرسل السلطان استدعى الأمير بيبرس الدّوادار المنصوريّ المؤرّخ و ولّاه نيابة السلطنة بديار مصر عوضا عن بكتمر الجوكندار، ثم أرسل السلطان قبض أيضا على الأمير كراى المنصوريّ نائب الشام بدار السعادة فى يوم الخميس ثانى عشرين جمادى الأولى، و حمل مقيّدا إلى الكرك فحبس بها. و سبب القبض عليه كونه كان خشداش بكتمر الجوكندار و رفيقه، ثم قبض السلطان على الأمير قطلوبك نائب صفد بها، و كان أيضا ممن وافق بكتمر على الوثوب مع الأمير موسى حسب ما تقدّم ذكره. ثم خلع السلطان على الأمير آقوش الأشرفى نائب الكرك باستقراره فى نيابة دمشق عوضا عن كراى المنصوريّ، و استقر بالأمير بهادرآص فى نيابة صفد عوضا عن قطلوبك، ثم نقل السلطان بكتمر الجوكندار النائب و أسندمر كرجى من سجن الإسكندرية إلى سجن الكرك، فبقى بسجن الكرك جماعة من أكابر الأمراء مثل: بكتمر الجوكندار و كراى المنصوريّ و أسندمر كرجى و قطلوبك المنصوريّ نائب صفد و بيبرس العلائى فى آخرين. ثم عزل السلطان مملوكه أيتمش المحمّدى عن نيابة الكرك، و استقرّ فى نيابتها بيبغا الأشرفيّ، و كان السلطان قد استناب أيتمش هذا على الكرك لما خرج منها [إلى دمشق].

و أما قراسنقر فإنه أخذ فى التدبير لنفسه خوفا من القبض عليه كما قبض على غيره، و اصطنع العربان و هاداهم، و صحب سليمان بن مهنّا و آخاه، و أنعم عليه و على أخيه موسى حتى صار الجميع من أنصاره، و قدم عليه الأمير مهنّا إلى حلب و أقام

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۱

عنده أياما و أفضى إليه قراسنقر بسرّه، و أوقفه على كتاب السلطان بالقبض على مهنّا، و أنه لم يوافق على ذلك، ثم بعث قراسنقر يسأل السلطان فى الإذن له فى الحجّ فجهّز قراسنقر حاله، و خرج من حلب فى نصف شوّال و معه أربعمائة مملوك، و استناب بحلب الأمير قرطاى و ترك عنده عدّة من مماليكه لحفظ حواصله، فكتب السلطان لقرطاى بالاحتراس، و ألّا يمكّن قراسنقر من حلب إذا عاد، و يحتج عليه بإخضار مرسوم السلطان بتمكينه من ذلك. ثم كتب إلى نائب غزّة و نائب الشام و نائب الكرك و إلى بنى عقبة بأخذ الطريق على قراسنقر، فقدم البريد أنّه سلك البرّيّة إلى صرخد و إلى زيزاء، ثم كثر خوفه من السلطان فعاد من غير الطريق التى سلكها، ففات أهل الكرك القبض عليه فكتبوا بالخبر إلى السلطان فشقّ عليه؛ ثم وصل قراسنقر إلى ظاهر حلب فبلغه ما كتب السلطان إلى قرطاى فعظم خوفه و كتب إلى مهنّا، فكتب مهنّا إلى قرطاى أن يخرج حواصل قراسنقر و إلّا هجم مدينة حلب و أخذ ماله قهرا، فخاف قرطاى من ذلك، و جهّز كتابه إلى السلطان فى طيّ كتابه، و بعث بشىء من حواصل قراسنقر إلى السلطان مع ابن قراسنقر الأمير عز الدين فرج، فأنعم عليه الملك الناصر بإمرة عشرة، و أقام بالقاهرة مع أخيه أمير على بن قراسنقر. ثم إن سليمان بن مهنّا قدم على قراسنقر، فأخذه و مضى و أنزله فى بيت أمّه فاستجار قراسنقر بها فأجارته، ثم أتاه مهنّا و قام له بما يليق به. ثم بعث مهنّا يعرّف السلطان بما وقع لقراسنقر و أنه استجار بأمّ سليمان فأجارته، و طلب من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۲

السلطان العفو عنه؛ فأجاب السلطان سؤاله، و بعث إليه أن يخيّر قراسنقر فى بلد من البلاد حتى يولّيه إياها، فلما سافر قاصد مهنّا و هو ابن مهنا لكنه غير سليمان جهّز السلطان تجريدة هائلة فيها عدّة كثيرة من الأمراء و غيرهم إلى جهة مهنّا، فاستعدّ مهنّا و كتب قراسنقر إلى الأفرم نائب طرابلس يستدعيه اليه، فأجابه و وعده بالحضور إليه. ثم بعث قراسنقر و مهنّا إلى السلطان و خدعاه و طلب قراسنقر صرخد، فانخدع السلطان و كتب له تقليدا بصرخد، و توجّه إليه بالتقليد أيتمش المحمّدى، فقبّل قراسنقر الأرض، و احتج حتّى يصل إليه ماله بحلب ثم يتوجّه إلى صرخد، فقدمت أموال قراسنقر من حلب، فما هو إلا أن وصل إليه ماله، و إذا بالأفرم قد قدم عليه من الغد و معه خمسة أمراء من أمراء طبلخاناه و ستّ عشراوات فى جماعة من التّركمان فسّر قراسنقر بهم، ثم استدعوا أيتمش و عدّدوا عليه من قتله السلطان من الأمراء، و أنهم خافوا على أنفسهم و عزموا على الدخول فى بلاد التتار، و ركبوا بأجمعهم، و عاد أيتمش إلى

الأمراء المجرّدين بحمص و عرّفهم الخبر، فرجعوا عائدين إلى مصر بغير طائل. و قدم الخبر على السلطان بخروج قراسنقر و الأفرم إلى بلاد التّتار فى أوّل سنة اثنتى عشرة و سبعمائة؛ و قيل إنّ الأفرم لما خرج هو و قراسنقر إلى بلاد التتار بكى الأفرم، و أنشد:

سيذكرنى قومى إذا جدّ جدّهم و فى الليلة الظلماء يفتقد البدر

فقال له قراسنقر: امش بلا فشار، تبكى عليهم و لا يبكون عليك! فقال الأفرم:

و اللّه ما بى إلا فراق ابنى موسى، فقال قراسنقر: أىّ بغاية بصقت فى رحمها جاء

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۳

منه موسى و إبراهيم و عدّد أسماء كثيرة، و توجّها. انتهى. ثم إن السلطان أفرج عن الأمير أيدمر الخطيرى و أنعم عليه بخبز الأمير علم الدين سنجر الجاولى.

و فى أوّل سنة اثنتى عشرة و سبعمائة كملت عمارة الجامع الجديد الناصرىّ بمصر القديمة على النيل و وقف عليه عدّة أوقاف كثيرة. و أما قراسنقر و الأفرم فإنهما سارا بمن معهما إلى بلاد التّتار، فخرج خربندا ملك التّتار و تلقّاهم و ترجّل لهم و ترجّلوا له و بالغ فى إكرامهم و سار بهم إلى مخيّمه و أجلسهم معه على التّخت، و ضرب لكلّ منهم خركاه و رتّب لهم الرواتب السّنيّة، ثم استدعاهم بعد يومين و اختلى بقراسنقر فحسّن له قراسنقر عبور الشام و ضمن له تسليم البلاد بغير قتال. ثم اختلى بالأفرم فحسّن له أيضا أخذ الشام الّا أنه خيّله من قوّة السلطان و كثرة عساكره. ثم إن خربندا أقطع قواسنقر مراغة و أقطع الأفرم همذان، و استمرّوا هناك إلى ما يأتى ذكره إن شاء اللّه تعالى.

و لمّا حضر من تجرّد من الأمراء إلى الديار المصرية حضر معهم الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك الذى ولى نيابة الشام بعد كراى المنصورىّ، فقبض السلطان عليه و على الأمير بيبرس الدّوادار نائب السلطان صاحب التاريخ،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۴

و على سنقر الكمالىّ، و لاچين الجاشنكير و بينجار و ألدكز الأشرفىّ، و مغلطاى المسعودىّ و سجنوا بالقلعة فى شهر ربيع الأوّل سنة اثنتى عشرة و سبعمائة، و ذلك لميلهم إلى قراسنقر و الأفرم. ثم خلع السلطان على تنكز الحسامى الناصرى بنيابة دمشق دفعة واحدة عوضا عن آقوش نائب الكرك؛ و تنكز هذا هو أوّل من رقّاه من مماليكه إلى الرّتب السنيّة. ثم استقرّ بسودى الجمدار فى نيابة حلب، و استقرّ تمر الساقى المنصورىّ فى نيابة طرابلس.

ثم إنّ السلطان عزل مهنّا بأخيه فضل و رسم بأنّ مهنّا لا يقيم بالبلاد.

ثم قبض السلطان على الأمير بيبرس المجنون و بيبرس العلمىّ و سنجر البروانى و طوغان المنصورىّ و بيبرس التاجى، و قيّدوا و حملوا من دمشق إلى الكرك فى سادس ربيع الآخر من السنة. ثم أمّر السلطان فى يوم واحد ستة و أربعين أميرا، منهم طبلخاناه تسعة و عشرون و عشروات سبعة عشر و شقّوا القاهرة بالشرابيش و الخلع. ثم فى يوم الاثنين أوّل جمادى الأولى خلع السلطان على مملوكة أرغون الدّوادار بنيابة السلطنة بالديار المصريّة عوضا عن بيبرس الدّوادار بحكم القبض عليه. ثم خلع السلطان على بلبان طرنا أمير باندار بنيابة صفد عوضا عن بهادر آص، و أن يرجع بهادر آص إلى دمشق أميرا على عادته أوّلا. ثم ركب السلطان إلى الصيد ببر الجيزة و أمّر جماعة من مماليكه، و هم: طقتمر الدّمشقى، و قطلوبغا الفخرىّ المعروف بالفول المقشّر، و طشتمر البدرىّ المعروف بحمّص أخضر. ثم ورد على السلطان الخبر بحركة خربندا ملك التتار، فكتب السلطان إلى الشام بتجهيز الإقامات، و عرض السلطان العساكر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۵

و أنفق فيهم الأموال، و ابتدأ بالعرض فى خامس عشر شهر ربيع الآخر، و كمل فى أوّل جمادى الأولى، فكان يعرض فى كلّ يوم أميرين من مقدّمى الألوف، و كان يتولّى العرض هو بنفسه و يخرجان الأميران بمن أضيف إليهما من الأمراء و مقدّمى الحلقة و

الأجناد، و یرحّلون شیئا بعد شئ من أوّل شهر رمضان إلی ثامن عشرینه حتی لم یبق بمصر أحد من العسکر. ثم خرج السلطان فی ثانی شوّال و نزل مسجد التّبن خارج القاهرة و رحل منه فی یوم الثلاثاء ثالث من شوّال، و رتّب بالقلعة نائب الغیبة الأمیر [سیف الدین] أیتمش المحمّدی الناصری. فلمّا کان ثامن شوّال قدم البرید برحیل التتار لیلة سادس عشرین رمضان من الرّحبة و عودهم إلی بلادهم بعد ما أقاموا علیها من أوّل شهر رمضان. فلمّا بلغ السلطان ذلک فرّق العساکر فی قاقون و عسقلان؛ و عزم علی الحجّ و دخل دمشق فی تاسع عشر شوّال، و خرج منها فی ثانی ذی القعدة إلی الکرک، و أقام بدمشق أرغون النائب و الوزیر أمین الملک ابن الغنّام یجمع المال. و توجّه السلطان من الکرک إلی الحجاز فی أربعین أمیرا فحجّ و عاد إلی دمشق فی یوم الثلاثاء حادی عشر المحرّم سنة ثلاث عشرة و سبعمائة، و کان لدخوله دمشق یوم مشهود، و عبر دمشق علی ناقة و علیه بشت من ملابس العرب بلثام و بیده حربة، فأقام بدمشق خمسة عشر یوما و عاد إلی مصر، فدخلها یوم ثانی عشر صفر.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۶

ثم عمل السلطان فی هذه السنة (أعنی سنة ثلاث عشرة و سبعمائة) الرّوک بدمشق، و ندب إلیه الأمیر علم الدین سنجر الجاولی نائب غزّة. ثم إنّ السلطان تجهّز إلی بلاد الصعید و نزل من قلعة الجبل فی ثانی عشرین شهر رجب من السنة و نزل تحت الأهرام بالجیزة، و أظهر أنّه یرید الصید، و القصد السفر للصعید و أخذ العربان لکثرة فسادهم، و بعث عدّة من الأمراء حتّی أمسکوا طریق السّویس و طریق الواحات فضبط البرّین علی العربان، ثم رحل من منزلة الأهرام إلی جهة الصعید و فعل بالعربان أفعالا عظیمة من القتل و الأسر، ثم عاد إلی الدیار المصریّة فدخلها فی یوم السبت عاشر شهر رمضان. و کان ممّن قبض علیه السلطان مقداد بن شمّاس، و کان قد عظم ماله، حتّی کان عدّة جواریه أربعمائة جاریة، و عدّة أولاده ثمانین. و کان السلطان قد ابتدأ فی أوّل هذه السنة بعمارة القصر الأبلق علی الإسطبل السلطانی ففرغ فی سابع عشر شهر رجب، و قصد السلطان أن یحاکی

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۷

به قصر الملک الظاهر بیبرس البندقداری الذی بظاهر دمشق، و استدعی له صنّاع دمشق و صنّاع مصر حتی کمل و أنشأ بجانبه جنینة، و قد ذهبت تلک الجنینة کما ذهب غیرها من المحاسن. ثمّ إنّ السلطان رسم بهدم مناظر اللّوق بالمیدان الظاهری، و عمله بستانا و أحضر إلیه سائر أصناف الزراعات، و استدعی خولة الشام و المطعّمین فباشروه حتّی صار من أعظم البساتین، و عرف أهل جزیرة الفیل من ذلک الیوم التطعیم للشجر.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۸

ثم فی سنة أربع عشرة و سبعمائة کتب السلطان لنائب [حلب و] حماة و حمص و طرابلس و صفد بأن أحدا منهم لا یکاتب السلطان، و إنّما یکاتب الأمیر تنکز نائب الشام، و یکون تنکز هو المکاتب للسلطان فی أمرهم، فشقّ ذلک علی النوّاب، و أخذ الأمیر [سیف الدین] بلبان طرنا نائب صفد ینکر ذلک؛ فکاتب فیه تنکز حتّی عزل، و استقرّ عوضه الأمیر بلبان البدری، و حمل بلبان طرنا مقیّدا إلی مصر. ثمّ إن السلطان اهتم بعمارة الجسور بأرض مصر و ترعها، و ندب الأمیر عزّ الدین أیدمر الخطیریّ إلی الشرقیة، و الأمیر علاء الدین أیدغدی شقیر

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۹

إلی البهنساویّة و الأمیر حسین ابن جندر إلی أسیوط و منفلوط، و الأمیر سیف الدین آقول الحاجب إلی الغربیة، و الأمیر سیف الدین قلّی أمیر سلاح

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۴۰

إلی الطّحاویّة و بلاد الأشمونین، و الأمیر جنکلی بن البابا إلی القلیوبیة، و الأمیر بهادر المعزّی إلی إخمیم، و الأمیر بهاء الدین أصلم إلی قوص.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۴۱

ثم إنّ السلطان قبض علی الأمیر [علاء الدین] أیدغدی شقیر و علی الأمیر بکتمر الحسامی الحاجب صاحب الدار خارج باب النصر فی أوّل شهر ربیع الأوّل سنة خمس عشرة و سبعمائة فقتل أیدغدی شقیر من یومه، لأنه اتّهم أنه یرید الفتک بالسلطان، و أخذ من بکتمر الحاجب مائة ألف دینار و سجن. ثم قبض السلطان علی الأمیر طغای، و علی الأمیر تمر الساقی نائب طرابلس و حمل إلی قلعة الجبل، و قبض علی الأمیر [سیف الدین] بهادر آص و حمل إلی الکرک من دمشق، و استقرّ الأمیر کستای الناصریّ نائب طرابلس عوضا عن تمر الساقی. ثم أفرج السلطان عن الأمیر قجماس المنصوریّ أحد البرجیة من الحبس، و أخرج الأمیر بدر الدین محمد بن الوزیریّ إلی دمشق منفیّا. ثم فی ثامن عشر شهر رجب أفرج السلطان عن الأمیر آقوش الأشرفیّ نائب الکرک، و خلع علیه و أنعم علیه بإقطاع الأمیر حسام الدین لاچین الأستادار بعد موته.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۴۲

و فی العشر الأخیر من شعبان من سنة خمس عشرة و سبعمائة وقع الشروع فی عمل الرّوک بأرض مصر، و سبب ذلک أنّ أصحاب بیبرس الجاشنکیر و سلّار و جماعة من البرجیة، کان خبز الواحد منهم ما بین ألف مثقال فی السنة إلی ثلثمائة مثقال، فأخذ السلطان أخبازهم و خشی الفتنة، و قرّر مع فخر الدین [محمد بن فضل اللّه] ناظر الجیش روک البلاد، و أخرج الأمراء إلی الأعمال، فتعیّن الأمیر بدر الدین جنکلی بن البابا إلی الغربیة و معه آقول الحاجب و الکاتب مکین الدین إبراهیم بن قرونة. و تعیّن للشرقیة الأمیر أیدمر الخطیری و معه أیتمش المحمدی و الکاتب أمین الدین قرموط، و تعیّن للمنوفیة

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۴۳

و البحیرة الأمیر بلبان الصّرخدی و [طرنطای] القلنجقیّ و [محمد] بن طرنطای و بیبرس الجمدار. و تعیّن جماعة أخر للصعید، و توجّه کلّ أمیر إلی عمله. فلمّا نزلوا بالبلاد استدعی کلّ أمیر مشایخ البلاد و دلاتها و قیّاسیها و عدو لها و سجلّات کلّ بلد، و عرف متحصّلها و مقدار فدنها و مبلغ عبرتها، و ما یتحصّل منه للجندیّ من العین و الغلّة و الدّجاج و الإوزّ و الخراف و الکشک و العدس و الکعک. ثم قاس الأمیر تلک الناحیة و کتب بذلک عدّة نسخ، و لا زال یعمل ذلک فی کلّ بلد حتّی انتهی أمر عمله. و عادوا بعد خمسة و سبعین یوما بالأوراق، فتسلّمها فخر الدین ناظر الجیش، و طلب التّقیّ کاتب برلغی و سائر مستوفی الدولة، لیفردوا الخاصّ السلطان بلادا و یضیفوا الجوالی إلی البلاد، و کانت الجوالی قبل ذلک إلی وقت الرّوک لها دیوان مفرد

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۴۴

یختصّ بالسلطان، فأضیف جوالی کلّ بلد إلی متحصل خراجها، و أبطلت جهات المکوس التی کانت أرزاق الجند علیها، منها ساحل الغلّة، و کانت هذه الجهة مقطعة لأربعمائة جندیّ من أجناد المحلقه سوی الأمراء، و کان متحصّلها فی السنة أربعة آلاف ألف و ستمائة ألف درهم.

قلت: و هذا القدر یکون الآن شیئا کثیرا من الذهب من سعر یومنا هذا. و کان إقطاع الجندیّ من عشرة آلاف درهم إلی ثلاثة آلاف درهم، و للأمراء من أربعین ألفا

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۴۵

إلی عشرة آلاف درهم، فآقتنی المباشرون منها أموالا عظیمة، فإنّها کانت أعظم الجهات الدیوانیّة و أجلّ معاملات مصر. و کان الناس منها فی أنواع من الشدائد لکثرة المغارم و العسف و الظّلم، فإنّ أمرها کان یدور علی نواتیة المراکب و الکیّالین و المشدّین و الکتّاب؛ و کان المقرّر علی کل إردب درهمین و یلحقه نصف درهم آخر سوی ما کان ینهب. و کان له دیوان فی بولاق خارج المقس، و قبله کان له خصّ یعرف بخصّ الکیّالة. و کان فی هذه الجهة نحو ستین رجلا ما بین نظّار و مستوفین و کتّاب و ثلاثین جندیّا للشدّ، و کانت غلال الأقالیم لا تباع إلّا فیه، فأزال الملک الناصر هذا الظلم جمیعه عن الرعیّة، و رخص سعر القمح من ذلک

اليوم، و انتعش الفقير و زالت هذه الظّلامة عن أهل مصر، بعد أن راجعته أقباط مصر فى ذلك غير مرّة، فلم يلتفت إلى قول قائل- رحمه اللّه تعالى- ما كان أعلى همّته، و أحسن تدبيره.

و أبطل الملك الناصر أيضا نصف السّمسرة الذى كان أحدثه ابن الشّيخىّ فى وزارته- عامله اللّه تعالى بعدله- و هو أنه من باع شيئا فإنّ دلالة كل مائة درهم درهمان، يؤخذ منها درهم للسلطان، فصار الدلّال يحسب حسابه و يخلّص درهمه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۴۶

قبل درهم السلطان؛ فأبطل الملك الناصر ذلك أيضا، و كان يتحصل منه جملة كثيرة و عليها جند مستقطعة.

و أبطل السلطان الملك الناصر أيضا رسوم الولايات و المقدّمين و النّوّاب و الشّرطية، و هى أنها كانت تجبى من عرفاء الأسواق و بيوت الفواحش، و كان عليها أيضا جند مستقطعة و أمراء، و كان فيها من الظلم و العسف و هتك الحرم و هجم البيوت و إظهار الفواحش ما لا يوصف، فأبطل ذلك كلّه- سامحه اللّه تعالى و عفا عنه-.

و أبطل ما كان مقرّرا للحوائص و البغال، و كان يجبى من المدينة و من الوجهين:

القبلىّ و البحرىّ، و يحمل فى كلّ قسط من أقساط السنة إلى بيت المال عن ثمن الحياصة ثلثمائة درهم، و عن ثمن البغل خمسمائة درهم، و كان على هذه الجهة أيضا عدّة مقطعين، سوى ما كان يحمل إلى الخزانة، فكان فيها من الظلم بلاء عظيم؛ فأبطل الملك الناصر ذلك كلّه، رحمه اللّه.

و أبطل أيضا ما كان مقرّرا على السجون، و هو على كلّ من سجن و لو لحظة واحدة مائة درهم سوى ما يغرمه. و كان أيضا على هذه الجهة عدّة مقطعين، و لها ضامن يجبى ذلك من سائر السجون؛ فأبطل ذلك كلّه، رحمه اللّه.

و أبطل ما كان مقرّرا من طرح الفراريح، و كان لها ضمّان فى سائر الأقاليم، كانت تطرح على الناس بالنواحى الفراريح؛ و كان فيها أيضا من الظّلم و العسف و أخذ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۴۷

لأموال من الأرامل و الفقراء و الأيتام ما لا يمكن شرحه، و كان عليها عدّة مقطعين و مرتّبات، و لكل إقليم ضامن مقرّر، و لا يقدر أحد أن يشترى فروّجا إلّا من الضامن، فأبطل الناصر ذلك، و للّه الحمد.

و أبطل ما كان مقرّرا للفرسان، و هو شىء تستهديه الولاة و المقدمون من سائر الأقاليم، فيجى من ذلك مال عظيم، و يؤخذ فيه الدرهم ثلاثة دراهم من كثرة الظلم، فأبطل الملك الناصر ذلك، رحمه اللّه تعالى.

و أبطل ما كان مقررا على الأقصاب و المعاصر، كان يجبى من مزارعى الأقصاب و أرباب المعاصر و رجال المعصرة، فيحصل من ذلك شىء كثير.

و أبطل ما كان يؤخذ من رسوم الأفراح، كانت تجبى من سائر البلاد، و هى جهة لا يعرف لها أصل فبطل ذلك و نسى، و للّه الحمد.

و أبطل جباية المراكب، كانت تجبى من سائر المراكب التى فى بحر النيل بتقرير معيّن على كلّ مركب، يقال له مقرّر الحماية، كان يجبى ذلك من مسافرى المراكب سواء أكانوا أغنياء أم فقراء، فبطل ذلك أيضا.

و أبطل ما كان يأخذه مهتار طشتخاناه السلطان من البغايا و المنكرات و الفواحش، و كانت جملة مستكثرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۴۸

و أبطل ضمان تجيب بمصر و شدّ الزعماء و حقوق السودان و كشف مراكب النوبة، فكان يؤخذ عن كلّ عبد و جارية مبلغ مقرّر عند نزولهم فى الخانات، و كانت جهة قبيحة شنيعة إلى الغاية، فأراح اللّه المسلمين منها على يد الملك الناصر، رحمه اللّه.

و أبطل أيضا متوفّر الجراريف بالأقاليم، و كان عليها عدّة كثيرة من المقطعين.

و أبطل ما كان مقرّرا على المشاعلية من تنظيف أسربة البيوت و الحمّامات و المسامط و غيرها، فكان إذا امتلأ سراب بيت أو مدرسة

لا يمكن شيله حتى يحضر الضامن و يقرّر أجرته بما يختار، و متى لم يوافقه صاحب البيت تركه و مضى حتى يحتاج إليه و يبذل له ما يطلب.

و أبطل ما كان مقرّرا من الجبى برسم ثمن العبى و ثمن ركوة السّوّاس.

و أبطل أيضا وظيفتى النظر و الاستيفاء من سائر الأعمال، و كان فى كل بلد ناظر و مستوف و مباشرون، فرسم السلطان ألّا يستخدم أحد فى إقليم لا يكون للسلطان فيه مال، و ما كان للسلطان فيه مال يكون ناظرا و أمين حكم لا غير، و رفع يد سائر المباشرين من البلاد.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۴۹

قلت: و كلّ ما فعله الملك الناصر من إبطال هذه المظالم و المكوس دليل على حسن اعتقاده و غزير عقله و جودة تدبيره و تصرّفه، حيث أبطل هذه الجهات القبيحة التى كانت من أقبح الأمور و أشنعها و عوّضها من جهات لا يظلم فيها الرجل الواحد. و مثله فى ذلك كمثل الرجل الشجاع الذى لا يبالى بالقوم، كثروا أو قلّوا، فهو يكرّ فيهم فإن أوغل فيهم خلص، و إن كرّ راجعا لا يبالى بمن هو فى أثره، لما يعلم ما فى يده من نفسه، فأبطل لذلك ما قبح و أحدث ما صلح من غير تكلّف، و عدم تخوّف، فللّه درّه من ملك عمّر البلاد، و عمّر بالإحسان العباد. و هذا بخلاف من ولى بعده من السلاطين فإنهم لقصر باعهم عن إدراك المصلحه، مهما رأوه، و لو كان فيه هلاك الرعية، و عذاب البرية؛ يقولون: بهذا جرت العادة من قبلنا، فلا سبيل إلى تغيير ذلك و لو هلك العالم، فلعمرى هل تلك العادة حدثت من الكتاب و السّنة، أم أحدثها ملك مثلهم! و ما أرى هذا و أمثاله إلّا من جميل صنع اللّه تعالى، كى يتميّز العالم من الجاهل. انتهى.

ثم رسم السلطان الملك الناصر [بالمسامحة] بالبواقى الديوانية و الإقطاعية من سائر النواحى إلى آخر سنة أربع عشرة و سبعمائة. وجل الرّوك الهلالىّ لاستقبال صفر سنة ستّ عشرة و سبعمائة، و الرّوك الخراجىّ لاستقبال ثلث مغلّ سنة خمس عشرة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۵۰

و سبعمائة. و أفرد السلطان لخاصته الجيزية و أعمالها، و أخرجت الجوالى من الخاص و فرّقت فى البلاد، و أفردت الجهات التى بقيت من المكس كلها، و أضيفت إلى الوزير، و أفردت للحاشية بلاد، و لجوامك المباشرين بلاد، و لأرباب الرواتب جهات. و ارتجعت عدّة بلاد كانت اشتريت من بيت المال و حبست، فأدخلت فى الإقطاعات.

قلت: و شراء الإقطاعات من بيت المال شراء لا يعبأ اللّه به قديما و حديثا، فإنه متى احتاج بيت مال المسلمين إلى بيع قرية من القرى، و إنفاق ثمنها فى مصالح المسلمين! فهذا شىء لم يقع فى عصر من الأعصار، و إنما تشترى القرية من بيت المال؛ ثم إن السلطان يهب للشارى ثمن تلك القرية، فهذا البيع و إن جاز فى الظاهر لا يستحلّه الورع، و لا فعله السّلف، حتى إنّ الملك لا تجوز له النفقة من بيت المال إلّا بالمعروف، فمتى جاز له أن يهب الألوف المؤلّفة من أثمان القرى لمن لا يستحقّ أن يكون له النّزر اليسير من بيت المال، و هذا أمر ظاهر معروف يطول الشرح فى ذكره. و فى قصّة سيّدنا عمر بن الخطاب، رضى اللّه عنه، ما فرضه لنفسه من بيت المال كفاية عن الإكثار فى هذا المعنى. انتهى.

ثم إن السلطان رسم بأن يعتدّ فى سائر البلاد بما كان يهديه الفلّاحين و حسب من جملة المبلغ. فلمّا فرغ من العمل فى ذلك نودى فى الناس بالقاهرة و مصر و سائر الأعمال بإبطال ما أبطل من جهات المكس و غيره، و كتبت المراسيم بذلك إلى سائر النواحى بهذا الإحسان العظيم، فسّر الناس بذلك قاطبة سرورا عظيما، و ضجّ العالم بالدعاء للسلطان بسائر الأقطار، حتى شكر ذلك ملوك الفرنج، و هابته من حسن تدبيره. و وقع ذلك لملوك التتار و أرسلوا فى طلب الصّلح حسب ما يأتى ذكره.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۵۱

ثم جلس السلطان الملك الناصر بالإيوان الذى أنشأه بقلعة الجبل فى يوم الخميس ثانى عشرين ذى الحجّة سنة خمس عشرة و

سبعمائة لتفرقة المثالات. و هذا الرّوك يعرف بالرّوك الناصرى المعمول به إلى يومنا هذا، و حضروا الناس و رسم السلطان أن يفرّق فى كلّ يوم على أميرين من المقدّمين بمضافيهما، فكان المقدّم يقف بمضافيه، و يستدعى كلّ واحد باسمه، فإذا تقدّم المطلوب سأله السلطان، من أنت؟

و مملوك من أنت؟ حتّى لا يخفى عليه شىء من أمره، ثم يعطيه مثالا يلائمه؛ فأظهر السلطان فى هذا العرض عن معرفة تامّة بأحوال رعيّته، و أمور جيوشه و عساكره؛ و كان كبار الأمراء تحضر التّفرقة فكانوا إذا أخذوا فى شكر جندىّ عاكسهم السلطان، و أعطاه دون ما كان فى أملهم له، و أراد بذلك ألّا يتكلّم أحدهم فى المجلس، فلمّا علموا بذلك أمسكوا عن الكلام و الشكر، بحيث إنّه لا يتكلّم أحد منهم بعد ذلك إلا ردّ جواب له عما يسأل عنه فمشى الحال بذلك على أحسن وجه من غير غرض و لا عصبيّة، و أعطى لكلّ واحد ما يستحقّه.

قلت: و أين هذه الفعلة من فعل الملك الظاهر برقوق، رحمه اللّه؛ و قد أظهر من قلّة المعرفة، و إظهار الغرض التامّ، حيث أنعم على قريبه الأمير قجماس بإمرة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۵۲

مائة و تقدمة ألف بالديار المصرية، و هو إذ ذاك لا يحسن يتلفّظ بالشهادتين، فكان مباشر و إقطاعه يدخلون إليه مع أرباب و ظائفه فيجدون الفقيه يعلّمه الشهادة و قراءة الفاتحة و هو كالتّيس بين يدى الفقيه! فكان ذلك من جملة ذنوب الملك الظاهر برقوق التى عدّدوها له عند خروج الناصرىّ و منطاش عليه، و نفرت القلوب منه حتى خلع و حبس حسب ما يأتى ذكره. و لم أرد بذلك الحطّ على الملك الظاهر المذكور غير أنّ الشىء بالشىء يذكر. انتهى.

ثم فعل السلطان الملك الناصر ذلك مع مماليكه و عساكره، فكان يسأل المملوك عن اسمه و اسم تاجره و عن أصله و عن قدومه إلى الديار المصرية، و كم حضر مصافّ، و كم لعب بالرمح [و عن] سنّه، و من كان خصمه فى لعب الرّمح، و كم أقام سنة بالطبقة؟ فإن أجابه بصدق أنصفه و إلّا تركه، و رسم له بجامكيّة هيّنة حتى يصل إلى رتبة من يقطع بباب السلطان، فأعجب الناس هذا غاية العجب. و كان الملك الناصر أيضا يخيّر الشيخ المسنّ بين الإقطاع و الراتب، فيعطيه ما يختاره، و لم يقطع فى هذا العرض إلا العاجز عن الحركة، فيرتّب له ما يقوم به عوضا عن إقطاعه.

و اتّفق للسلطان أشياء فى هذا العرض، منها: أنّه تقدّم إليه شاب تامّ الخلقة فى وجهه أثر يشبه ضربة السيف، فأعجبه و ناوله مثالا بإقطاع جيّد، و قال له: فى أىّ مصاف وقع فى وجهك هذا السيف؟ فقال يا خوند: هذا ما هو أثر سيف، و إنّما وقعت من سلّم فصار فى وجهى هذا الأثر، فتبسّم السلطان و تركه،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۵۳

فقال له الفخر ناظر الجيش: ما بقى يصلح له هذا الخبز، فقال الملك الناصر:

قد صدقنى و قال الحق، و قد أخذ رزقه، فلو قال: أصبت فى المصافّ الفلانى، من كان يكذّبه! فدعت الأمراء له و انصرف الشابّ بالإقطاع. و منها: أنّه تقدّم إليه رجل دميم الخلق و له إقطاع ثقيل، عبرته ثمانمائة دينار، فأعطاه مثالا و انصرف به، عبرته نصف ما كان فى يده، فعاد و قبّل الأرض، فسأله السلطان عن حاجته؟

فقال: اللّه يحفظ السلطان، فإنّه غلط فى حقّى، فإنّ إقطاعى كانت عبرته ثمانمائة دينار، و هذا عبرته أربعمائة دينار؛ فقال السلطان: بل الغلط كان فى إقطاعك الأول، فامض بما قسم اللّه لك؛ و أشياء من هذا النوع إلى أن انتهت تفرقة المثالات فى آخر المحرّم سنة ستّ عشرة و سبعمائة، فوقر منها نحو مائتى مثال.

ثم أخذ السلطان فى عرض مماليك الطّباق و وفّر جوامك عدّة منهم، ثم أفرد جهة قطيا للعاجزين من الأجناد، و قرّر لكلّ منهم ثلاثة آلاف [درهم] فى السنة.

ثم إن السلطان ارتجع ما كانت المماليك البرجيّة اشترته من أراضى الجيزة و غيرها.

و ارتجع السلطان أيضا ما كان لبيبرس و سلّار و برلغى و الجوكندار و غيرهم من الرّزق

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۵۴

و غيرها، و أضاف ذلك كلّه لخاصّ السلطان، و بالغ السلطان فى إقامة الحرمة فى أيّام العرض، و عرّف الأمير أرغون النائب و أكابر الأمراء أنّه من ردّ مثالا أو تضرّر أو شكا ضرب و حبس و قطع خبزه، و أنّ أحدا من الأمراء لا يتكلّم مع السلطان فى أمر جندىّ و لا مملوك، فلم يتجاسر أحد يخالف ما رسم به؛ و غبن فى هذا الرّوك أكثر الأجناد، فإنّهم أخذوا إقطاعا دون الإقطاع الذى كان معهم، و قصد الأمراء التحدث فى ذلك مع السلطان، فنهاهم أرغون النائب عن ذلك، فقدّر اللّه تعالى أنّ الملك الناصر نزل إلى بركة الحجيج لصيد الكركى على العادة، و جلس فى البستان المنصورىّ الذى كان هناك ليستريح، فدخل بعض المرقداريّة يقال له عزيز و كان من عادته يهزل قدّام السلطان ليضحكه، فأخذ المرقدار يهزل و يمزح و يتمسخر قدّام السلطان و الأمراء جلوس، و هناك ساقية فتمادى فى الهزل لشؤم بخته إلى أن قال:

وجدت جنديّا من جند الرّوك الناصرىّ و هو راكب إكديشا، و خرجه و مخلاته و رمحه على كتفه، و أراد أن يتم الكلام، فآشتدّ غضب السلطان، فصاح فى المماليك: عرّوه ثيابه، ففى الحال خلعت عنه الثّياب، و ربط مع قواديس الساقية، و ضربت الأبقار حتى أسرعت فى الدوران، فصار عزيز المذكور تارة ينغمس فى الماء و تارة يظهر و هو يستغيث و قد عاين الموت، و السلطان يزداد غضبا و لم يجسر أحد من الأمراء أن يشفع فيه حتّى مضى نحو ساعتين و انقطع حسّه، فتقدّم الأمير طغاى الناصرىّ و الأمير قطلوبغا الفخرىّ الناصرىّ و قالا: ياخوند، هذا المسكين لم يرد إلّا أن يضحك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۵۵

السلطان و يطيّب خاطره، و لم يرد غير ذلك، فما زالا به حتّى أخرج الرجل و قد أشفى على الموت، و رسم بنفيه من الديار المصريّة، فعند ذلك حمد اللّه تعالى الأمراء على سكوتهم و تركهم الشفاعة فى تغيير مثالات الأجناد. انتهى أمر الرّوك و ما يتعلّق به.

و فى محرّم سنة ستّ عشرة و سبعمائة ورد الخبر على السلطان بموت خربندا ملك التّتار و جلوس ولده بو سعيد فى الملك بعده. ثم أفرج الملك الناصر عن الأمير بكتمر الحسامىّ الحاجب و خلع عليه يوم الخميس ثالث عشر شوّال من السنة المذكورة بنيابة صفد، و أنعم عليه بمائتى ألف درهم. ثم نقل السلطان فى السنة أيضا الأمير كراى المنصورىّ و سنقر الكمالىّ الحاجب من سجن الكرك إلى البرج بقلعة الجبل فسجنا بها.

ثمّ بدا له زيارة القدس الشريف، و نزل السلطان بعد أيام فى يوم الخميس رابع جمادى الأولى من سنة سبع عشرة و سبعمائة، [و سار] و معه خمسون أميرا، و كريم الدين الكبير ناظر الخواصّ و فخر الدين ناظر الجيش، و علاء الدين [علىّ بن أحمد بن سعيد] بن الأثير كاتب السّرّ، بعد ما فرّق فى كلّ واحد فرسا مسرجا و هجينا، و بعضهم ثلاث هجن، و كتب إلى الأمير تنكز نائب الشام أن يلقاه بالإقامات لزيارة القدس، فتوجّه إلى القدس و زاره، ثم توجّه إلى الكرك و دخله و أفرج عن جماعة، ثم عاد إلى الديار المصريّة فدخلها فى رابع عشر جمادى الآخرة، فكانت غيبته عن مصر أربعين يوما.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۵۶

ثمّ بعد مجىء السلطان وصل إلى القاهرة الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى، و الأمير بهادر آص، و الأمير بيبرس الدّوادار، و هؤلاء الذين أفرج عنهم من حبس الكرك، و خلع السلطان عليهم و أنعم على بهادر بإمرة فى دمشق، و لزم بيبرس داره، ثم أنعم عليه بإمرة و تقدمة ألف على عادته أوّلا.

ثم عزل السلطان الأمير بكتمر الحسامىّ الحاجب عن نيابة صفد فى أوّل سنة ثمانى عشرة و سبعمائة و قدم القاهرة و أنعم عليه بإمرة مائة و تقدمة ألف بديار مصر.

و فى هذه السنة تجهّز السلطان لركوب الميدان، و فرّق الخيل على جميع الأمراء، و استجدّ ركوب الأوجاقية بكوافى زركش على صفة الطاسات و هم الجفتاوات. و فيها ابتدأ السلطان بهدم المطبخ و هدم الحوائج خاناه و الطشتخاناه و جامع القلعة القديم، و أخلط الجميع و بناه الجامع الناصرى الذى هو بالقلعة الآن فجاء من أحسن المبانى. و تجدّد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۵۷

أيضا فى هذه السنة بدمشق ثلاثة جوامع: جامع الأمير تنكز المشهور به، و جامع كريم الدين، و جامع شمس الدين غبريال. ثم حجّ فى هذه السنة أمير الحاج الأمير مغلطاى الجمالىّ، و قبض بمكة على الشريف رميثة، و فرّ حميضة و قدم مغلطاى المذكور برميثة مقيّدا إلى القاهرة.

و فى سنة تسع عشرة و سبعمائة استجدّ السلطان القيام فوق الكرسىّ للأمير جمال الدين آقوش الأشرفىّ نائب الكرك الذى أفرج عنه السلطان فى السنة الماضية، و كذلك للأمير بكتمر البوبكرىّ السّلاح دار، فكانا إذا دخلا عليه قام لهما، و كان آقوش نائب الكرك يتقدّم على البوبكرى عند تقبيل يد السلطان، فعتب الأمراء على البوبكرى فى ذلك، فسأل البوبكرىّ السلطان عن تقديم نائب الكرك عليه، فقال:

لأنه أكبر منك فى المنزلة، فاستغرب الأمراء ذلك و كشفوا عنه، فوجدوا نائب الكرك تأمّر فى أيام الملك المنصور قلاوون [إمرة] عشرة، و جعله أستادار ابنه الأشرف خليل فى سنة خمس و ثمانين و ستمائة، و وجدوا البوبكرىّ تأمّر فى سنة تسعين و ستمائة فسكتوا الأمراء عند ذلك، و علموا أنّ السلطان يسير على القواعد القديمة و أنه أعرف منهم بمنازل الأمراء و غيرها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۵۸

و فيها اهتمّ السلطان لحركة السفر إلى الحجاز الشريف، و تقدّم كريم الدين الكبير ناظر الخواصّ إلى الإسكندرية لعمل الثّياب الحرير برسم كسوة الكعبة، و بينا السلطان فى ذلك وصلت تقدمة الأمير تنكز نائب الشام، و فيها الخيل و الهجن بأكوار ذهب و سلاسل ذهب و فضّة و مقاود حرير، و كانت عدّة كثيرة يطول الشرح فى ذكرها. ثم أيضا وصلت تقدمة الملك المؤيّد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة، و هى أيضا تشتمل على أشياء كثيرة، و تولّى كريم الدين تجهيز ما يحتاج إليه السلطان من كلّ شىء حتى إنه عمل له عدّة قدور من ذهب و فضّة [و نحاس] تحمل على البخاتىّ و يطبخ فيها للسلطان، و أحضر الخولة لعمل مباقل و رياحين فى أحواض خشب تحمل على الجمال فتسير مزروعة فيها و تسقى بالماء، و يحصد منها ما تدعو الحاجة إليه أوّلا بأوّل، فتهيأ من البقل و الكرّاث و الكسبرة و النعناع و أنواع المشمومات و الرّيحان شىء كثير، و رتّب لها الخولة لتعاهدها بالسقية و غيرها، و جهّزت الأفران و صنّاع الكماج و الجبن المقلى و غيره. و كتبت أوراق عليق السلطان و الأمراء الذين معه و عدّتهم اثنان و خمسون أميرا، لكل أمير ما بين مائة عليقة، [فى كل يوم] إلى خمسين عليقة إلى عشرين عليقة، و كانت جملة العليق فى مدّة سفر السلطان ذهابا و إيابا مائة ألف اردبّ و ثلاثين ألف إردب [من الشعير] و حمل تنكز من دمشق خمسمائة حمل على الجمال ما بين حلوى و سكر و فواكه و مائة و ثمانين حمل حبّ رمّان و لوز، و ما يحتاج إليه من أصناف الطبخ، و جهّز كريم الدين الكبير من الإوزّ ألف طائر، و من الدّجاج ثلاثة آلاف طائر، و أشياء كثيرة من ذلك.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۵۹

و عيّن السلطان للإقامة بديار مصر الأمير أرغون الناصرىّ النائب و معه الأمير أيتمش المحمّدىّ و غيره. ثم قدم الملك المؤيّد صاحب حماة إلى القاهرة ليتوجّه فى ركاب السلطان إلى الحجاز، و سافر المحمل على العادة فى ثامن عشر شوّال مع الأمير سيف الدين طرچى أمير مجلس، و ركب السلطان من قلعة الجبل فى أوّل ذى القعدة، و سار من بركة الحجّاج فى سادس ذى القعدة و صحبته المؤيد صاحب حماة و الأمراء و قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة الشافعىّ و غالب أرباب الدولة، و سار حتى وصل مكة المشرّفة بتواضع زائد بحيث إنّ السلطان قال للأمير جنكلى بن البابا: لا زلت أعظّم نفسى إلى أن رأيت الكعبة المشرّفة و ذكرت بوس الناس

الأرض لى، فدخلت فى قلبى مهابة عظيمة ما زالت عنى حتى سجدت للّه تعالى. و كان السلطان لما دخل مكة حسّن له قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة أن يطوف بالبيت راكبا كما فعل النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم، فقال له الملك الناصر: و من أنا! حتى أتشبّه بالنبىّ صلى اللّه عليه و سلم، و اللّه لا طفت إلا كما يطوف الناس! و منع الحجّاب من منع الناس أن يطوفوا معه، و صاروا يزاحمونه و هو يزاحمهم كواحد منهم فى مدّة طوافه، و فى تقبيله الحجر الأسود.

قلت: و هذه حجّة الملك الناصر الثانية. و لما كان الملك الناصر بمكّة بلغه أن جماعة من المغل ممّن حجّ فى هذه السنة قد اختفى خوفا منه فأحضرهم السلطان و أنعم عليهم و بالغ فى إكرامهم. و غسل السلطان الكعبة بيده و صار يأخذ أزر إحرام الحجّاج و يغسلها لهم فى داخل البيت بنفسه، ثم يدفعها لهم، و كثر الدعاء له. و أبطل سائر المكوس من الحرمين الشريفين، و عوّض أميرى مكة و المدينة عنها إقطاعات بمصر و الشام، و أحسن إلى أهل الحرمين، و أكثر من الصدقات.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۶۰

و فى هذه السنة مهّد السلطان ما كان فى عقبة أيلة من الصخور، و وسّع طريقها، حتى أمكن سلوكها بغير مشقّة، و أنفق على ذلك جملا مستكثرة، و اتفق لكريم الدين الكبير ناظر الخاصة أمر غريب بمكة فيه موعظة، و هو أنّ السلطان بالغ فى تواضعه فى هذه الحجّة للغاية، فلما أخرجت الكسوة لتعمل على البيت صعد كريم الدين المذكور إلى أعلى الكعبة بعد ما صلّى بجوفها، ثم جلس على العتبة ينظر فى الخيّاطين، فأنكر الناس استعلاءه على الطائفين، فبعث اللّه عليه و هو جالس نعاسا سقط منه على رأسه من علو البيت فلو لم يتداركوه من تحته لهلك، و صرخ الناس فى الطواف صرخة عظيمة تعجّبا من ظهور قدرة اللّه تعالى فى إذلال المتكبرين! و انقطع ظفر كريم الدين و علم بذنبه فتصدّق بمال جزيل.

و فى هذه السّفرة أيضا أجرى السلطان الماء لخليص و كان انقطع من مدّة سنين، و لقى السلطان فى هذه السّفرة جميع العربان و ملوكها من بنى مهدىّ و أمرائها و شطى و أخاه عسّافا و أولاده و أشراف مكة من الأمراء و غيرهم، و أشراف المدينة و ينبع و غيرهم، و عرب خليص و بنى لأم و عربان حوران و أولاد مهنّا: موسى و سليمان و فيّاضا و أحمد و غيرهم، و لم يتفق اجتماعهم عند ملك غيره، و أنعم عليهم بإقطاعات و صلات و تدلّلوا على السلطان، حتى إنّ موسى بن مهنّا كان له ولد صغير فقام فى بعض

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۶۱

الأيام و مدّ يده إلى لحية السلطان و قال له: يا أبا علىّ بحياة هذه اللّحية و مسك منها شعرات إلّا ما أعطيتنى الضّيعة الفلانية إنعاما علىّ، فصرخ فيه فخر الدين ناظر الجيش و قال له:

شل يدك، قطع اللّه يدك! تمدّ يدك إلى السلطان، فتبسّم له السلطان و قال: هذه عادة العرب، إذا قصدوا كبيرا فى شىء فيكون عظمته عندهم مسك لحيته، يريد أنه استجار بذلك المسّ، فهو سنّة عندهم؛ فغضب الفخر ناظر الجيش و قام و هو يقول: إنّ هؤلاء مناحيس و سنّتهم أنحس. ثم عاد السلطان بعد أن قضى مناسكه إلى جهة الديار المصرية فى يوم السبت ثانى عشر المحرّم سنة عشرين و سبعمائة بعد أن خرج الأمراء إلى لقائه ببركة الحجّاج، و ركب السلطان بعد انقضاء السّماط فى موكب عظيم، و قد خرج الناس لرؤيته و سار حتى طلع القلعة، فكان يوما مشهودا، و زيّنت القاهرة و مصر زينة عظيمة لقدومه، و كثرت التهانى و أرباب الملاهى من الطبول و الزمور، و جلس السلطان على تخت الملك و خلع على الأمراء و ألبس كريم الدين الكبير أطلسين، و لم يتّفق ذلك لمتعمّم قبله. ثم خلع السلطان على الملك المؤيد إسماعيل صاحب حماة و أركبه بشعار السلطنة من المدرسة المنصورية بين القصرين، و حمل وراءه الأمير قجليس السّلاح دار السّلاح، و حمل الأمير ألجاى الدّوادار الدواة، و ركب معه الأمير بيبرس الأحمدى أمير جاندار و الأمير طيبرس، و سار بالغاشية و العصائب و سائر دست السلطنة و هم بالخلع معه إلى أن طلع إلى القلعة، فكان عدّة تشاريف من سار معه مائة و ثلاثين تشريفا فيها ثلاثة عشر أطلس و البقية كنجى و عمل الدار و طرد وحش، و قبّل الأرض و جلس على ميمنة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۶۲

السلطان و لقّبه السلطان بالملك المؤيّد و سافر من يومه بعد ما جهّزه السلطان بسائر ما يحتاج إليه. ثم أفرج السلطان عن جماعة من الأمراء المحبوسين، و عدّتهم ازيد من عشرة نفر. ثم ندب السلطان الأمير بيبرس الأحمدى الحاجب و طائفة من الأجناد إلى مكة ليقيم بها بدل الأمير آق سنقر شادّ العمائر خوفا من هجوم الشريف حميضة على مكّة.

و فى هذه السنة أبطل السلطان مكس الملح بالقاهرة و أعمالها فأبيع الإردبّ الملح بثلاثة دراهم بعد ما كان بعشرة دراهم. ثمّ أذن السلطان للأمير أرغون النائب فى الحجّ فحجّ، و عاد فى سنة إحدى و عشرين بعد أن مشى من مكّة إلى عرفات على قدميه تواضعا. ثم أخرج السلطان الأمير شرف الدين حسين بن جندر إلى الشام على إقطاع الأمير جوبان، و نقل جوبان على إمرة بديار مصر. و سبب نفى الأمير حسين أنّه لمّا أنشأ جامعه المعروف بجامع أمير حسين بجوار داره على الخليج

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج۹؛ ص۶۳

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۶۳

فى البرّ الغربىّ بحكر جوهر النّوبى. ثم عمّر القنطرة و أراد أن يفتح فى سور القاهرة خوخة تنتهى إلى حارة الوزيريّة، فأذن له السلطان فى فتحها، فخرق بابا كبيرا و عمل عليه رنكه، فسعى به علم الدين سنجر الخيّاط متولّى القاهرة، و عظم الأمر على السلطان فى فتح هذا الباب المذكور، فرسم بنفيه فى سنة إحدى و عشرين و سبعمائة المذكورة.

و فيها وقع الحريق بالقاهرة [و مصر] فابتدأ من يوم السبت خامس عشر جمادى الأولى و تواتر إلى سلخه، و كان ممّا احترق فيه الرّبع الذى بالشّوّايين من أوقاف

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۶۴

البيمارستان المنصورىّ و اجتهد الأمراء فى طفيه، فوقع الحريق فى حارة الدّيلم قريبا من دار كريم الدين الكبير، و دخل اللّيل و اشتدّ هبوب الرياح فسرت النار فى عدّة أماكن، و بعث كريم الدين ابنه عبد اللّه للسلطان فعرّفه، فبعث السلطان لإطفائه عدّة كثيرة من الأمراء و المماليك خوفا على الحواصل السلطانية، فتعاظم الأمر و عجز آق سنقر شاد العمائر، و النار تعمل طول نهار الأحد، و خرج النساء مسيّبات و بات الناس على ذلك، و أصبحوا يوم الاثنين و النار تلفّ ما تمرّ به، و الهدم واقع فى الدور المجاورة للحريق. و خرج أمر الحريق عن القدرة البشريّة، و خرجت ريح عاصفة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۶۵

ألقت النخيل و غرّقت المراكب و نشرت النار، فما شكّ الناس [فى] أنّ القيامة قد قامت، و عظم شرر النّيران و صارت تسقط الأماكن البعيدة، فخرج الناس و تعلّقوا بالموادن و اجتمعوا فى الجوامع و الزوايا و ضجّوا بالدعاء و التضرّع إلى اللّه تعالى، و صعد السلطان إلى أعلى القصر فهاله ما شاهده، و أصبح الناس فى يوم الثلاثاء، فى أسوإ حال، فنزل أرغون النائب بسائر الأمراء و جميع من فى القلعة، و جمع أهل القاهرة و نقل الماء على جمال الأمراء، ثم لحقه الأمير بكتمر الساقى بالجمال السلطانية، و منعت أبواب القاهرة ألّا يخرج منها سقّاء، و نقلت المياه من المدارس و الحمّامات و الآبار، و جمعت سائر البنّائين و النجّارين فهدمت الدور من أسفلها، و النار تحرق فى سقوفها و عمل الأمراء الألوف، و عدّتهم أربعة و عشرون أميرا بأنفسهم فى طفى الحريق و معهم مضافوهم من أمراء الطبلخاناه و العشرات، و تناولوا الماء بالقرب من السّقائين بحيث صار من باب زويلة إلى حارة الروم بحرا، فكان يوما لم ير أشنع منه، بحيث إنه لم يبق أحد إلا- و هو فى شغل، و وقف الأمير أرغون النائب و بكتمر الساقى حتى نقلت الحواصل السلطانية من بيت كريم الدين ناظر الخاص إلى بيت

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۶۶

ولده علم الدين عبد اللّه بدرب الرصاصى، و هدم لأجل نقل الحواصل سبع عشرة دارا، و خمدت النار و عاد الأمراء؛ فوقع الصّياح فى ليلة الأربعاء بحريق آخر وقع بربع الملك الظاهر بيبرس خارج باب زويلة و بقيساريّة الفقراء، و هبّت الرياح مع ذلك فركبت الحجّاب

و الوالى فعملوا فى طفيها عملا إلى بعد ظهر يوم الأربعاء، و هدموا دورا كثيرة، فما كاد أن تفزغ الأمراء من إطفاء ربع الملك الظاهر، حتى وقعت النار فى بيت الأمير سلّار بخطّ بين القصرين، و إذا بالنار ابتدأت من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۶۷

أصل البادهنج و كان ارتفاعه من الأرض زيادة على مائة ذراع بذراع العمل، و رأوا فيه نفطا قد عمل فيه فتيلة كبيرة، فما زالوا بالنار حتى أطفئت من غير أن يكون لها أثر كبير. فنودى أن يعمل بجانب كلّ حانوت بالقاهرة و مصر زير أودنّ كبير ملأن ماء.

ثم فى ليلة الخميس وقع الحريق بحارة الروم و بموضع آخر خارج القاهرة، و تمادّى الحال على ذلك لا يخلو وقوع الحريق بالقاهرة و مصر، فشاع بين الناس أنّ الحريق من جهة النصارى لمّا أبكاهم هدم الكنائس. ثم وقع الحريق فى عدّة مساجد و جوامع و دور، إلى أن كان ليلة الجمعة حادى عشرينه قبض على راهبين خرجا من المدرسة الكهاريّة بالقاهرة و قد أرميا النار بها، فأحضرا إلى الأمير علم الدين سنجر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۶۸

والى القاهرة و شمّ منهما رائحة الكبريت و الزّيت، فأحضرهما من الغد إلى السلطان فأمر بعقوبتهما حتى يعترفا، فلما نزل بهما وجد العامة قد قبضت على نصرانىّ، و هو خارج و الأثر فى يديه من جامع الظاهر بالحسينيّة و معه كعكة خروق و بها نفط و قطران، و قد وضعها بجانب المنبر، فلما فاح الدّخان أنكروا و وجدوا النّصرانىّ و هو خارج و الأثر فى يديه كما ذكر فعوقب قبل صاحبيه، فاعترف أنّ جماعة من النصارى قد اجتمعوا و عملوا النّفط و فرّقوه على جماعة ليدوروا به على المواضع، ثم عاقب الراهبين فاعترفا بأنهما من دير البغل و أنهما اللذان أحرقا سائر الأماكن نكاية للمسلمين بسبب هدم الكنائس، و كان أمرهم أنهم عملوا النّفط و حشوه فى فتائل و عملوها فى سهام و رموا بها، فكانت الفتيلة إذا خرجت من السهم تقع على مسافة مائة ذراع أو أكثر، فأمر السلطان كريم الدين الكبير يطلب البترك فطلبه و بالغ فى إكرامه على عادة القبطية، و أعلمه كريم الدين بما وقع فبكى، و قال: هؤلاء سفهاء، قد عملوا كما فعل سفهاؤكم بالكنائس من غير إذن السلطان، و الحكم للسلطان، ثم ركب بغلة و توجّه إلى حال سبيله، فكادت الناس أن تقتله، لو لا حماية المماليك له، ثم ركب كريم الدين من الغد إلى القلعة، فصاحت عليه العوامّ و أسمعته ما يكره، فلما طلع كريم الدين عرّف السلطان بمقالة البترك و اعتنى به، و كان النصارى أقرّوا على أربعة عشر راهبا بدير البغل، فقبض عليهم و عملت حفيرة كبيرة بشارع الصليبة و أحرق فيها أربعة منهم فى يوم الجمعة، و اشتدّت العامّة عند ذلك على النصارى، و أهانوهم و سلبوهم ثيابهم و ألقوهم عن الدوابّ إلى الأرض. و ركب السلطان إلى الميدان فى يوم السبت و قد اجتمع عالم عظيم، و صاحوا: نصر اللّه الإسلام، انصر دين محمد بن عبد اللّه،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۶۹

فلما استقرّ السلطان بالميدان أحضر والى القاهرة نصرانيين قد قبض عليهما فأحرقا خارج الميدان، و خرج كريم الدين من الميدان و عليه التشريف، فصاحت به العامّة:

كم تحامى للنصارى! و سبّوه و رموه بالحجارة، فعاد إلى الميدان، فشقّ ذلك على السلطان، و استشار السلطان الأمراء فى أمر العامّة، فأشار عليه الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك بعزل الكتّاب النصارى، فإنّ الناس قد أبغضوهم، فلم يرضه ذلك، و تقدّم إلى ألماس الحاجب أن يخرج فى أربعة أمراء و يضع السيف فى العامّة حتى ينتهى إلى باب زويلة، و يمرّ كذلك إلى باب النصر و لا يرفع السيف عن أحد، و أمر والى القاهرة أن يتوجه إلى باب اللّوق و باب البحر و يقبض على من وجده من العامّة و يحمله إلى القلعة، و عيّن لذلك أيضا عدّة مماليك فخرجوا من الميدان، فبادر كريم الدين و سأل السلطان العفو فقبل شفاعته، و رسم بالقبض على العامّة من غير قتلهم، و كان الخبر بلغ العامّة ففرّت العامّة حتى الغلمان و صار الأمير لا يجد من يركّبه، و انتشر ذلك فغلقّت الأسواق بالقاهرة فكانت ساعة لم يمرّ بالناس أبشع منها، و هى من هفوات الملك الناصر. و مرّ الوالى بباب اللّوق و بولاق و باب البحر و قبض على

كثير من الكلابزيّة و أراذل العامّة بحيث إنه صار كلّ من رآه أخذه، و جفل الناس من الخوف و عدّوا فى المراكب إلى برّ الجيزة. فلمّا عاد السلطان إلى القلعة لم يجد أحدا فى طريقه، و أحضر إليه الوالى من قبض عليه، و هم نحو المائتين فرسم السلطان بجماعة منهم للصّلب، و أفرد جماعة للشّنق، و جماعة للتوسيط، و جماعة لقطع الأيدى، فصاحوا:

ياخوند، ما يحلّ لك، ما نحن الغرماء فرقّ لهم بكتمر الساقى و قام و معه الأمراء، و ما زالوا به حتى أمر بصلب جماعة منهم على الخشب من باب زويلة إلى قلعة الجبل، و أن يعلّقوا بأيديهم، ففعل بهم ذلك و أصبحوا يوم الأحد صفّا واحدا من باب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۷۰

زريلة إلى تحت القلعة، فتوجّع لهم الناس و كان منهم كثير من بياض الناس و لم تفتح القاهرة، و خاف كريم الدين على نفسه و لم يسلك من باب زويلة و طلع القلعة من خارج السّور، و إذا بالسلطان قد قدّم الكلابزية و أخذ فى قطع أيديهم، فكشف كريم الدين رأسه و قبّل الأرض و باس رجل السلطان و سأل السلطان العفو عن هؤلاء، فأجابه بمساعدة الأمير بكتمر، و أمر بهم فقيّدوا و أخرجوا للعمل فى الحفر بالجيزة، و مات ممن قطع [يده] رجلان و أمر بحفظ من علّق على الخشب.

و فى الحال وقع الصوت بحريق أماكن بجوار جامع أحد ابن طولون و بوقوع الحريق فى القلعة و فى بيت بيبرس الأحمدىّ بحارة بهاء الدين قراقوش و بفندق طرنطاى خارج باب البحر فدهش السلطان، و كان هذا الفندق برسم تجّار الزّيت فعمّت النار كلّ ما فيه، حتى العمد الرّخام و كانت ستة عشر عمودا، طول كلّ عمود ست أذرع بالعمل، و دوره نحو ذراعين فصارت كلّها جيرا، و تلف فيه لتاجر واحد ما قيمته تسعون ألف درهم، و قبض فيه على ثلاثة نصارى و معهم فتائل النّفط اعترفوا أنهم فعلوا ذلك. فلمّا كان يوم السبت تاسع عشرين جمادى الأولى المذكور ركب السلطان إلى الميدان فوجد نحو العشرين ألفا من العامّة فى طريقه قد صبغوا خروقا بالأزرق و الأصفر و عملوا فى الأزرق صلبانا بيضاء و رفعوها

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۷۱

على الجريد و صاحوا عليه صيحة واحدة: لا دين إلّا دين الإسلام، نصر اللّه دين محمد بن عبد اللّه، يا ملك الناصر يا سلطان الإسلام، انصرنا على أهل الكفر و لا تنصر النصارى، فخشع السلطان و الأمراء و توجه إلى الميدان و قد اشتغل سرّه، و ركبت العامة أسوار الميدان و رفعوا الخروق الزّرق و هم يصيحون لا- دين إلا- دين الإسلام، فخاف السلطان الفتنة و رجع إلى مداراتهم و تقدّم إلى الحاجب أن يخرج فينادى من وجد نصرانيا فدمه و ماله حلال، فلما سمعوا النّداء صرخوا صوتا واحدا: نصرك اللّه، فارتجّت الأرض. ثم نودى عقيب ذلك [بالقاهرة و مصر] من وجد نصرانيا بعمامة بيضاء حلّ دمه، و كتب مرسوم بلبس النصارى العمائم الزّرق، و ألّا يركبوا فرسا و لا بغلا و لا يدخلوا الحمّام إلا بجرس فى أعناقهم، و لا يتزيّوا بزىّ المسلمين، هم و نساؤهم و أولادهم، و رسم للأمراء بإخراج النصارى من دواوينهم و دواوين السلطان، و كتب بذلك إلى سائر الأعمال.

و غلّقت الكنائس و الأديرة و تجرّأت العامّة على النصارى حيث وجدوهم ضربوهم و عرّوهم، فلم يتجاسر نصرانىّ أن يخرج من بيته، فكان النصرانىّ إذا عنّ له أمر يتزيّا بزىّ اليهود فيلبس عمامة صفراء يكتريها من يهودىّ ليخرج فى حاجته. و اتفق أنّ بعض كتّاب النصارى حضر إلى يهودىّ له عليه مبلغ كبير ليأخذ منه شيئا، فأمسكه اليهودىّ و صاح: أنا بالله و بالمسلمين، فخاف النصرانى و قال له: أبرأت ذمّتك و كتب له خطه بالبراءة و فرّ. و احتاج عدّة من النصارى إلى إظهارهم الإسلام، فأسلم السّنّى [ابن ست بهجة] الكاتب و غيره، و اعترف بعضهم على راهب دير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۷۲

الخندق أنه كان ينفق المال فى عمل النّفط للحريق و معه أربعة، فأخذوا و سمّروا و انبسطت عند ذلك ألسنة الأمراء فى كريم الدين أكرم الصغير، و حصلت مفاوضة بين الأمير قطلوبغا الفخرىّ و بين بكتمر الساقى بسبب كريم الدين [الكبير]، لأن بكتمر كان يعتنى به و بالدواوين، و كان الفخرىّ يضع منه.

قلت: و لأجل هذا راح كريم الدين من الدنيا على أقبح وجه! و أخرب اللّه دياره بعد ذلك بقليل.

و استمرّ الفخرىّ على رتبته بعد سنين عديدة. قال: و صار مع كلّ من الأميرين جماعة و بلغ السلطان ذلك، و أنّ الأمراء تترقّب وقوع فتنة، و صار السلطان إذا ركب إلى الميدان لا يرى فى طريقه أحدا من العامّة لكثرة خوفهم أن يبطش السلطان بهم فلم يعجبه ذلك، و نادى بحروج الناس للفرجة على الميدان و لهم الأمان و الاطمئنان فخرجوا على عادتهم. ثم وقع الحريق بالقاهرة و اشتدّ أمره إلى أن طفئ، و سافر كريم الذين الكبير إلى الإسكندرية و شدّد على النصارى فى لبسهم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۷۳

و ركوبهم حتى يتقرّب بذلك إلى خواطر العامّة. ثم تنكّرت المماليك السلطانية على كريم الدين الكبير لتأخّر جوامكهم شهرين، و تجمّعوا يوم الخميس ثامن عشرين صفر قبل الظهر و وقفوا بباب القصر، و كان السلطان فى الحريم، فلمّا بلغه ذلك خشى منهم، و بعث إليهم بكتمر الساقى فلم يلفتوا إليه، فخرج السلطان إليهم و قد صاروا نحو ألف و خمسمائة، فعند ما رآهم السلطان سبّهم و أهانهم و أخذ العصاة من مقدّم المماليك و ضرب بها رءوسهم و أكتافهم، و صاح فيهم: اطلعوا مكانكم فعادوا بأجمعهم إلى الطّباق، و عدّت سلامة السلطان فى هذه الواقعة من العجائب، فإنّه خرج إليهم فى جماعة يسيرة من الخدّام، و هم غوغاء لا رأس لهم و لا عقل و معهم السّلاح. انتهى.

ثمّ أمر السلطان للنائب بعرضهم (أعنى المماليك) فعرضهم فى يوم السبت آخر صفر و أخرج منهم مائة و ثمانين إلى البلاد الشاميّة فرّقهم على الأمراء، و أخرج بعد ذلك جماعة منهم من الطّباق إلى خرائب التتار بقلعة الجبل، و ضرب بعضهم بالمقارع هو و غلامه لكونه شرب الخمر ضربا مبرّحا مات منه المملوك بعد يومين.

قلت: لا شلّت يداه، هذا و أبيك العمل! ثم أنقص السلطان جوامك من بقى من مماليك الطّباق، ثم أخرج جماعة من خدّام الطّباق الطواشيّة (أعنى مقدّمى الطّباق) و قطع جوامكهم و أنزلهم من القلعة لكونهم فرّطوا فى تربية المماليك.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۷۴

ثم غيّر السلطان موضع دار العدل التى أنشأها الملك الظاهر بيبرس و هدمها و جعلها موضع الطبلخاناه الآن، و ذلك فى شهر رمضان سنة اثنتين و عشرين و سبعمائة، و لمّا هدم الموضع المذكور وجد فى أساسه أربعة قبور، فنبشت فوجد بها رمم أناس طوال عراض و أحدها مغطّاة بملاءة ديبقىّ ملوّنة، إذا مسّ منها شىء تطاير لطول مكثه، و عليهم عدّة القتال و بهم جراحات، و فى وجه أحدهم ضربة سيف بين عينيه عليها قطن، فعندما رفع القطن نبع الدّم من تحته و شوهد الجرح كأنّه جديد، فنقلوا إلى بين العروستين و جعل عليهم مسجد.

و فى شعبان زوّج الملك الناصر ابنته للأمير أبى بكر بن أرغون النائب الناصرىّ، و تولّى العقد قاضى القضاة شمس الدين محمد بن الحريرىّ الحنفىّ على أربعة آلاف دينار. ثم قدم الملك المؤيّد صاحب حماة على السلطان بالديار المصريّة و توجّه فى خدمة الملك الناصر إلى قوص بالوجه القبلىّ للصيد، و عاد السلطان من قوص إلى جهة القاهرة فى أوّل محرّم سنة ثلاث و عشرين و سبعمائة الموافق لرابع عشر طوبة، و نزل بالجيزة، و خلع على الملك المؤيّد خلعة السفر. ثم استدعى السلطان الحريم السلطانىّ إلى برّ الجيزة، فطرد سائر الناس من الطّرقات، و غلّقت الحوانيت، و نزلت خوند طغاى زوجة السلطان و أمّ ولده آنوك، و الأمير أيدعمش الأمير آخور كبير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۷۵

ماش يقود عنان فرسها بيده و حولها سائر الخدّام مشاة منذ ركبت من القلعة إلى أن وصلت إلى النيل فعدّت فى الحرّاقة. ثم استدعى السلطان الأمير بكتمر الساقى و غيره من الأمراء الخاصّكيّة و حريمهم و أقام السلطان بالجيزة أيّاما إلى أن عاد إلى القلعة فى خامس عشره، و قد توعك كريم الدين الكبير. ثم قدم الحاجّ فى سادس عشرين المحرّم. ثم عوفى كريم الدين فخلع السلطان عليه خلعة

أطلس بطرز زركش و كلفتاة زركش و حياصة ذهب فاستعظم الناس ذلك، و بالغ السلطان فى الإنعام على الحكماء. ثم بعد أيام قبض السلطان على كريم الدين المذكور فى يوم الخميس رابع عشر شهر ربيع الآخر. و هو كريم الدين عبد الكريم ابن المعلّم هبة اللّه بن السّديد ناظر الخواصّ و وكيل السلطان و عظيم دولته، و أحيط بداره و صودر فوجد له شىء كثير جدّا، و لا زال فى المصادرة إلى أن أفرج عنه فى يوم الأربعاء رابع عشرين جمادى الآخرة، و ألزمه السلطان بإقامته بتربته بالقرافة. ثم إنّ السلطان أخرجه إلى الشّوبك ثم نقله إلى القدس ثم طلب إلى مصر و جهّز إلى أسوان، و بعد قليل أصبح مشنوقا بعمامته (يعنى أنه شنق نفسه)، و ليس الأمر كذلك؛ و قيل إنه لما أحسّ بقتله صلّى ركعتين و قال: هاتوا عشنا سعداء و متنا شهداء، و كان الناس يقولون: ما عمل أحد مع أحد ما عمله الملك الناصر مع كريم الدين أعطاه الدنيا و الآخرة، و معنى هذا أنّه كان حكّمه فى الدولة، ثم قتله، و المقتول ظلما فى الجنة. و أصل كريم الدين هذا كان من كتبة النصارى ثم أسلم كهلا فى أيّام بيبرس الجاشنكير، و كان كاتبه، و كان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۷۶

الجاشنكير لا يصرف على الملك الناصر إلّا بقلم كريم الدين، و كان الناصر إذ ذاك تحت حجر الجاشنكير؛ و لمّا قتل بيبرس الجاشنكير اختفى كريم الدين هذا مدّة ثم طلع مع الأمير طغاى [الكبير] فأوقفه طغاى ثم دخل إلى السلطان و هو يضحك، و قال له: إن حضر كريم الدين إيش تعطينى؟ ففرح السلطان و قال: أعندك هو؟

أحضره، فخرج و أحضره و قال له: مهما قال لك قل له: السمع و الطاعة، و دعنى أدبّر أمرك، فلمّا مثل بين يدى السلطان قال له بعد أن استشاط غضبا: اخرج و احمل ألف ألف دينار، فقال: نعم، و أراد الخروج، فقال له السلطان: لا، كثير، احمل خمسمائة ألف دينار فقال له: كما قال أوّلا، و لا زال السلطان ينقصه من نفسه إلى أن ألزمه بمائة ألف دينار، فلمّا خرج على أن يحمل ذلك، قال له طغاى المذكور: لا تصقع ذقنك و تحضر الجميع الآن، و لكن هات منها عشرة آلاف دينار ففعل ذلك، و دخل بها إلى السلطان و صار يأتيه بالنقدة من ثلاثة آلاف دينار إلى ما دونها، و لما بقى عليه بعضها أخذ طغاى و القاضى فخر الدين ناظر الجيش فى إصلاح أمره، و لا زالا بالسلطان حتّى أنعم عليه بما بقى، و استخدمه ناظر الخاص، و هو أوّل من باشر هذه الوظيفة بتجمّل و لم تكن تعرف أولا، ثم تقدّم عند السلطان حتى صار أعزّ الناس عليه، و حجّ مع خوند طغاى زوجة السلطان بتجمّل زائد، ذكرناه فى ترجمته فى المنهل الصافى، و كان يخدم كلّ أحد من الأمراء الكبار المشايخ و الخاصّكيّة و أرباب الوظائف و الجمدارية الصّغار و كلّ أحد حتى الأوجاقيّة، و كان يركب فى خدمته سبعون مملوكا بكنابيش عمل الدار و طرز ذهب و الأمراء تركب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۷۷

فى خدمته. و من جملة ما ناله من السعادة و الوجاهة عند الملك الناصر أنّه مرّة طلبه السلطان إلى الدور، فدخل عليه و بقيت خازندارة خوند طغاى تروح إليه و تجىء مرّات فيما تطلبه خوند طغاى من كريم الدين هذا و طال الأمر، فقال السلطان [له]:

يا قاضى إيش حاجة لهذا التطويل، بنتك ما تختبئ منك! ادخل إليها أبصر ما تريده افعله لها، فقام كريم الدين دخل إليها، و قال لها السلطان: أبوك هنا أبصرى له ما يأكل؛ فأخرجت له طعاما و قام السلطان إلى كرمة فى الدار و قطع منها عنبا و أحضره بيده و هو ينفخه من الغبار، و قال: يا قاضى كل من عنب دارنا. و هذا شىء لم يقع لأحد غيره مثله مع الملك الناصر و أشياء كثيرة من ذلك. و كان حسن الإسلام كريم النّفس؛ قيل إنه كان فى كلّ قليل يحاسب صيرفيه فيجد فى الوصولات و صولات زور. ثم بعد حين وقع بالمزوّر فقال له: ما حملك على هذا؟ فقال:

الحاجة، فأطلقه، و قال [له]: كلما احتجت إلى شىء اكتب به خطّك على عادتك على هذا الصّيرفى و لكن ارفق، فإنّ علينا كلفا كثيرة. و كان إذا قال: نعم، كانت نعم، و إذا قال: لا، فهى لا. و لما قبض السلطان عليه خلع على الأمير آقوش نائب الكرك باستقراره فى نظر البيمارستان المنصوريّ عوضا عن كريم الدين المذكور. فوجد آقوش حاصله أربعمائة ألف درهم.

ثم أمر السلطان فنودى فى يوم الأربعاء سادس المحرّم سنة أربع و عشرين و سبعمائة على الفلوس أن يتعامل الناس بها بالرّطل، على أنّ

كل رطل منها بدرهمين، و رسم بضرب فلوس زنة الفلس منها درهم [و ثمن]، فضرب منها نحو مائتى ألف درهم فرقت على الناس. ثم رسم السلطان بأن يكتب له كل يوم أوراق بالحاصل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۷۸

من تعلّقات السلطنة و المصروف منها فى كل يوم، فصارت تعرض عليه كل يوم و يباشر ذلك بنفسه فتوفّر مال كثير و شقّ ذلك على الدواوين.

ثم سافر السلطان إلى الوجه القبلى للصيد و عاد فى ثالث عشر المحرّم سنة خمس و عشرين و سبعمائة. و فى هذه السنة قدم على الملك الناصر رسل صاحب اليمن، و رسل صاحب اسطنبول، و رسل الأشكرى، و رسل متملّك سيس، و رسل إلقان بو سعيد، و رسل صاحب ماردين، و رسل ابن قرمان، و رسل متملّك النوبة، و كلهم يبذلون الطاعة. و سأل رسل صاحب اليمن الملك المجاهد إنجاده بعسكر من مصر و أكثر من ترغيب السلطان فى المال الذى باليمن، فرسم السلطان بتجهيز العسكر إلى اليمن صحبة الأمير بيبرس الحاجب و معه من أمراء الطبلخاناه خمسة، و هم: آقول الجاجب، و قجماس الجوكندار، و بلبان الصّرخدىّ، و بكتمر العلائى الأستادار، و ألجاى الناصرىّ الساقىّ، و من العشرات: عزّ الدين أيدمر الكوندكىّ و شمس الدين إبراهيم التّركمانىّ، و أربعه من مقدّمى الحلقة، و هؤلاء العسكر لهم مقدّمة أخرى كالجاليش عليها الأمير سيف الدين طينال الحاجب، و معه خمسة من أمراء الطبلخاناه و هم: الأمير ططقرا الناصرى و علاء الدين علىّ بن طغريل الإيغانىّ و جرباش أمير علم، و أيبك الكوندكى و كوكاى طاز، و أربعة من مقدّمى الحلقة، و من العشرات بلبان الدّوادارى و طرنطاى الإسماعيلىّ والى باب القلعة، و من مماليك السلطان ثلثمائة فارس، و من أجناد الحلقة تتمّة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۷۹

الألف فارس؛ و فرّقت فيهم أوراق السّفر، و كتب بحضور العربان من الشرقيّة و الغربية لأجل الجمال.

ثم خرج السلطان إلى سرياقوس على العادة فى كل سنة و قبض على الأمير بكتمر الحاجب بها، و على أمير آخر فى يوم الخميس ثامن شهر ربيع الأوّل. ثم قدم على السلطان الأمير تنكز الناصرىّ نائب الشام و أقام إلى عاشره و عاد إلى الشام، ثم أنفق السلطان على الأمراء المتوجّهين إلى اليمن فقط، فحمل إلى بيبرس ألف دينار و إلى طينال ثمانمائة دينار، و لكل أمير طبلخاناه عشرة آلاف درهم، و لكل من العشرات مبلغ ألفى درهم، و لمقدّمى الحلقة ألف درهم، و حضر العربان. و باعوا الأجناد موجودهم و اكتروا الجمال، فانحطّ سعر الدينار من خمسة و عشرين درهما إلى عشرين درهما من كثرة ما باعوا من الحلل و المصاغ. ثم برزوا من القاهرة إلى بركة الحاج فى يوم الثلاثاء عاشر شهر ربيع الآخر سنة خمس و عشرين، و سافروا من البركة فى يوم الخميس ثانى عشره. ثم خرج السلطان إلى سرياقوس و معه عدّة من المهندسين، و عيّن موضعا على نحو فرسخ من ناحية سرياقوس ليبنى فيه خانقاه، فيها مائة خلوة لمائة صوفىّ و بجانبها جامع تقام فيه الخطبة، و مكان برسم ضيافة الواردين و حمّام و مطبخ، و ندب آق سنقر شادّ العمائر لجمع الصّنّاع، و رتّب أيضا قصور سرياقوس برسم الأمراء و الخاصّكيّة، و عاد فوقع الاهتمام

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۸۰

فى العمل حتى كملت فى أربعين يوما. ثم اقتضى رأى السلطان حفر خليج خارج القاهرة ينتهى إلى سرياقوس، و يرتّب عليه السواقى و الزراعات و تسير فيه المراكب فى أيّام النيل بالغلال و غيرها إلى القصور بسرياقوس.

قلت: و قد أدركت أنا بواقى هذه القصور التى كانت بسرياقوس، و خرّبت فى دولة الملك الأشرف برسباى فى حدود سنة ثلاثين و ثمانمائة، و أخذ الأمير سودون

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۸۱

ابن عبد الرحمن أنقاضها و بنى بها جامعه الذى بخانقاه سرياقوس، فكان ذلك سببا لمحو آثارها، و كانت من محاسن الدنيا. انتهى.

ثمّ إن الملك الناصر فوّض عمل الخليج إلى الأمير أرغون النائب، فنزل أرغون بالمهندسين إلى النيل إلى أن وقع الاختيار على موضع بموردة البلاط من أراضى بستان الخشّاب، و يقع الحفر فى الميدان الظاهرىّ الذى جعله الملك الناصر هذا بستانا من سيّات و غرم عليه أموالا جمّة، ثم يمرّ الخليج المذكور على بركة قرموط

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۸۲

إلى باب البحر ثم إلى أرض الطبّالة و يرمى فى الخليج الكبير، و كتب إلى ولاة الأعمال بإحضار الرجال للحفر، و عيّن لكلّ واحد من الأمراء أقصابا يحفرها، و ابتدئ بالحفر من أوّل جمادى الأولى من سنة خمس و عشرين إلى أن تمّ فى سلخ جمادى الآخرة من السنة، و أخرب فيه أملاك كثيرة، و أخذت قطعة من بستان الأمير أرغون النائب، و أعطى السلطان ثمن ما خرّب من الأملاك لأربابها، و التزم فخر الدين ناظر الجيش بعمارة قنطرة برأس الخليج عند فمه.

قلت: و هى القنطرة المعروفة بقنطرة الفخر. و التزم قديدار و الى القاهرة بعمارة قنطرة تجاه البستان الذى كان ميدانا للظاهر بيبرس البندقدارىّ، و أنّ قديدار

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۸۳

أيضا يتمّ قناطر الإوزّ و قناطر الأميريّة فعمل ذلك كلّه. فلمّا كان أيّام النيل جرت السفن فيه و عمّرت عليه السواقى و أنشئت بجانبه البساتين و الأملاك. ثم توجه السلطان فى يوم الاثنين سادس جمادى الآخرة إلى حانقاته التى أنشأها بسرياقوس، و خرجت القضاة و المشايخ و الصوفيّة إليها و عمل لهم سماط عظيم فى يوم الخميس تاسعه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۸۴

بالخانقاه المذكورة. و استقرّ الشيخ مجد الدين أبو حامد موسى بن أحمد بن محمود الأقصرائى الّذى كان شيخ خانقاه كريم الدين الكبير بالقرافة فى مشيخة هذه الخانقاه.

و رتّب عنده مائة صوفىّ، و رسم للشيخ مجد الدين المذكور بخلعة و أن يلقّب بشيخ الشيوخ.

و أمّا العسكر الذى توجّه إلى اليمن فإنّ السلطان كتب إلى أمراء الحجاز بالقيام فى خدمة العسكر، و تقدّم كافور الشّبلى خادم الملك المجاهد الذى كان قدم فى الرّسلية إلى زبيد ليعلم أستاذه الملك المجاهد بقدوم العسكر، و كتب لأهل حلى بنى يعقوب الأمان و أن يجلبوا البضائع للعسكر، و رحل العسكر فى خامس جمادى الآخرة من مكّة، فوصل إلى حلى بنى يعقوب فى اثنى عشر يوما بعد عشرين مرحلة، فتلقّاهم أهلها و دهشوا لرؤية العساكر و قد طلّبت و لبست السّلاح، و همّوا بالفرار. فنودى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۸۵

فيهم بالأمان و ألّا يتعرّض أحد من العسكر لشىء إلّا بثمنه، فأطمأنّوا و حملوا إلى كلّ من بيبرس و طينال من مقدّمى العسكر مائة رأس من الغنم و خمسمائة اردبّ ذرة، فردّاها و لم يقبلا لأحد شيئا، و رحلوا بعد ثلاثة أيام فى العشرين منه. فقدمت الأخبار على العسكر باجتماع رأى أهل زبيد على الدخول فى طاعة الملك المجاهد خوفا من العسكر، و أنّهم ثاروا بالمتملّك عليهم و نهبوا أمواله ففرّ عنهم، فكتبوا للمجاهد بذلك فقوى و نزل من قلعة تعز يريد زبيد، فكتب الأمراء إليه أن يكون على أهبة اللّقاء فنزل العسكر زبيد، و وافاهم المجاهد بجنده فسخر منهم العسكر المصرىّ، من كونهم غزاة و سلاحهم الجريد و الخشب، و سيوفهم مشدودة على أذرعهم؟ و يقاد للأمير فرس واحد مجلّل، و على رأس المجاهد عصابة ملوّنة فوق العمامة، فعندما عاين المجاهد العساكر و هى لابسة آلة الحرب رعب، و همّ أن يترجّل فمنعه الأمير بيبرس و اقول من ذلك. و مشى العسكر صفّين و الأمراء فى الوسط حتّى قربوا منه فألقى المجاهد نفسه هو و من معه إلى الأرض. فترجّل له الامراء أيضا و أركبوه و أكرموه و أركبوه فى الوسط، و سارو إلى المخيّم و ألبسوه تشريفا سلطانيّا بكلفتاة زركش و حياصة ذهب، و ركب و الأمراء فى خدمته و العساكر إلى داخل زبيد، ففرح أهلها فرحا شديدا، و مد المجاهد لهم سماطا جليلا فامتنع الأمراء و العساكر من أكله خوفا من أن يكون فيه ما يخاف عاقبته، و اعتذروا إليه بأنّ هذا لا يكفى

العساكر، و لكن فى غد يعمل السّماط، فأحضر لهم المجاهد ما يحتاجون إليه، و أصبح حضر المجاهد و أمراؤه و قد مدّ السّماط بين يديهم، و أحضر كرسيّ جلس عليه المجاهد، فوقف السّقاة و النّقباء و الحجّاب و الجاشنكيريّة على العادة، و وقف الأمير بيبرس رأس الميمنة و الأمير طينال رأس الميسرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۸۶

فلمّا فرغ السّماط صاحت الجاوشية على أمراء المجاهد و أهل دولته و أحضروهم و قرئ عليهم كتاب السلطان فباسوا بأجمعهم الأرض و قالوا: سمعا و طاعة، و كتب الأمير بيبرس لممالك اليمن بالحضور فحضروا. ثم كتب لهم المجاهد بغنم و ذرة و اعتذر للأمراء و العساكر المصرية بعدم عمل الإقامة لهم بخراب البلاد؛ فتوجّه قصّاد العسكر لأخذ الغنم و الذرة و أقامت العساكر بزبيد، فعادت قصّادهم بغير غنم و لا ذرة، فرحلوا من زبيد فى نصف رجب يريدون تعزّ، فتلقّاهم المجاهد و نزلوا خارج البلد و شكوا ما هم فيه من قلّة الإقامات فوعدهم بالإنجاز. ثم إنّ الأمراء كتبوا للملك الظاهر المقيم بدملوه، و بعثوا له الشريف عطيفة أمير مكّة و عزّ الدين الكوندكى و كتب إليه المجاهد أيضا يحثّه على الطاعة، و أقام العسكر فى جهد فأغاروا على الضّياع و أخذوا ما قدروا عليه، فارتفع الذّرة من ثلاثين درهما الإردب إلى تسعين، و فقد الأكل من الفاكهة فقط لقلّة الجالب؛ و اتّهم أن ذلك بمواطأة المجاهد خوفا من العسكر أن تملك منه البلاد، ثم إنّ أهل جبل صبر قطعوا الماء عن العسكر و تخطّفوا الجمال و الغلمان و زاد أمرهم إلى أن ركب العسكر فى أثرهم، فامتنعوا بالجبل و رموا بالمقاليع على العسكر فرموهم بالنّشّاب، و أتاهم المجاهد فخذلهم عن الصعود

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۸۷

إلى الجبل، فلم يلتفتوا إلى كلامه و نازلوا الجبل يومهم و قتل من العسكر أربعة [و ثمانية] من الغلمان، و بات العسكر تحت الجبل. فبلغ بيبرس أنّ المجاهد قرّر مع أصحابه أنّ العسكر إذا صعدوا الجبل يضرمون النار فى الوطاق و ينهبون ما فيه، فبادر بيبرس، و قبض [على] بهاء الدين بهادر الصّقرى و أخذ موجوده و وسّطه قطعتين و علّقه على الطريق؛ ففرح أهل تعزّ بقتله و كان قد تغلّب على زبيد، حتى طرده أهلها عند قدوم العسكر، و عاد الشريف عطيفة و الكوندكى من دملوه بأنّ الظاهر فى طاعة السلطان ثم طلب العسكر من المجاهد ما وعد به السلطان الملك الناصر فأجاب بأنه لا قدرة له إلّا بما فى دملوه، فأشهد عليه بيبرس قضاة تعزّ بذلك، و ارتحل العسكر إلى حلى بنى يعقوب، فقدمها فى تاسع شعبان و رحلوا منها أوّل شهر رمضان إلى مكة فدخلوها فى حادى عشره فى مشقّة زائدة، و ساروا من مكّة يوم عيد الفطر إلى جهة مصر، فقدموا بركة الحجّاج أوّل يوم من ذى القعدة، و طلع الأمراء إلى القلعة فخلع السلطان عليهم فى يوم السبت ثالثه، و قدّم الأمير بيبرس هديّة فأغرى الأمير طينال السلطان على الأمير بيبرس بأنّه أخذ مالا من المجاهد و غيره و قصّر فى أخذ مملكة اليمن. فلما كان يوم الاثنين تاسع عشره رسم السلطان بخروج بيبرس إلى نيابة غزّة فامتنع لأنّه كان بلغه ما قيل عنه، و أنّ السلطان قد تغيّر عليه، فقبض عليه السلطان و سجنه بالبرج من القلعة و قبض على حواشيه و صادرهم و عوقبوا على المال فلم يظهر شىء، و سكت السلطان عن أحوال اليمن.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۸۸

ثم فى سنة ستّ و عشرين و سبعمائة استأذن الأمير أرغون النائب السلطان فى الحجّ فأذن له فحج هو و ولده ناصر الدين محمد، و عادا من الحجاز إلى سرياقوس فى يوم الأحد حادى عشر المحرّم سنة سبع و عشرين و سبعمائة، فقبض السلطان عليهما و على الأمير طيبغا المجدى، فأخذهم الأمير بكتمر الساقى عنده و سعى فى أمرهم حتّى أخرج فى يوم الاثنين ثانى عشره (يعنى من الغد) الأمير أرغون إلى نيابة حلب عوضا عن الأمير ألطنبغا، و أخرج معه الأمير أيتمش [المحمّدى] مسفّره، و توجّه الأمير ألحاى الدوّادار إلى حلب لإحضار الأمير ألطنبغا نائبها، و قرّر السلطان مع كلّ من أيتمش و ألجاى أن يكونا بمن معهما فى دمشق يوم الجمعة ثالث عشرينه، و لم يعلم أحد بما توجّه فيه الآخر حتى توافيا بدمشق فى يوم الجمعة المذكور. و قد خرج الأمير تنكز نائب الشام إلى ميدان الحصى لتلقّى الأمير أرغون، فترجّل كلّ منهما لصاحبه و سارا إلى جامع بنى أميّة، فلمّا توسّطاه إذا بألجاى و معه الأمير ألطنبغا نائب حلب فسلّم

أرغون عليه بالإيماء، فلما انقضت صلاة الجمعة عمل لهما الأمير تنكز سماطا جليلا فحضرا السّماط. ثم سار أرغون إلى حلب فوصلها فى سلخ الشهر، و سار ألطنبغا حتى دخل مصر فى مستهلّ صفر، فأكرمه السلطان و خلع عليه و أسكنه بقلعة الجبل، و أنعم عليه بإمرة مائة و تقدمة ألف من جملة إقطاع أرغون النائب، و كمل السلطان من إقطاع أرغون أيضا لطايربغا على إقطاعه إمرة مائة و تقدمة ألف، فزادت التقادم تقدمة، فصارت أمراء الألوف خمسة و عشرين مقدم ألف بالديار المصرية.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۸۹

و فى مستهل جمادى الأولى قبض السلطان على الأمير بهاء الدين أصلم [القبجاقىّ] و على أخيه قرمجى و جماعة من القبجاقية، و سبب ذلك أنّ أصلم عرض سلاح خاناته و جلس بإسطبله و ألبس خيله و رتّبها للركوب، فوشى به بعض أعدائه و كتب بواقعة أمره ورقة و ألقاها إلى السلطان؛ فلمّا وقف عليها السلطان تغيّر تغيّرا زائدا و كانت عادته ألا يكذّب خبرا، و بعث من فوره فسأل أصلم مع ألماس الحاجب عمّا كان يفعله أمس فى إسطبله، فذكر أنه اشترى عدّة أسلحة فعرضها على خيله لينظر ما يناسب كلّ فرس منها فصدّق السلطان ما نقل عنه، و قبض السلطان عليه و على أخيه و على أهل جنسه و على الأمير قيران صهر قرمجى و على الأمير إتكان أخى آقول الحاجب، و سفّروا إلى الإسكندرية مع الأمير صلاح الدين طرخان بن بيسرى، و برلغى قريب السلطان و أفرد أصلم ببرج فى القلعة.

ثم قدم الأمير حسين بن جندر من الشام الذى كان نفاه السلطان لمّا عمّر جامعه و فتح بابا من سور القاهرة، فلما مثل بين يدى السلطان خلع عليه خلعة أطلس بطرز زركش و كلفتاة زركش و حياصه مكوبجة، و أنعم عليه بإقطاع أصلم فى يوم الاثنين ثالث جمادى الآخرة.

و فيها عقد على الأمير قوصون الناصرىّ عقد ابنة السلطان الملك الناصر بقلعة الجبل، و تولّى عقد النكاح قاضى القضاة شمس الدين محمد بن الحريرىّ الحنفىّ. ثم بعد مدّة فى سنة ثمان و عشرين عقد نكاح ابنة السلطان الأخرى على الأمير طغاى تمر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۹۰

العمرى الناصرىّ، و أعفى السلطان فى هذه المرّة الأمراء من حمل الشموع و غيرها إلى طغاى تمر كما كان فعلوه مع قوصون، و أنعم السلطان على طغاى تمر من خزانته عوضا عن ذلك بأربعة آلاف دينار.

ثم أفرج السلطان عن الأمير علم الدين سنجر الجاولى بعد أن اعتقل ثمانى سنين و ثلاثة أشهر و أحد عشر يوما، فكان فيها ينسخ القرآن و كتب الحديث.

و فى سنة ثمان و عشرين أيضا عزم السلطان على أن يجرى النيل تحت قلعة الجبل و يشقّ له من ناحية حلوان، فبعث الصّنّاع صحبة شادّ العمائر إلى حلوان، و قاسوا منها إلى الجبل الأحمر المطلّ على القاهرة، و قدّروا العمل فى بناء الواطى حتى يرتفع و حفر العالى ليجرى الماء إلى تحت قلعة الجبل من غير نقل و لا كلفة.

ثم عادوا و عرّفوا السلطان ذلك فركب و قاسوا الأرض بين يديه، فكان قياس ما يحفر اثنتين و أربعين ألف قصبة حاكمية لتبقى خليجا يجرى فيه ماء النيل شتاء و صيفا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۹۱

بسفح الجبل، فعاد السّلطان و قد أعجبه ذلك و شاور الأمراء فيه فلم يعارضه فيه أحد إلّا الفخر ناظر الجيش، فإنه قال: بمن يحفر السلطان هذا الخليج؟ قال: بالعسكر، قال: و اللّه لو اجتمع عسكر آخر فوق العسكر السلطانى و أقام سنين ما قدروا على حفر هذا العمل، فإنه يحتاج إلى ثلاث خزائن من المال، ثم هل يصح أولا! فالسلطان لا يسمع كلام كل أحد و يتعب الناس و يستجلب دعاءهم و نحو ذلك من القول، فرجع السلطان عن عمله.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۹۲

و فيها أفرج السلطان عن الشيخ تقىّ الدين أحمد بن تيميّة بشفاعة الأمير جنكلى بن البابا. و فى يوم الاثنين سابع [عشر] جمادى الأولى سنة تسع و عشرين و سبعمائة رسم السلطان بردم الجبّ الذى كان بقلعة الجبل لما بلغ السلطان أنه شنيع المنظر شديد الظلمة كره الرائحة و أنه يمرّ بالمحابيس فيه شدائد عظيمة، فردم و عمّر فوقه طباق للمماليك السلطانية. و كان هذا الجبّ عمل فى سنة إحدى و ثمانين و ستمائة فى أيام الملك المنصور قلاوون. ثم فى السنة المذكورة رسم السلطان للحاجب أن ينادى بألّا يباع مملوك تركى لكاتب و لا عامى، و من كان عنده مملوك فليبعه، و من عثر عليه بعد ذلك [أنّ عنده مملوكا] فلا يلوم إلّا نفسه.

و فيها عرض السلطان مماليك الطّباق و قطع منهم مائة و خمسين، و أخرجهم من يومهم ففرّقوا بقلاع الشام.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۹۳

و فيها قتل الأمير تنكز نائب الشام الكلاب ببلاد الشام فتجاوز عدّتها خمسة آلاف كلب. ثمّ خرج السلطان إلى سرياقوس فى سابع عشرين من ذى الحجّة على العادة فى كلّ سنة، و قدم عليه الأمير تنكز نائب الشام فى أوّل المحرّم سنة ثلاثين و سبعمائة و بالغ السلطان فى إكرامه و رفع منزلته، و قد تكرّر قدوم تنكز هذا إلى القاهرة قبل تاريخه غير مرة، ثم عاد إلى نيابته بدمشق فى رابع عشر المحرّم. ثم فى عشرين المحرّم المذكور وصل إلى القاهرة الملك المؤيّد إسماعيل صاحب حماة، فبالغ السلطان أيضا فى إكرمه و رفع منزلته و خلع عليه. ثم سافر السلطان فى تاسع صفر إلى بلاد الصعيد للصيد على عادته، و معه المؤيّد صاحب حماة، ثم عاد بعد أيام قليلة لتوعك بدنه من رمد طلع فيه، و أقام بالأهرام بالجيزة أياما، ثم عاد و سافر إلى الصعيد حتى وصل الى هو، ثم عاد إلى مصر فى خامس شهر ربيع الآخر، و سافر فى ثامنه المؤيد صاحب حماة إلى محلّ ولايته بعد أن غاب مع السلطان هذه الأيام الكثيرة.

ثم نزل السلطان من القلعة فى خامس عشرين شهر ربيع الاخر المذكور، و توجّه إلى نواحى قليوب يريد الصيد، فبينما هو فى الصّيد تقنطر عن فرسه فانكسرت يده و غشى عليه ساعة و هو ملقى على الأرض، ثم أفاق و قد نزل إليه الأميران: أيدغمش أمير آخور و قمارى أمير شكار و أركباه، فأقبل الأمراء بأجمعهم إلى خدمته و عاد إلى قلعة الجبل فى عشيّة الأحد ثامن عشرينه، فجمع الأطبّاء و المجبّرين لمداواته فتقدم رجل من المجبّرين يعرف بابن بوسقة و تكلّم بجفاء و عامّية طباع، و قال: له تريد تفيق

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۹۴

سريعا؟ اسمع منى، فقال له السلطان: قل ما عندك، فقال: لا تخلّ يداويك غيرى بمفردى و إلّا فسدت حال يدك مثلما سلّمت رجلك لابن السّيسى فأفسدها، و أنا ما أخلّى شهرا يمضى حتى تركب و تلعب بيدك الأكرة، فسكت السلطان عن جوابه و سلّم إليه يده فتولّى علاجه بمفرده، و بطلت الخدمة مدّة سبعة و ثلاثين يوما و عوفى، فزيّنت له القاهرة فى يوم الأحد رابع جمادى الآخرة من السنة المذكورة، و تفاخر الناس فى الزينة بحيث إنه لم يعهد زينة مثلها، و أقامت سبعة أيام، هذا و الأفراح عمّالة بالقلعة و سائر بيوت الأمراء مدّة الأسبوع، فإنّ كلّ أمير متزوّج إمّا بإحدى جوارى السلطان أو ببناته و أكثرهم أيضا مماليكه، و كذلك البشائر و الكوسات تضرب، و أنعم السلطان على الأمراء و خلع عليهم، ثم خرج السلطان إلى القصر و فرّق عدّة مثالات على الأيتام و عمل سماطا جليلا و خلع على جميع أرباب الوظائف، و أنعم على المجبّر بعشرة آلاف درهم، و رسم له أن يدور على جميع الأمراء فلم يتأخّر أحد من الأمراء عن إفاضة الخلع عليه، و إعطائه المال فحصل له ما يجلّ وصفه.

و توجّه الأمير آقبغا عبد الواحد إلى البلاد الشامية مبشّرا بعافية السلطان.

و فيها اشترى الأمير قوصون الناصرىّ دار الأمير آقوش الموصلىّ الحاجب المعروف بآقوش نميلة، ثم عرفت ثانيا بدار الأمير آقوش قتّال السبع- من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۹۵

أربابها، و اشترى أيضا ما حولها و هدم ذلك كلّه، و شرع فى بناء جامع، فبعث السلطان إليه بشادّ العمائر و الأسرى لنقل الحجارة و نحوها، فنجزت عمارته فى مدّة يسيرة، و جاء الجامع المذكور من أحسن المبانى، و هو خارج بابى زويلة على الشارع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۹۶

الأعظم بالقرب من بركة الفيل، و تولّى عمارة منارته رجل من أهل تبريز أحضره الأمير أيتمش المحمّدى معه فعملها على منوال موادن تبريز، و لمّا كمل بناء الجامع أقيمت الجمعة فيه فى يوم الجمعة حادى عشر شهر رمضان سنة ثلاثين و سبعمائة، و خطب به يومئذ قاضى القضاة جلال الدين محمد القزوينىّ و خلع عليه الأمير قوصون بعد فراغه و أركبه بغلة هائلة.

و فى هذه السنة أيضا ابتدأ علاء الدين مغلطاى [الجمالىّ] أحد المماليك السلطانيّة فى عمارة جامع بين السّورين من القاهرة، و سمّى جامع التّوبة لكثرة ما كان هناك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۹۷

من الفساد و أقام به الخطبة، ثمّ عاد السلطان الملك الناصر على ما كان عليه من أوّل سنة إحدى و ثلاثين و سبعمائة من التوجّه إلى الصّيد على عادته، و قدم عليه موت الأمير أرغون الدّوادار نائب حلب كان و هو بالصيد، فخلع على الأمير ألطنبغا الصالحىّ بنيابة حلب عوضه.

ثمّ فى يوم السبت [سابع عشر ذى لحجّة] ركب السلطان من القلعة إلى الميدان الذى استجدّه، و قد كملت عمارته، و كان السلطان قد رسم فى أوّل هذه السنة بهدم مناظر الميدان الظاهرىّ الذى كان بباب اللّوق و تجديد عمارة هذا الميدان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۹۸

الذى استجدّه، و فوض ذلك للأمير ناصر الدين [محمد] بن المحسنى، فهدم تلك المناظر و باع أخشابها بمائة ألف درهم و ألفى درهم، و اهتم فى عمارة جديدة فكمل فى مدّة شهرين، و جاء من أحسن ما يكون، فخلع السلطان عليه و فرّق على الأمراء الخيول المسرجة الملجمه.

و فى أوّل محرّم سنة اثنتين و ثلاثين و سبعمائة قدم مبشّر الحاجّ، و أخبر بسلامه الحاجّ و أن الأمير مغلطاى الجمالى الأستادار على خطه فعيّن السلطان عوضه فى الأستادارية الأمير اقبغا عبد الواحد. و مات مغلطاى فى العقبة و صبّر و حمل إلى أن دفن بمدرسته قريبا من درب ملوخبا بالقاهرة بالقرب من رحبة باب العيد.

و لبس آقبغا عبد الواحد الأستادارية فى يوم الثلاثاء سادس عشرين المحرّم. ثم بعد أيام خلع عليه السلطان بتقدمة المماليك السلطانية مضافا على الأستادارية، من أجل أنّ السلطان وجد بعض المماليك قد نزل من القلعة إلى القاهرة و سكر، فضرب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۹۹

السلطان كثيرا من الطّواشيّة و طرد كثيرا منهم، و أنكر على الطواشى مقدّم المماليك و صرّفه عن التقدمة بآقبغا هذا، فضبط آقبغا المذكور طباق المماليك بالقلعة و ضرب عدّة منهم ضربا مبرّحا أشرف منهم جماعة على الموت، فلم يجسر بعد ذلك أحد أن يتجاوز طبقته إلى غيرها.

و فى يوم الاثنين ثالث عشرين صفر جمع السلطان الأمراء و القضاة و الخليفة ليعهد بالسلطنة لابنه آنوك و يركب ولده آنوك بشعار السلطنة، ثم انثنى عزمه عن ذلك فى المجلس، و أمر أن يلبس آنوك شعار الأمراء و لا يطلق عليه اسم السلطنة، فركب و عليه خلعة أطلس أحمر بطرز زركش و شربوش مكلّل مزركش، و خرج من باب القرافة و الأمراء فى خدمته حتّى مرّ من سوق الخيل تحت القلعة و نزل عن فرسه و باس الأرض، و طلع من باب الإسطبل إلى باب السّرّ و صعد منه إلى القلعة، و نثرت عليه الدنانير و الدراهم، و خلع السلطان على الأمير ألماس الحاجب و الأمير بيبرس الأحمدى، و كان السلطان أفرج عن بيبرس المذكور قبل ذلك بمدّة من السجن،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۰۰

و خلع على الأمير أيدغمش أمير آخور الجميع خلع أطلس، و خلع السلطان على جميع أرباب الوظائف و مدّ لهم سماط عظيم و

عملت الأفراح الجليلة، و عظم المهمّ لعقد آنوك المذكور على بنت بكتمر الساقى، فعقد العقد بالقصر على صداق مبلغه من الذهب اثنا عشر ألف دينار، المقبوض منه عشرة آلاف دينار، و أنعم السلطان على ولده آنوك المذكور بإقطاع الأمير مغلطاى المتوفّى بالعقبة.

ثم فى عاشر شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين و ثلاثين و سبعمائة المذكورة قدم الملك الأفضل ناصر الدين محمد ابن الملك المؤيّد إسماعيل الأيّوبىّ صاحب حماة بعد وفاة أبيه الملك المؤيّد بها، و له من العمر نحو من عشرين سنة، فأكرمه السلطان و أقبل عليه، و كان والده لما توفّى بحماة أخفى أهله موته، و سارت زوجته أمّ الأفضل هذا إلى دمشق و ترامت على الأمير تنكز نائب الشام، و قدّمت له جوهرا باهرا و سألته فى إقامة ولدها الأفضل فى سلطنة أبيه المؤيّد بحماة فقبل تنكز هديّتها، و كتب فى الحال إلى الملك الناصر بوفاة الملك المؤيّد، و تضرّع إليه فى إقامة ولده الأفضل مكانه، فلمّا قدم البريد بذلك تأسّف السلطان على الملك المؤيّد و كتب للأمير تنكز بولايته و بتجهيز الأفضل المذكور إلى مصر، فأمره تنكز فى الحال بالتوجّه إلى مصر، فركب و سار حتى دخلها و مثل بين يدى السلطان، و خلع عليه الملك الناصر فى يوم الخميس خامس عشرين شهر ربيع الآخر بسلطنة حماة، و ركب الأفضل من المدرسة المنصوريّة ببين القصرين و هو بشعار السلطنة و بين يديه الغاشية، و قد نشرت على رأسه العصائب الثلاث، منها واحد خليفتى أسود و اثنان سلطانيّان أصفران، و عليه خلعة أطلسين بطراز ذهب، و على رأسه شربوش ذهب،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۰۱

و فى وسطه حياصة ذهب بثلاث بيكاريّات و سار فى موكب جليل و طلع إلى القلعة و قبّل الأرض بين يدى السلطان بالقصر، ثم جلس و خلع السلطان على الأمراء الذين مشوا بخدمته، و هم: الأمير ألماس الحاجب و بيبرس الأحمدىّ و أيدغمش أمير آخور و طغجى أمير سلاح و تمر رأس نوبة، ألبس كلّا منهم أطلسين بطراز ذهب. ثم خلع على جماعة أخر و كان يوما مشهودا، و لقّبه السلطان بالملك الأفضل، ثم جهّزه إلى بلاده.

ثم حضر بعد ذلك تنكز نائب الشام إلى القاهرة ليحضر عرس ابن السلطان الأمير آنوك، و شرع السلطان فى عمل المهمّ من أوائل شعبان من سنة اثنتين و ثلاثين و جمع السلطان من بالقاهرة و مصر من أرباب الملاهى و استمرّ المهمّ سبعة أيام بلياليها. و استدعى حريم الأمراء للمهمّ، فلمّا كانت ليلة السابع منه حضر السلطان على باب القصر، و تقدّم الأمراء على قدر مراتبهم واحدا بعد واحد و معهم الشموع، فكان إذا قدّم الواحد ما أحضره من الشمع قبّل الأرض و تأخّر حتى انقضت تقادمهم، فكان عدّتها ثلاثة آلاف و ثلاثين شمعة، زنتها ثلاثة آلاف و ستون قنطارا، فيها ما عنى به و نقش نقشا بديعا تنوّع فى تحسينه؛ و أحسنها شمع الأمير سنجر الجاولى، فإنّه اعتنى بأمره و بعث إلى عملها إلى دمشق فجاءت من أبدع شىء.

و جلس الأمير آنوك تجاه السلطان فأقبل الأمراء جميعا و كلّ أمير يحمل بنفسه شمعة و خلفه مماليكه تحمل الشمع، فيتقدمون على قدر رتبهم و يقبّلون الأرض واحدا بعد واحد طول ليلهم، حتى كان آخر الليل نهض السلطان و عبر حيث مجتمع النساء، فقامت نساء الأمراء بأسرهنّ و قبّلن الأرض واحدة بعد أخرى و هى تقدّم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۰۲

ما أحضرت من التّحف الفاخرة، حتى انقضت تقادمهنّ جميعا؛ رسم السلطان برقصهنّ فرقصن عن آخرهن واحدة بعد واحدة، و المغانى تضرب بالدّفوف، و الأموال من الذهب و الفضة و الشّقق الحرير تلقى على المغنيّات، فحصل لهنّ ما يجلّ وصفه. ثم زفّت العروس، و جلس السلطان من بكرة الغد و خلع على جميع الأمراء و أرباب الوظائف بأسرها، و رسم لكلّ امرأة أمير بتعبية قماش على قدر منزلة وجها، و خلع على الأمير تنكز نائب الشام و جهّز صحبته الخلع لأمراء دمشق. فكان هذا العرس من الأعراس المذكورة، ذبح فيه من الغنم و البقر و الخيل و الإوزّ و الدّجاج ما يزيد على عشرين ألفا، و عمل فيه من السكر برسم الحلوى و المشروب ثمانية عشر ألف قنطار، و بلغت قيمة ما حمله الأمير بكتمر الساقى مع ابنته من الشورة ألف ألف دينار؛ قاله جماعة من المؤرّخين.

ثمّ استهمّ السلطان إلى سفر الحجاز الشريف و سافر الأمير ايدمر الخطيرىّ أمير حاج المحمل فى عشرين شوّال من السنة، و نزل السلطان من القلعة فى ثانى عشر شوّال و أقام بسرياقوس، حتّى سار منه إلى الحجاز فى خامس عشرينه، بعد ما قدّم حرمه صحبة الأمير طغيتمر فى عدّة من الأمراء. و استناب السلطان على ديار مصر الأمير سيف الدين ألماس الحاجب و رسم أن يقيم بداره، و جعل الأمير آقبغا عبد الواحد داخل باب القلعة من قلعة اجل لحفظ القلعة، و جعل الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك بالقلعة و أمره ألّا ينزل منها حتّى يحضر، و أخرج كلّ أمير من الأمراء المقيمين إلى إقضاعه، و رسم لهم ألّا يعودوا منها حتى يرجع السلطان من الحجاز.

و توجّه مع السلطان إلى الحجاز الملك الأفضل صاحب حماة، و من الأمراء چنكلى ابن البابا و الحاج آل ملك و بيبرس الاحمدى و بهادر المعزّى و أيدغمش أمير آخور

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۰۳

و بكتمر الساقى و طقزدمر و سنجر الجاولى و قوصون و طايربغا و طغاى تمر و بشتاك و أرنبغا و طغجى و أحمد بن بكتمر الساقى و جركتمر بن بهادر و طيدمر الساقى و آقبغا آص الجاشنكير و طوغان الساقى و طقتمر الخازن و سوسون السّلاح دار و تلك و بيبغا الشمسى و بيغرا و قمارى و تمر الموسوىّ و أيدمر أمير جاندار و بيدمر البدرى و طقبغا الناصرىّ و أيتمش الساقى، و إياز الساقى، و ألطنقش، و أنس، و أيدمر دقماق، و طيبغا المجدى، و خير بك، و قطز أمير آخور، و بيدمر، و أينبك، و أيدمر العمرى، و يحيى بن طايربغا، و مسعود الحاجب، و نوروز و كجلى، و برلغى، و بكجا، و يوسف الدّوادار، و قطلقتمر السلاح دار، و آناق، و ساطلمش، و بغاتمر، و محمد بن چنكلى، و على بن أيدغمش، و ألاجا، و آق سنقر، و قرا، و علاء الدين علىّ بن هلال الدولة، و تمربغا العقيلى، و قمارى الحسنى، و علىّ بن أيدمر الخطيرىّ، و طقتمر اليوسفى، و هؤلاء مقدّمون و طلبخاناه. و من العشرات على بن السعيدى، و صاروجا النقيب، و آق سنقر الرومى، و إياجى الساقى، و سنقر الخازن، و أحمد بن كجكن، و أرغون العلائى، و أرغون الإسماعيلى، و تكا، و قبجق، و محمد بن الخطيرىّ، و أحمد بن أيدغمش،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۰۴

و طشبغا، و قلنجى. و حجّ مع السلطان أيضا قاضى القضاة جلال الدين القزوينىّ الشافعىّ، و ابن الفرات الحنفىّ و فخر الدين النّويرىّ المالكى، و موفّق الدين الحنبلىّ، و كانوا أربعتهم ينزلون فى خيمة واحدة، فإذا قدّمت لهم فتوى كتبوا عليها الأربعة؛ و قدّم السلطان الأمير أيتمش إلى عقبة أيلة و معه مائة رجل من اجازيّين حتى وسّعوا طريق العقبة و أزالوا وعرها، و من يومئذ سهل صعودها.

و لما قرب السلطان من عقبة أيلة بلغه اتفاق الأمير بكتمر الساقى على الفتك به مع عدّة من المماليك السلطانية، فتمارض السلطان و عزم على الرجوع إلى مصر و وافقه الأمراء على ذلك إلّا بكتمر الساقى، فإنّه أشار بإتمام السفر و شنّع عوده قبل الحجّ. فعند ذلك عزم السلطان على السّفر، و سيّر ابنه آنوك و أمّه خوند طغاى إلى الكرك صحبة الأمير ملكتمر السّرجوانىّ نائب الكرك، فإنّه كان قدم إلى العقبة و معه ابنا السلطان الملك الناصر: أبو بكر و أحمد اللّذان كان والدهما الناصر أرسلهما إلى الكرك قبل تاريخه بسنين ليسكنا بها. ثم مضى السلطان إلى سفره و هو محترز غاية التحرّز، بحيث إنّه ينتقل فى اللّيل عدّة مرار من مكان إلى مكان؛ و يحفى موضع مبيته من غير أن يظهر أحدا على ما فى نفسه ممّا بلغه عن بكتمر الساقى إلى أن وصل إلى ينبع، فتلقّاه الأشراف من أهل المدينة، و قدم عليه الشريف أسد الدين رميثة من مكة و معه قوّاده و حريمه فأكرمهم السلطان و أنعم عليهم، و ساروا معه إلى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۰۵

أن نزل على خليص فرّ منه نحو ثلاثين مملوكا إلى جهة العراق فلم يتكلّم السلطان، و سار حتّى قدم مكّة و دخلها فأنعم على الأمراء، و أنفق فى جميع من معه من الأجناد و المماليك ذهبا كثيرا، و أفاض على أهل مكة بالصدقات و الإنعام.

فلمّا قضى النّسك عاد يريد مصر، و عرّج إلى زيارة النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم، بالمدينة فسار حتّى وصلها فلمّا دخلها هبّت بها ريح شديدة فى اللّيل ألقت الخيم كلّها و تزايد اضطراب الناس و اشتدّت ظلمة الجوّ فكان أمرا مهولا؛ فلمّا كان النهار سكن الريح فظفر

أمير المدينة بمن فرّ من المماليك السلطانية فخلع السلطان عليه، و أنعم عليه بجميع ما كان مع المماليك من مال و غيره، و بعث بالمماليك إلى الكرك، فكان ذلك آخر العهد بهم.

ثم مرض الأمير بكتمر الساقى و ولده أحمد، فمات أحمد فى ليلة الثلاثاء سابع المحرّم سنة ثلاث و ثلاثين و سبعمائة، و مات أبوه الأمير بكتمر الساقى فى ليلة الجمعة عاشر المحرّم بعد ابنه أحمد بيومين و حمل بكتمر إلى عيون القصب فدفن بها، و اتّهم السلطان أنّه سمّهما. و [ذلك أنه] كان قد عظم أمر بكتمر، بحيث إنّ السلطان كان معه فى هذه السّفرة ثلاثة آلاف و مائة عليقة، و مع بكتمر الساقى ثلاثة آلاف عليقة، و بلغت عدّة خيوله الخاصّة مائة طوالة [بمائة سايس بمائة سطل]، و كان عليق خيول إسطبله دائما ألفا و مائة عليقة كلّ يوم، و مع هذا لم يقنعه ذلك.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۰۶

و أخذ يدبّر فى قتل السلطان، و بلغ السلطان ذلك بعد أن خرج من القاهرة فتحرّز على نفسه بدربة و عقل و معرفة و دهاء و مكر، حتّى صار فى أعظم حجاب من بكتمر و غيره. ثم أخذ هو أيضا يدبّر على بكتمر، و أخذ يلازمه فى الليل و النهار، بحيث إنّ بكتمر عجز فى الطريق أن ينظر إلى زوجته، فإنّه كان إذا ركب أخذ يسايره بجانبه و يكالمه من غير جفاء، و إذا نزل جلس معه، فإن مضى إلى خيامه أرسل السلطان فى الحال خلفه، بحيث إنّه استدعاه- مرّة و هو يتوضّأ- بواحد بعد آخر حتّى كمل عنده اثنا عشر جمدار. فلمّا ثارت الريح بالمدينة قصد السلطان قتل بكتمر و ولده أحمد تلك الليلة و هجموا على ولده أحمد فلم يتمكّنوا منه، و اعتذروا بأنّهم رأوا حراميّة و قد أخذوا لهم متاعا فمرّوا فى طلبهم، فداخل الصبىّ منهم الفزع، ثم زاد احتراز السلطان على نفسه، و رسم للأمراء أن يناموا بمماليكهم على بابه، و لمّا سار من المدينة عظم عنده أمر بكتمر، فلمّا كان فى أثناء الطريق سقى أحمد بن بكتمر ماء باردا فى مسيره، كانت فيه منيّته، ثم سقى بكتمر بعد موت ولده مشروبا فلحق بابنه، و اشتهر ذلك، حتّى إنّ زوجة بكتمر لمّا مات صاحت و قالت للسلطان بصوت سمعها كلّ أحد:

يا ظالم، أين تروح من اللّه! ولدى و زوجى، فأمّا زوجى كان مملوكك، و ولدى، إيش كان بينك و بينه! و كرّرت ذلك مرارا فلم يجبها.

قلت: و لو لا أنّ الملك الناصر سقى ولده أحمد قبله، و إلّا كانت حيلة الناصر لا تتمّ، فإنّ بكتمر أيضا كان احترز على نفسه و أعلم أصحابه بذلك. فلما اشتغل بمصاب ابنه أحمد انتهز الملك الناصر الفرصة و سقاه فى الحال. و أيضا لو بقى ولده ربما وثب حواشى بكتمر به على السلطان، و هذا الذى قلته على الظنّ منّى. و اللّه أعلم. و يأتى أيضا بعض ذكر بكتمر الساقى فى الوفيات. انتهى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۰۷

ثم وصل إلى القاهرة مبشّر الحاج فى ثامن المحرّم سنة ثلاث و ثلاثين تلك المظفّرى الجمدار و أخبر بسلامة السلطان، فدقّت البشائر و خلع عليه خلع كثيرة و اطمأنّ الناس بعد ما كان بينهم أراجيف. ثم وصل السلطان إلى الديار المصريّة فى يوم السبت ثامن عشر المحرّم بعد ما خرج معظم الناس إلى لقائه، و مدّ شرف الدين النّشو شقاق الحرير و الزّربفت من بين العروستين إلى باب الإسطبل، فلمّا توسّط بين الناس صاحت العوامّ: هو إيّاه ما هو إيّاه! بالله اكشف لنا لثامك، و أرنا وجهك! و كان قد تلثّم، فعند ذلك حسر اللثام عن وجهه فصاحوا بأجمعهم:

الحمد للّه على السلامة، ثمّ بالغوا فى إظهار الفرح به و الدعاء له و أمعنوا فى ذلك، فسّر السلطان بهذا الأمر؛ و دخل القلعة و دقّت البشائر و عملت الأفراح ثلاثة أيام.

و هذه حجّة السلطان الملك الناصر الثالثة، و هى التى يضرب بها المثل. و جلس السلطان على كرسىّ الملك و خلع على الأمراء قاطبة. و كان بلغ السلطان أنّ ألماس الحاجب كان اتّفق مع بكتمر الساقى على الفتك بالسلطان.

قلت: و بكتمر و ألماس كلاهما مملوكه و مشتراه. انتهى.

ثم أخذ السلطان يدبّر على ألماس حتّى قبض عليه و على أخيه قرا فى العشرين من ذى الحجّة سنة ثلاث و ثلاثين، و حمل قرا من يومه إلى الإسكندرية. و سبب معرفة السلطان اتّفاق ألماس مع بكتمر أنّ الملك الناصر لمّا مات بكتمر الساقى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۰۸

صحبته بطريق الحجاز احتاط على موجوده، فكان من جملة الموجود جمدان ففتحه السلطان فوجد فيه جوابا من الأمير ألماس إلى بكتمر الساقى يقول فيه: إنّنى حافظ القاهرة و القلعة إلى أن يرد علىّ منك ما أعتمده، فتحقّق السلطان أمره و قبض عليه، و لمّا قبض السلطان على ألماس أخذ جميع أمواله و كان مالا جزيلا إلى الغاية، فإنّه كان ولى الحجوبيّة و باشرها و ليس بالديار المصرية نائب سلطنة، فإن الملك الناصر لم يولّ أحدا معه بعد الأمير أرغون، فعظم أمر ألماس فى الحجوبيّة لذلك فصار هو فى محلّ النيابة، و يركبون الأمراء و ينزلون فى خدمته و يجلس فى باب القلعة فى منزلة النائب، و الحجّاب و الأمراء وقوف بين يديه. و كان ألماس رجلا طوالا غتميّا لا يفهم بالعربية، يفعل ذلك عامدا لإقامة الحرمة و يظهر البخل و لم يكن كذلك، بل كان يفعل ذلك خوفا من الملك الناصر، فإنّه كان يطلق لمماليكه الأرباع و الأملاك المثمّنة و ليس البخيل كذلك. و يأتى أيضا من ذكره شىء فى الوفيات.

ثم فى سنة أربع و ثلاثين و سبعمائة قدم تنكز إلى القاهرة و أقام بها أيّاما ثم عاد إلى محلّ ولايته فى يوم الخميس ثالث شهر رجب من سنة أربع و ثلاثين و سبعمائة.

و فى هذه السنة أفرج السلطان عن الأمير بهاء الدين أصلم و عن أخيه قرمچى و عن بكتوت القرمانى، فكانت مدّة اعتقال أصلم و قرمچى ست سنين و ثمانية أشهر.

ثم خلع السلطان على الأمير آقوش الأشرفى المعروف بنائب الكرك بنيابة طرابلس بعد موت قرطاى.

قلت: و إخراج آقوش نائب الكرك المذكور من مصر لأمور، منها: صحبته مع ألماس، و منها ثقله على السلطان، فإنّ السلطان كان يجلّه و يحترمه و يقوم له

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۰۹

كلّما دخل عليه لكبر سنه. و منها معارضته للسلطان فيما يرومه، فأخرجه و بعث له بألف دينار و خرج معه برسبغا مسفّرا له، فلمّا أوصله إلى طرابلس و عاد خلع عليه السلطان، و استقرّ به حاجبا صغيرا. و خلع على الأمير مسعود [بن أوحد] بن الخطير [بدر الدين] و استقرّ حاجبا كبيرا عوضا عن ألماس. و ورد الخبر على السلطان من بغداد بأنّ صاحبها أمر النصارى بلبس العمائم الزّرق و اليهود الصّفر اقتداء بالسلطان الملك الناصر بهذه السّنّة الحسنة.

و فى يوم الأحد رابع المحرّم سنة خمس و ثلاثين و سبعمائة قبض السلطان على الطواشى شجاع الدين عنبر السّحرتى مقدّم المماليك بسعاية النّشو ناظر الخاصّ، و أنعم بإقطاعه و هى إمرة طبلخاناه على الطواشى سنبل، و استقرّ نائب مقدّم المماليك و خلع على الأمير آقبغا عبد الواحد و استقرّ مقدّم المماليك السلطانية مضافا للأستاداريّة عوضا عن عنبر السّحرتى كما كان أوّلا. فلمّا تولّى آقبغا تقدمة المماليك عرض الطباق و وضع فيهم و ضرب جماعة من السّلاح داريّة و الجمدارية لامتناعهم عنه و نفاهم إلى صفد فأعجب السلطان ذلك. و فى شهر رجب من سنة خمس و ثلاثين أفرج السلطان عن الأمير بيبرس الحاجب، و كان له فى السجن من سنة خمس و عشرين، و أفرج أيضا عن الأمير طغلق التّتارى، و هو أحد الأمراء الأشرفيّة و كان له فى السجن ثلاث و عشرون سنة فمات بعد أسبوع من قدومه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۱۰

قلت: لعلّه مات من شدّة الفرح.

ثم أفرج السلطان عن الأمير غانم بن أطلس خان، و كان له فى السجن خمس و عشرون سنة، و أفرج عن الأمير برلغى الصغير و له فى السجن ثلاث و عشرون سنة، و أفرج عن جماعة أخر، و هم: أيدمر اليونسىّ أحد أمراء البرجيّة المظفّريّة و الأمير لاچين العمرى و

الأمير طشتمر أخو بتخاص و الأمير بيبرس العلمى، و كان من أكابر الأمراء البرجيّة من حواشى المظفّر بيبرس، و الأمير قطلوبك الأوجاقيّ و الشيخ على مملوك سلّار و الأمير تمر السّاقى نائب طرابلس أحد المنصوريّة، و كان قبض عليه سنة أربع عشرة، و الجميع كان حبسهم فى ابتداء سلطنة الملك الناصر الثالثة بعد سنة عشر و سبعمائة، و أنعم السلطان على تمر الساقى بطبلخانات بالشام، و أنعم على بيبرس الحاجب بإمرة فى حلب، و أنعم على طشتمر بإمرة بدمشق و على أيدمر اليونسيّ و بلاط بإمرة فى طرابلس.

ثم فى يوم الخميس رابع شهر ربيع الأوّل أنعم السلطان على ولده أبى بكر بإمرة، و ركب بشربوش من إسطبل الأمير قوصون، و سار من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۱۱

الرّميلة الى باب القرافة، فطلع إلى القلعة، و الأمراء و الخاصّكيّة فى خدمته، و عمل لهم الأمير قوصون مهمّا عظيما فى إسطبله. ثم إنّ السلطان قبض على الأمير جمال الدين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۱۲

آقوش الأشرفيّ المعروف بنائب الكرك، و هو يوم ذاك نائب طرابلس فى نصف جمادى الآخرة و حبس بقلعة صرخد، ثم نقل منها فى مستهلّ شوّال إلى الإسكندرية، و نزل النّشو إلى بيته [بالقاهرة] و أخذ موجوده و موجود حريمه و عاقب أستاداره، و استقرّ عوضه فى نيابة طرابلس الأمير طينال. ثم اشتغل الملك الناصر بضعف مملوكه و محبوبه ألطنبغا المارداني، و تولّى تمريضه بنفسه إلى أن عوفى فأحبّ ألطنبغا أن ينشئ له جامعا تجاه ربع الأمير طغجى خارج باب زويلة، و اشترى عدّة دور من أربابها بغير رضاهم، فندب السلطان النّشو لعمارة الجامع المذكور، فطلب النشو أرباب الأملاك و قال لهم: الأرض للسلطان و لكم قيمة البناء، و لا زال بهم حتّى ابتاعها منهم بنصف ما فى مكاتيبهم من الثمن، و كانوا قد أنفقوا فى عمارتها بعد مشتراها جملة، فلم يعتدّ لهم النّشو منها بشىء، و أقام النشو فى عمارته حتّى تمّ فى أحسن هندام، فجاء مصروفه ثلثمائة ألف درهم و نيّف، سوى ما أنعم به عليه السلطان من الخشب و الرّخام

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۱۳

و غيره. و خطب به الشيخ ركن الدين [عمر بن إبراهيم] الجعبريّ من غير أن يتناول له معلوما.

ثمّ جلس السلطان بدار العدل فوجد به رقعة تتضمّن الوقيعة فى النّشو و كثرة ظلمه و تسلّط أقاربه على الناس و كثرة أموالهم و تعشّق صهره وليّ الدولة لشابّ تركيّ، فكان قبل ذلك قد ذكر الأمير قوصون للسلطان أن عميرا الذى كان شغف به الأمير ألماس قد ولع به أقارب النّشو و أنفقوا عليه الأموال الكثيرة، فلم يقبل السلطان فيه قول الأمراء لمعرفته لكراهتهم له، فلمّا قرئت عليه القصة قال: أنا أعرف من كتبها، و استدعى النّشو و دفعها [إليه] و أعاد له ما رماه به الأمير قوصون، فحلف النّشو على براءتهم من هذا الشاب، و إنّما هذا و مثله ممّا يفعله حواشى الأمير قوصون، و قصد قوصون تغيّر خاطر السلطان عليّ و بكى و انصرف.

فطلب السلطان قوصون و أنكر عليه إصغاءه لحواشيه فى حقّ النشو و أخبره بحلف النّشو، فحلف قوصون أنّ النّشو يكذب فى حلفه و لئن قبض السلطان على الشاب و عوقب ليصدقنّ السلطان فيمن يعاشره من أقارب النّشو، فغضب السلطان و طلب أمير مسعود الحاجب و أمره بطلب الشابّ و ضربه بالمقارع حتّى يعترف بجميع من يصحبه و كتابة أسمائهم و ألزمه ألّا يكتم عنه شيئا، فطلبه و أحضر المعاصير فأملى عليه الشابّ عدّة كثيرة من الأعيان، منهم: وليّ الدولة فخشى مسعود على الناس من الفضيحة، و قال للسلطان: هذا الكذّاب ما ترك أحدا فى المدينة حتّى اعترف عليه، و أنا أعتقد أنّه يكذب عليهم، و كان السلطان حشيم النفس يكره الفحش، فقال لمسعود: يا بدر الدين، من ذكر من الدواوين؟ فقال: و اللّه يا خوند ما خلّى أحدا من خوفه حتّى ذكره، فرسم السلطان بإخراج عمير المذكور و والده إلى غزّة،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۱۴

و رسم لنائبها أن يقطعهما خبزا بها. و كان ذلك أوّل انحطاط قدر النّشو عند السلطان.

ثم اتّفق بعد ذلك أن طيبغا القاسمى الناصرىّ، و كان يسكن بجوار النّشو و له مملوك جميل الصورة فآعتشر به وليّ الدولة و غيره من إخوة النّشو، فترصد أستاذه طيبغا حتّى هجم يوما عليهم و هو معهم فأخذه منهم و خرج و بلغ النّشو ذلك، فبادره بالشّكوى إلى السلطان بأنّ طيبغا القاسمىّ يتعشّق مملوكه و يتلف عليه ماله، و أنّه هجم و هو سكران على بيتى و حريمى و قد شهر سيفه و بالغ فى السبّ، و كان السلطان يمقت على السكر فأمر فى الحال بإخراج طيبغا و مملوكه إلى الشام. و كان السلطان مشغولا فى هذه الأيام بعمارة قناطر شبين القصر على بحر أبى المنجّا فأنشئت تسع قناطر.

ثم توجّه السلطان فى شهر ربيع الآخر من سنة ستّ و ثلاثين و سبعمائة إلى الوجه القبلى للصّيد، ثم عاد إلى القاهرة بعد أن غاب خمسة و أربعين يوما. كلّ ذلك و أمر النّشو فى إدبار بالنسبة لما كان عليه. ثم جلس السلطان يوما بالميدان فسقط عليه طائر حمام و على جناحه ورقة تتضمن الوقيعة فى النّشو و أقاربه و القدح فى السلطان بأنه قد أخرب دولته، فغضب السلطان غضبا شديدا و طلب النّشو

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۱۵

و أوقفه على الورقة و تنّمر عليه لكثرة ما شكى منه، فقال النّشو: يا خوند، الناس معذورون و حقّ رأسك! لقد جاءنى خبر هذه الورقة ليلة كتبت، و هى فعل المعلم أبى شاكر بن سعيد الدولة ناظر البيوت، كتبها فى بيت الصّيفىّ كاتب الأمير قوصون، و قد اجتمع هذا و أقاربه فى التدبير علىّ، ثم أخذ النّشو يعرّف السلطان ما كان من أمر سعيد الدولة فى أيّام المظفّر بيبرس الجاشنكير و أغراه به حتّى طلبه و سلّمه إلى الوالى علاء الدين علىّ بن المروانىّ، فعاقبه الوالى عقوبة مؤلمة. ثم طلب السلطان الأمير قوصون و عنّفه بفعل الصّفىّ كاتبه، ثم تتّبع النّشو حواشى أبى شاكر و قبض عليهم و سلّمهم إلى الوالى و خرّب بيوتهم و حرثها بالمحراث، و اشتدّت و طأة النّشو على الناس و استوحش الناس منه قاطبة، و صار النّشو يدافع عن نفسه بكلّ ما يمكن و المقادير تمهله.

ثم بدا للسلطان أن ينقل الخليفة من مناظر الكبش إلى قلعة الجبل فنقل فى ثالث عشرين ذى القعدة من سنة ستّ و ثلاثين. و الخليفة المستكفى بالله أبو الربيع سليمان، و سكن الخليفة بالقلعة حيث كان أبوه الحاكم نازلا ببرج السّباع بعياله، و رسم على الباب جاندار بالنّوبة، و سكن ابن عمّه إبراهيم فى برج بجواره بعياله، و رسم عليه جاندار آخر و منعا عن الاجتماع بالناس، كلّ ذلك لأمر قيل.

ثمّ إن السلطان فى سابع عشر محرّم سنة سبع و ثلاثين و سبعمائة عقد عقد ابنه أبى بكر على ابنة الأمير سيف الدين طقزدمر الحموىّ الناصرى أمير مجلس بدار الأمير قوصون. ثم قدم الأمير تنكز نائب الشام ثانى شهر رجب من سبع و ثلاثين المذكورة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۱۶

على السلطان و هو بسرياقوس فخلع عليه و سافر فى ثانى عشرينه إلى محلّ ولايته.

ثم فى هذه السنة زاد ظلم النّشو على التّجّار، و زمى على التّجّار الخشب بأضعاف ثمنه، فكثرت الشّكوى منه إلى أن توصّل بعض التجار لزوجة السلطان خوند طغاى أمّ آنوك، و قال لها: رمى علىّ النّشو خشبا يساوى ألفى درهم بألفى دينار، فعرّفت أمّ آنوك السلطان بذلك، فأمر السلطان بطلب التاجر و قد اشتدّ غضبه على النّشو و بلغ النّشو الخبر، ففى الحال أرسل النّشو رجلا إلى التاجر و سأله فى قرض مبلغ من المال، فعرّفه التاجر أمر الخشب و ما هو فيه من الغرامة، فقال له الرجل: أرنى الخشب فإنى محتاج إليه، فلما رآه قال: هذا غرضى و اشتراه منه بفائدة ألف درهم إلى شهر، و فرح التاجر بخلاصه من الخشب و أشهد عليه بذلك، و أخذ الخشب و أتى بالمعاقدة إلى النّشو، فأخذها النّشو و طلع إلى السلطان من فوره، و قال للسلطان: يا مولانا السلطان، نزلت آخذ الخشب من التاجر وجدته قد باعه بفائدة ألف درهم، قلم يصدّقه السلطان و عوّق النّشو و قد امتلأ عليه غضبا، فطلب التاجر و سأله عمّا رماه عليه النّشو من الخشب فاغترّ التاجر بأمّ آنوك و أخذ يقول: ظلمنى النّشو و أعطانى خشبا بألفى دينار يساوى ألفى درهم، فقال له السلطان: و أين الخشب: فقال: بعته بالدّين، فقال النّشو: قل الصحيح، فهذه معاقدتك معه، فلم يجد التاجر بدّا من الاعتراف، فحنق عليه السلطان

و قال له: ويلك! تقيم علينا القالة، و أنت تبيع بضاعتنا بفائدة؛ و سلّمه إلى النشو و أمره بضربه، و أخذ الألفى دينار منه مع مثلها، و عظم عنده النّشو و تحقّق صدق ما يقوله، و أن الذى يحمل الناس على التكلّم فيه الحسد. ثم عبر السلطان إلى الحريم وسّبهنّ و عرّفهنّ بما جرى من كذب التاجر و صدق النّشو، و قال: مسكين النشو، ما وجدت أحدا يحبّه.

ثم أفرج السلطان عن الأمير طرنطاى المحمّدى بعد ما أقام فى السجن سبعا و عشرين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۱۷

سنة و أخرج إلى الشام. ثم فى يوم الاثنين ثانى عشر رمضان ركب النّشو على عادته فى السّحر إلى الخدمة فاعترضه فى طريقه عبد المؤمن بن عبد الوهاب السلامى المعزول عن ولاية قوص، فضربه بالسيف فأخطأ رأس النشو و سقطت عمامته عن رأسه، و قد جرح كتفه و سقط على الأرض و بحا الفارس بنفسه، و فى ظنّه أن رأس النّشو قد طاح عن بدنه لعظم ضربه، و بلغ السلطان ذلك فغضب و لم يحضر السّماط، و بعث إلى النّشو بعدّة من الجمدارية و الجرايحية فقطّبت ذراعه بستّ إبر و جبينه باثنتى عشرة إبرة، و ألزم والى القاهرة و مصر بإحضار غريم النشو. و أغلظ السلطان على الأمراء بالكلام، و ما زال يشتدّ و يحتدّ حتّى عادت القصّاد بسلامة النّشو فسكن ما به؛ ثم بعث النّشو مع أخيه رزق اللّه إلى السلطان يعلمه بأنّ هذا من فعل الكتّاب بموافقة لؤلؤ، فطلب السلطان الوالى و أمره بمعاقبة الكتّاب الذين هم فى المصادرة مع لؤلؤ حتى يعترفوا بغريم النّشو. و كان السلطان قد قبض على لؤلؤ و كتّابه و صادره قبل تاريخه بموافقة النّشو، فنزل الوالى و عاقب لؤلؤا و ضربه ضربا مبرّحا، و عاقب المعلّم أبا شاكر و قرموطا عقابا شديدا، فلم يعترفوا بشىء.

و عوفى النّشو و طلع إلى القلعة و خلع السلطان عليه، و نزل من القلعة بعد أن رتّب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۱۸

السلطان المقدّم إبراهيم بن أبى بكر بن شدّاد بن صابر أن يمشى فى ركابه و معه عشرة من رجاله فى ذهابه و إيابه، ثم قبض النّشو بعد ذلك على [تاج الدين] ابن الأزرق و صادره حتّى باع أملاكه، و كان من جملة أملاكه ملك بشاطئ النيل، فاشتراه منه الأمير عزّ الدين أيدمر الخطيرىّ، و كان بجانبه ساقية فهدم الخطيرى الدار و الساقية و عمرهما جامعا بخطّ بولاق على شاطئ النيل.

قلت: و كان أصل موضع هذا الجامع المذكور أنّه لمّا أنشئت العمائر ببولاق عمّر الحاج محمد بن عزّ الفراش بجوار الساقية المذكورة دارا على النيل، ثم انتقلت بعد موته إلى ابن الأزرق هذا فكانت تعرف بدار الفاسقين، من كثرة اجتماع النصارى بها على ما لا يرضى اللّه تعالى، فلمّا صادره النّشو باعها فيما باعه فاشتراها الخطيرى بثمانية آلاف درهم، و هدمها و بنى مكانها و مكان الساقية جامعا أنفق فيه أموالا جزيلة فى أساساته مخافة من زيادة النيل، و أخذ أراضى حوله من بيت المال، و أنشأ عليها الحوانيت و الرّباع و الفنادق. فلمّا تمّ بناؤه قوى عليه ماء النيل فهدم جانبا منه فأنشأ تجاهه زريبة رمى فيها ألف مركب موسوقة بالحجارة، قاله الشيخ تقىّ الدين المقريزى رحمه اللّه و هو حجة فيما ينقله. لكن أقول لعله وهم فى هذا و أراد أن يقول: وسق ألف مركب بالحجارة فسبق قلمه بما ذكرناه، قال:

و سمّى هذا الجامع بجامع التوبة، و جاء فى غاية الحسن، فلما أفرج عن ابن الأزرق من المصادرة ادّعى أنّه كان مكرها فى بيع داره، فأعطاه الأمير أيدمر الخطيرىّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۱۹

ثمانية آلاف درهم أخرى حتى استرضاه، و لا يكون جامعه بنى فى أرض مكرهة انتهى. و قد خرجنا عن المقصود و لنرجع إلى أمر الملك الناصر.

و أمّا النشو فإنّه لا زال على ابن الأزرق هذا حتّى قبض عليه ثانيا و عاقبه حتى مات، و ذلك فى سنة سبع و ثلاثين و سبعمائة.

ثمّ فى سنة ثمان و ثلاثين و سبعمائة أنعم السلطان الملك الناصر فى يوم واحد على أربعة من مماليكه بمائتى ألف دينار مصريّة، و

هم: قوصون و ألطنبغا الماردانىّ و ملكتمر الحجازىّ و بشتك. و فى هذه السنة ولد للسلطان ابنه صالح من بنت الأمير تنكز نائب الشام، فعمل لها السلطان بشخاناه و دائر بيت زركش، و تكملة البذلة من المخدّات و المقاعد بمائتى ألف دينار و أربعين ألف دينار، و عمل لها الفرخ سبعة أيام. و فى هذه السنة وقع للملك الناصر غريبة، و هو أنّه استدعى من بلاد الصعيد بألفى رأس من الضّأن، و استدعى من الوجه البحرىّ بمثلها لتتمّة أربعة آلاف رأس. و شرع السلطان فى عمل حوش برسمها و برسم الأبقار البلق، فوقع اختياره على موضع بقلعة الجبل مساحته أربعة أفدنة، قد قطعت منه الحجارة لعمارة القاعات

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۲۰

التى بالقلعة حتّى صار غورا عظيما، فطلب كاتب الجيش و رتّب على كلّ من الأمراء المقدّمين مائة رجل و مائة دابّة لنقل التّراب، و على كلّ من أمراء الطبلخاناه بحسب حاله. و أقام الأمير آقبغا عبد الواحد شادا و أن يقيم معه من جهة كلّ أمير أستاداره بعدّة من جنده. و ألزم الأسرى بالعمل. و رسم لوالى القاهرة بتسخير العامّة، فنصب الأمير آقبغا خيمته على جانب الموضع، و استدعى استاداريّة الأمراء و اشتدّ عليهم، فلم يمض ثلاثة أيام حتّى حضرت إليه رجال الأمراء من نواحيهم، و نزل كلّ أستادار بخيمته، و معه دوابّه و رجاله فقسمت عليهم الأرض قطعا معيّنة لكلّ واحد منهم، فجدّوا فى العمل ليلا و نهارا و استحثهم آقبغا المذكور بالضرب، و كان ظالما غشوما، فعسف بالرجال و كلّفهم السّرعة فى أعمالهم من غير رخصة و لا مكّنهم [من] الاستراحة، و كان الوقت صيفا حارّا فهلك جماعة كثيرة منهم فى العمل لعجز قدرتهم عمّا كلّفوه. و مع ذلك كلّه و الولاة تسخّر من تظفر به من العامّة و تسوقه إلى العمل، فكان أحدهم إذا عجز ألقى بنفسه إلى الأرض، رمى أصحابه عليه التّراب فيموت لوقته. هذا و السلطان يحضر كلّ يوم حتّى ينظر العمل، و كان الأمير ألطنبغا الماردانى قد مرض و أقام أياما بالميدان على النيل حتّى عوفى و طلع إلى القلعة من باب القرافة، فاستغاث به الناس و سألوه أن يخلّصهم من هذا العمل، فتوسّط لهم عند السلطان، حتى أعفى الناس من السّخر و أفرج عمّن قبض عليه منهم، فأقام العمل ستة و ثلاثين يوما إلى أن فرغ منه، و أجريت إليه المياه، و أقيمت به الأغنام المذكورة و الأبقار البلق و بنيت به بيوت للإوز و غيرها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۲۱

قلت: لعلّ هذا الموضع يكون هو الحوش الذى يلعب فيه السلطان بالكرة تحت قاعة الدهيشة. و اللّه أعلم. و عند فراغ هذا الحوش استدعى السلطان الأمراء و عمل لهم سماطا جليلا، و خلع على جماعة ممّن باشر العمل و غيرهم.

ثمّ أنشأ السلطان لمملوكيه: الأمير يلبغا اليحياوىّ و لأمير ألطنبغا الماردانىّ لكلّ منهما قصرا تجاه حمّام الملك السعيد قريبا من الرّميلة تجاه القلعة، و أخذ من إسطبل الأمير أيدغمش أمير آخور قطعة، و من إصطبل الأمير قوصون قطعة، و من إصطبل طشتمر الساقى قطعة، و نزل السلطان بنفسه حتّى قرّر أمره، و رسم السلطان للأمير قوصون أن يشترى الأملاك الّتى حول إصطبله و يضيفها فيه. ثمّ أمر السلطان أن يكون بابا الإصطبلين اللذين أمر بإنشائهما ليلبغا و ألطنبغا تجاه حمّام الملك السعيد، و أقام الأمير آقبغا عبد الواحد شادّ عمارة القصرين و الإصطبلين المذكورين.

قلت: أمّا إصطبل قوصون فهو البيت المعدّ لسكن كلّ من صار أتابك العساكر فى زماننا هذا، الذى بابه الواحد تجاه باب السلسلة. و أمّا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۲۲

بيت طشتمر الساقى حمّص أخضر، هو البيت الذى الآن على ملك الأمير جرباش المحمّدى الأتابك، الذى بابه الواحد من حدرة البقر، و بيت أيدغمش أمير آخور لعلّه يكون بيت منجك اليوسفىّ الذى هو الآن على ملك تمربغا الظاهرىّ رأس نوبة النّوب.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۲۳

و أمّا القصران و الإسطبلان اللّذان عمّرهما السلطان ليلبغا اليحياوىّ و ألطنبغا الماردانّى أخذهما السلطان حسن، و جعل مكانهما

مدرسته المعروفة بمدرسة السلطان حسن تجاه قلعة الجبل. و اللّه أعلم.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۲۴

و فی هذه السنة (أعنی سنة ثمان و ثلاثین و سبعمائة) عمل السلطان جسرا بالنیل علی جسر ابن الأثیر، و حفر الخلیج الکبیر المعروف بخلیج الخور. و سببه أنّ

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۲۵

النیل قوی علی ناحیة بولاق و هدم جامع الخطیریّ حتّی احتاج أیدمر الخطیریّ لتجدیده، فرسم السلطان للسکّان علی شاطئ النیل بعمل زرابیّ لجمیع ملّاک الدور بالقرب من فم الخور، و ألّا یؤخذ منهم علیها حکر، فبنی صاحب کلّ دار زریبة تجاه داره فلم یفد ذلک شیئا، فکتب السلطان بإحضار مهندسی البلاد القبلیّة و البحریّة، فلمّا تکاملوا رکب السلطان إلی النیل و هم معه و کشف البحر فاتّفق

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۲۶

الرأی علی أن یحفر الرمل الذی بالجزیرة المعروفة بجزیرة أروی (أعنی الجزیرة الوسطی) حتّی یصیر خلیجا یجری فیه الماء، و یعمل جسر وسط النیل یکون سدا یتصل

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۲۷

بالجزیرة (یعنی من الروضة) إلی الجزیرة الوسطانیة، فإذا کانت زیادة النیل جری الماء فی الخلیج الذی حفر و کان قدّامه سدّ عال یرد الماء إلیه، حتّی یتراجع النیل عن برّ بولاق و القاهرة إلی برّ ناحیة منبابه. و عاد السلطان إلی القلعة و خرجت البرد من الغد إلی الأعمال بإحضار الرجال [للعمل] صحبة المشدّین و طلبت الحجارون بأجمعهم لقطع الحجارة من الجبل، ثم تحمل إلی الساحل و تملأ بها المراکب و تغرّق و هی ملأنة بالحجارة حیث یعمل [الجسر]، فلم یمض عشرة أیام حتی قدمت الرجال من النواحی و تسلّمهم آقبغا عبد الواحد و الأمیر برسبغا الحاجب. و رسم السلطان لوالی القاهرة و لوالی مصر بتسخیر العامّة للعمل فرکبا و قبضا علی عدّة کثیرة منهم، و زادوا فی ذلک حتی صارت الناس تؤخذ من المساجد و الجوامع و الأسواق، فتستّر الناس ببیوتهم خوفا من السخرة، و وقع الاجتهاد فی العمل و اشتدّ الاستحثاث حتّی إنّ الرجل کان یخرّ الی الأرض و هو یعمل لعجزه عن الحرکة فتردم رفقته علیه الرمل فیموت من ساعته. و اتّفق هذا لخلائق کثیرة؛ و آقبغا عبد الواحد راکب فی حرّاقة یستعجل المراکب المشحونة بالحجارة، و السلطان ینزل إلیهم فی کلّ قلیل و یباشرهم و یغلظ علی آقبغا و یحرّضه علی السّرعة و استنهاض

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۲۸

العمال حتّی کمل فی مدّة شهر بعد أن غرق فیه اثنتا عشرة مرکبا بالحجارة، وسق کلّ مرکب ألف إردب. و کانت عدّة المراکب التی أشحنت بالحجارة المقطوعة من الجبل و رمیت فی البحر حتّی صار جسرا یمشی علیه، ثلاثا و عشرین ألف مرکب حجر سوی ما عمل فیه من آلات الخشب و السّریاقات و الحلفاء و نحو ذلک. و حفر الخلیج بالجزیرة؛ فلمّا زاد النیل جری فی الخلیج المذکور و تراجع الماء حتّی قوی علی برّ منبابة و برّ بولاق التّکروریّ، فسرّ السلطان و الناس قاطبة بذلک، فإنّ الناس کانوا علی تخوّف کبیر من النیل علی القاهرة. و أنفق السلطان علی هذا العمل من خزانته أموالا کثیرة. کلّ ذلک فی سنة ثمان و ثلاثین و سبعمائة المذکورة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۲۹

فلمّا استهلّت سنة تسع و ثلاثین و سبعمائة حضر فیها الأمیر تنکز نائب الشام و رسم بسکناه فی داره بالکافوری علی عادته، و خلع علیه خلعة الاستمرار علی نیابة دمشق. و بعد أیّام تکلّم تنکز فی یلبغا نائب حلب فعزله السلطان عن نیابة حلب و أنعم علیه بنیابة غزّة. و قدّم تنکز فی هذه المرّة للسلطان تقدمة عظیمة تجلّ عن الوصف، فیها من صنف الجوهر فقط ما قیمته ثلاثون ألف دینار، و من الزّرکش عشرون ألف دینار، و من أوانی البلّور و تعابی القماش و الخیل و السّروج و الجمال البختی ما قیمته مائتان و عشرون ألف دینار

مصريّة، فلمّا انقضت التّقدمة أخذ السلطان تنكز و أدخله إلى الدور السلطانية حتى رأى ابنته زوجة السلطان، فقامت اليه و قبّلت يده، ثم أخرج السلطان إليه جميع بناته و أمرهنّ بتقبيل يد تنكز المذكور و هو يقول لهنّ واحدة بعد واحدة: بوسى يد عمّك، ثم عيّن منهنّ بنتين لولدى الأمير تنكز فقبّل تنكز الأرض و خرج من الدور، و السلطان يحادثه.

و أمر السلطان بالاهتمام إلى سفر الصعيد للصّيد على عادته و تنكز صحبته؛ و كان من إكرامه له فى هذه السّفرة ما لا عهد من ملك مثله، فلمّا عاد السلطان من الصعيد أمر النّشو بتجهيز كلفة عقد ابنى تنكز على ابنتيه، و كلفة سفر تنكز إلى الشام،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۳۰

فجهّز النّشو ذلك كلّه، و عقد لابنى تنكز على ابنتى السلطان فى بيت الامير قوصون، لكون قوصون أيضا متزوّجا بإحدى بنات السلطان، بحضرة القضاة و الأمراء.

ثمّ ولدت بنت الأمير تنكز من السلطان بنتا فسجد شكرا للّه بحضرة السلطان، و قال:

ياخوند، كنت أتمنى أن يكون المولود بنتا فإنها لو وضعت ذكرا كنت أخشى من تمام السعادة، فإنّ السلطان قد تصدّق علىّ بما غمرنى به من السعادة فخشيت من كمالها.

ثم جهّز السلطان الأمير تنكز و أنعم عليه من الخيل و التعابى القماش ما قيمته مائة و عشرون ألف دينار. و أقام تنكز فى هذه المرّة بالقاهرة مدّة شهرين، فلما وادع السلطان سأله إعفاء الأمير كجكن من الخدمة و أشياء غير ذلك فأجابه إلى جميع ما سأله. و كتب له تقليدا بتفويض الحكم فى جميع الممالك الشامية بأسرها، و أن جميع نوّابها تكاتبه بأحوالها، و أن تكون مكاتبته: «أعزّ اللّه أنصار المقرّ الشريف»، بعد ما كانت. «أعزّ اللّه أنصار الجناب» و أن يزاد فى ألقابه:

«الزاهدىّ العابدىّ العالمىّ كافل الإسلام أتابك الجيوش». و أنعم السلطان على مغنّية قدمت معه من دمشق من جملة مغانيه بعشرة آلاف درهم، و وصل لها من الدّور ثلاث بذلات زركش و ثلاثون تعبية قماش و أربع بذلات مقانع و خمسمائة دينار. ثم آخر ما قال السلطان لتنكز: إيش بقى لك حاجة؟ بقى فى نفسك شىء، أقضيه لك قبل سفرك؟ فقبّل الأرض و قال: و اللّه ياخوند، ما بقى فى نفسى شىء أطلبه إلّا أن أموت فى أيّامك، فقال السلطان: لا، إن شاء اللّه تعيش أنت و أكون أنا فداءك، أو أكون بعدك بقليل، فقبّل الأرض و انصرف، و قد حسده سائر الأمراء، [و كثر حديثهم] فيما حصل له من الإكرام الزائد، فاتّفق ما قال السلطان، فإنّه لم يقم بعد موت تنكز إلّا مدّة قليلة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۳۱

و أمّا أمر النّشو فإنّه لم يزل على الظلم و العسف فى الرّعية و الأقدار تساعده إلى أن قبض عليه السلطان الملك الناصر فى يوم الاثنين ثانى صفر سنة أربعين و سبعمائة، و على أخيه مجد الدين رزق اللّه، و على [أخيه] المخلص و على مقدّم الخاصّ و رفيقه.

و سبب ذلك أنّه زاد فى الظلم حتى قلّ الجالب إلى مصر و ذهب أكثر أموال التجّار لطرح الأصناف عليهم بأغلى الأثمان، و طلب السلطان الزيادة فخاف العجز، فرجع عن ظلم العامّ إلى الخاصّ، و رتّب مع أصحابه ذلك، و كانت عادته فى كلّ ليلة أن يجمع إخوته و صهره و من يثق به فى النظر فيما يحدثه من المظالم، يقترح كلّ منهم ما يقترحه من لمظالم ثم يتفرقون، فرتّبوا فى ليلة من الليالى أو راقا تشتمل على فصول يتحصّل منها ألف ألف دينار عينا و قرأها على السلطان: منها التقاوى السلطانية المخلّدة بالنواحى من الدولة الظاهريّة بيبرس و المنصوريّة قلاوون فى إقطاعات الأمراء و الأجناد، و جملتها مائة ألف إردب و ستون ألف إردب سوى ما فى بلاد السلطان من التقاوى، و منها الرّزق الأحباسية الموقوفة على المساجد و الجوامع و الزوايا و غير ذلك، و هى مائة ألف فدان و ثلاثون ألف فدان. و قرّر مع السلطان أن يأخذ التقاوى المذكورة، و أن يلزم كلّ متولى إقليم باستخراجها و حملها، و أن يقيم شادّا يختاره لكشف الرّزق الأحباسية، فما كان منها على موضع عامر [بذكر اللّه] يعطيه نصف ما يحصل و يأخذ من مزارعيه فى النصف الآخر عن كلّ فدان مائة درهم.

قلت: و لم يصحّ ذلك للنّشو و صحّ مع أستادار زماننا هذا زين الدين يحيى الأشقر قريب ابن أبى الفرج لمّا كان ناظر المفرد فى أستادارية قزطوغان فإنّه أحدث

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۳۲

هذه المظلمة فى دولة الملك الظاهر، و دامت فى صحيفته إلى يوم القيامة، فأقول:

كم ترك الأول للآخر. انتهى.

قال: و يلزم المزارع بخراج ثلاث سنين، و ما كان من الرّزق على موضع خراب، أو على أهل الأرياف من الفقهاء و الخطباء و نحوهم أخذوا، و استخرج من مزارعيه خراج ثلاث سنين. و ممّا أحدثه أيضا أرض [جزيرة] الرّوضة تجاه مدينة مصر، فإنها بيد أولاد الملوك، فيستأجرها منهم الدواوين و ينشوا بها سواقى الأقصاب و غيرها. و منها ما باعه أولاد الملوك بأبخس الأثمان، و قرّر مع السلطان أخذ أراضى الرّوضة للخاصّ. و منها أرباب الرواتب السلطانية فإنّ أكثرهم عبيد الدواوين، و نساؤهم و غلمانهم يكتبونها باسم زيد و عمرو؛ و ذكر أشياء كثيرة من هذه المقولة إلى أن تعرض للأمير آقبغا عبد الواحد و لأمواله و حواصله، و حسّن للسلطان القبض عليه و شرع فى عمل ما قاله، فعظم ذلك على الناس و تراموا على خواصّ السلطان من الأمراء و غيرهم، فكلّموا السلطان فى ذلك و عرّفوه قبح سيرة النّشو، و ما قصده إلّا خراب مملكة السلطان. ثم رميت للسلطان عدّة أوراق فى حقّ النّشو، فيها مكتوب:

أمعنت فى الظلم و أكثرته و زدت يا نشو على العالم

ترى من الظالم فيكم لنا فلعنة اللّه على الظالم

و أبيات أخر. و كان السلطان أرسل قرمحى إلى تنكز لكشف أخبار النّشو بالبلاد الشامية، فعاد بمكاتبات تنكز بالحطّ عليه، و ذكر قبح سيرته و ظلمه و عسفه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۳۳

و كان النّشو قد حصل له قولنج انقطع منه أياما، ثم طلع إلى القلعة و أثر المرض فى وجهه، و قرّر مع السلطان إيقاع الحوطه على آقبغا عبد الواحد من الغد، و كان ذلك فى أوّل يوم من صفر. و تقرّر الحال على أنه يجلس النّشو على باب الخزانة، فإذا خرج الأمير بشتك من الخدمة جلس معه، ثم يتوجّهان إلى بيت آقبغا و يقبضان عليه. فلما عاد النّشو إلى داره عبر الحمّام ليلة الاثنين و معه [شمس الدين محمد] بن الأكفانىّ، و قد قال له ابن الأكفانىّ: بأنّ على النشو فى هذا الشهر قطعا عظيما فأمر النّشو بعض عبيده السودان أن يحلق رأسه و يجرحه بحيث يسيل الدّم على جسده ليكون ذلك حظّه من القطع، ففعل به ذلك، و تباشروا بما دفع اللّه عنه من السوء. ثمّ خرج النّشو من الحمّام، و كان الأمير يلبغا اليحياوىّ أحد خواصّ السلطان و مماليكه قد توعّك جسده توعّكا صعبا فقلق السلطان عليه و أقام عنده لكثرة شغفه به، فقال له يلبغا فيما قال: ياخوند، قد عظم إحسانك لى و وجب نصحك علىّ و المصلحة القبض على النّشو، و إلّا دخل عليك الدخيل، فإنّه ما عندك أحد من مماليكك إلّا و هو يترقّب غفلة منك، و قد عرّفتك و نصحتك قبل أن أموت، و بكى و بكى السلطان لبكائه، و قام السلطان و هو لا يعقل لكثرة ما داخله من الوهم لثقته بمحبّة يلبغا له، و طلب بشتك فى الحال و عرّفه أنّ الناس قد كرهوا هذا النشو، و أنه عزم على الإيقاع به، فخاف بشتك أن يكون ذلك امتحانا من السلطان، ثم وجد عزمه قويّا فى القبض عليه، فاقتضى الحال إحضار الأمير قوصون أيضا فحضر و قوّى عزم السلطان على ذلك، و ما زالا به حتى قرّر معهما أخذه و القبض عليه. و أصبح النشو و فى ذهنه أنّ القطع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج۹؛ ص۱۳۳

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۳۴

الذى تخوّف منه قد زال عنه بما دبّره ابن الأكفانى من إسالة دمه. ثم علّق عليه عدّة من العقود و الطّلّسمات و الحروز و ركب إلى القلعة و جلس بين يدى السلطان على عادته، و أخذ معه فى الكلام على القبض على آقبغا عبد الواحد. ثم نهض النّشو و توجّه إلى

باب الخزانة، و جلس عليها ينتظر مواعدة بشتك، فعند ما قام النّشو طلب السلطان المقدّم ابن صابر، و أسرّ إليه أن يقف بجماعته على باب القلعة و على باب القرافة، و لا يدع أحدا به من حواشى النّشو و جماعته و أقار به و إخوته أن ينزلوا و يقبضوا عليهم الجميع. و أمر السلطان بشتك و برسبغا الحاجب أن يمضيا إلى النّشو و يقبضا عليه و على أقاربه، فخرج بشتك و جلس بباب الخزانة فطلب النّشو من داخلها فظنّ النشو أنه جاء لميعاده مع السلطان حتّى يحتاطا على موجود آقبغا، فساعة ما وقع بصره عليه أمر مماليكه بأخذه فأخذوه إلى بيته بالقلعة، و بعث إلى بيت الأمير ملكتمر الحجازىّ فقبض على أخيه رزق اللّه، ثم أخذ أخاه المخلص و سائر أقار به. و طار الخبر فى القاهرة و مصر، فخرج الناس كلّهم كأنّهم جراد منشر، و ركب الأمير آقبغا عبد الواحد و الأمير طيبغا المجدى و الأمير بيغرا و الأمير برسبغا لإيقاع الحوطة على بيوت النّشو و أقاربه و حواشيه، و معهم عدوّه [القاضى جمال الدين إبراهيم المعروف ب] جمال الكفاة كاتب الأمير بشتك و شهود الخزانة، و أخذ السلطان يقول للأمراء: كم تقولون، النّشو ينهب مال الناس! الساعة ننظر المال الذى عنده! و كان السلطان يظنّ أنّه يؤدّيه الأمانة، و أنّه لا مال له، فندم الأمراء على تحسينهم مسك النّشو خوفا من ألّا يظهر له مال، لا سيما

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۳۵

قوصون و بشتك من اجل أنّهما كانا بالغا فى الحطّ عليه، فكثر قلقهما و لم يأكلا طعاما نهارهما و بعثا فى الكشف على الخبر. فلما أوقع الأمراء الحوطة على دور الممسوكين بلغهم أنّ حريم النّشو فى بستان فى جزيرة الفيل، فساروا إليه و هجموا عليه فوجدوا ستين جارية و أمّ النّشو و امرأته و إخوته و ولديه و سائر أهله، و عندهم مائتا قنطار عنب و قند كثير و معصار و هم فى عصر العنب، فختموا على الدّور و الحواصل، و لم يتهيّأ لهم نقل شىء [منها]. هذا و قد غلّقت الأسواق بمصر و القاهرة، و اجتمع الناس بالرّميلة تحت القلعة و معهم النساء و الأطفال و قد أشعلوا الشموع و رفعوا على رءوسهم المصاحف و نشروا الأعلام و هم يصيحون استبشارا و فرحا بقبض النّشو، و الأمراء تشير إليهم أن يكثروا ممّا هم فيه، و استمرّوا ليلة الثلاثاء على ذلك، فلمّا أصبحوا وقع الصوت من داخل القلعة بأنّ رزق اللّه أخا النّشو قد قتل نفسه، و هو أنّه لما قبض عليه قوصون وكّل به أمير شكاره، فسجنه ببعض الخزائن، فلمّا طلع الفجر قام الأمير شكار إلى صلاة الصبح فقام رزق اللّه و أخذ من حياصته سكينا و وضعها فى نحره حتّى نفذت منه و قطعت و رائده، فلم يشعر أمير شكار إلّا و هو يشخّر و قد تلف، فصاح حتّى بلغ قوصون فانزعج لذلك و ضرب أمير شكاره ضربا مبرّحا إلى أن علم السلطان الخبر، فلم يكترث به.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۳۶

و فى يوم الاثنين المذكور أفرج السلطان عن الصاحب شمس الدين موسى ابن التاج إسحاق و أخيه و نزلا من القلعة إلى الجامع الجديد بمصر. و كان شمس الدين هذا قد وشى به النّشو حتّى قبض عليه السلطان، و أجرى عليه العقوبة أشهر إلى أن أشيع موته غير مرّة، وقد ذكرنا أمر عقوبة شمس الدين هذا و ما وقع له فى ترجمته فى تاريخنا «المنهل الصافى و المستوفى بعد الوافى»، فإنّ فى سيرته عجائب فلينظر هناك. قال الشيخ كمال الدين جعفر [بن ثعلب] الأدفوىّ فى يوم الاثنين هذا، و فى معنى مسك النّشو و غيره هذه الأبيات:

إنّ يوم الاثنين يوم سعيد فيه لا شكّ للبرية عيد

أخذ اللّه فيه فرعون مصر و غدا النّيل فى رباه يزيد

و قال الشيخ شمس الدين محمد [بن عبد الرحمن بن على الشهيربا] بن الصائغ الحنفى فى معنى مسك النّشو و الإفراج عن شمس الدين موسى و زيادة النيل هذه الأبيات:

لقد ظهرت فى يوم الاثنين آية أزالت بنعماها عن العالم البوسا

تزايد بحمر النيل فيه و أغرقت به آل فرعون و فيه نجا موسى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۳۷

و فى المعنى يقول أيضا القاضى علاء الدين على [بن يحيى] بن فضل اللّه كاتب السّرّ:

فى يوم الاثنين ثانى الشهر من صفر نادى البشير إلى أن أسمع الفلكا

يا أهل مصر نجا موسى و نيلكمو طغى و فرعون و هو النّشو قد هلكا

ثم فى يوم الثلاثاء نودى بالقاهرة و مصر: بيعوا و اشتروا و احمدوا اللّه تعالى على خلاصكم من النّشو. ثم أخرج رزق اللّه أخو النّشو ميّتا فى تابوت امرأة حتى دفن فى مقابر النصارى خوفا عليه من العامة أن تحرقه. ثم دخل الأمير بشتك على السلطان و استعفى من تسليم النشو خشية ممّا جرى من أخيه، فأمر السلطان أن يهدّده على إخراج المال، ثم يسلّمه لابن صابر فأوقفه بشتك و أهانه فالتزم إن أفرج عنه جمع للسلطان من أقاربه خزانة مال ثم تسلّمه ابن صابر فأخذه ليمضى به إلى قاعة الصاحب، فتكاثرت العامة لرجمه حتى طردهم نقيب الجيش و أخرجه و الجنزير فى عنقه حتى أدخله قاعة الصاحب، و العامة تحمل عليه حملة بعد حملة و النقباء تطردهم. ثم طلب السلطان فى اليوم المذكور جمال الكفاة إبراهيم كاتب الأمير بشتك و خلع عليه و استقرّ فى وظيفة نظر الخاصّ عوضا عن شرف الدين عبد الوهاب بن فضل اللّه المعروف بالنّشو بعد تمنّعه، و رسم له أن ينزل للحوطة على النشو و أقاربه، و معه الأمير آقبغا عبد الواحد و برسبغا الحاجب و شهود الخزانة، فنزل بتشريفه و ركب بغلة النّشو حتى أخرج حواصله، و قد أغلق الناس الأسواق و تجمّعوا و معهم الطبول و الشموع و أنواع الملاهى و أرباب الخيال، بحيث لم يبق

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۳۸

خانوت بالقاهرة مفتوح نهارهم كلّه، ثم ساروا مع الأمراء على حالهم إلى تحت القلعة و صاحوا صيحة واحدة، حتى انزعج السلطان و أمر الأمير أيدغمش بطردهم، و دخلوا الأمراء على السلطان بما وجدوه للنشو، و هو من العين خمسة عشر ألف دينار مصرية. و ألفان و خمسمائة حبة لؤلؤ، قيمة كلّ حبّة ما بين ألفى درهم إلى ألف درهم. و سبعون فص بلخش قيمة كل فص [ما بين] خمسة آلاف درهم إلى ألف درهم. و قطعة زمرّد فاخر زنتها رطل. و نيّف و ستون حبلا من لؤلؤ كبار، زنة ذلك أربعمائة مثقال. و مائة و سبعون خاتم ذهب و فضّة بفصوص مثمنة.

و كفّ مريم مرصّع بجوهر. و صليب ذهب مرصّع. و عدّة قطع زركش؛ سوى حواصل لم تفتح. فخجل السلطان لمّا رأى ذلك، و قال للامراء: لعن اللّه الأقباط و من يأمنهم أو يصدّقهم! و ذلك أنّ النّشو كان يظهر له الفاقة بحيث إنّه كان يقترض الخمسين درهما و الثلاثين درهما حتى ينفقها. و بعث فى بعض اللّيالى إلى جمال الدين إبراهيم [بن أحمد] بن المغربى رئيس الأطباء يطلب منه مائة درهم، و يذكر له أنه طرقه ضيف و لم يجد له ما يعشّيه به، و قصد بذلك أن يكون له شاهد عند السلطان بما يدّعيه من الفقر. فلما كان فى بعض الأيام شكا النّشو الفاقة للسلطان و ابن المغربىّ حاضر، فذكر للسلطان أنه اقترض منه فى ليلة كذا مائة درهم، فمشى ذلك على السلطان و تقرر فى ذهنه أنّه فقير لا مال له. انتهى.

و استمر الأمراء تنزل كلّ يوم لإخراج حواصل النّشو فوجدوا فى بعض الأيام من الصّينىّ و البلّور و التّحف السنيّة شيئا كثيرا. و فى يوم الخميس [خامسه] زيّنت القاهرة و مصر بسبب قبض النشو. زينة هائلة دامت سبعة أيام، و عملت أفراح

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۳۹

كثيرة. و عملت العامّة فيه عدّة أزجال و بلاليق، و أظهروا من الفرح و اللّهو و الخيال ما يجلّ وصفه، و وجدت مآكل كثيرة فى حواصل النّشو، منها: نحو مائتى مطر ملوحة و ثمانين مطر جبن و أحمال كثيرة من سوّاقة الشام. و وجد له أربعمائة بذلة قماش جديدة و ثمانون بذلة قماش مستعمل، و وجد له ستّون بغلطاق نشاوىّ مزركش و مناديل زركش عدّة كثيرة. و وجد له صناديق كثيرة فيها قماش سكندرىّ ممّا عمل برسم الحرّة جهة ملك المغرب قد اختلسه النّشو، و كثير من قماش الأمراء الذين ماتوا و الذين قبض عليهم. و وجد له مملوك تركىّ قد خصاه هو و اثنين معه ماتا، و خصى أيضا أربعة عبيد فماتوا، فطلب السلطان الذى خصاهم و ضربه بالمقارع، و جرّس و تتبّعت أصحابه و ضرب منهم جماعة. ثم وجد بعد ذلك بمدّة لإخوة النشو ذخائر نفيسة، منها لصهره ولىّ الدولة

صندوق فيه مائة و سبعون فصّ بلخش. و ستّ و ثلاثون مرسلة مكللة بالجوهر. و إحدى عشرة عنبرينة مكلّلة بلؤلؤ كبار. و عشرون طراز زركش، و غير ذلك ما بين لؤلؤ منظوم و زمرّد و كوافى زركش، قوّموا بأربعة و عشرين ألف دينار. و ضرب المخلص أخو النّشو و مفلح عبده بالمقارع، فأظهر المخلص الإسلام. ثم فى يوم الثلاثاء ثانى عشرين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۴۰

شهر ربيع الأوّل وجدت ورقة بين فرش السلطان فيها: المملوك بيرم ناصح السلطان يقبّل الأرض و ينهى: إنّنى أكلت رزقك و أنت قوام المسلمين، و يجب على كلّ أحد نصحك، و إنّ بشتك و آقبغا عبد الواحد اتّفقا على قتلك مع جماعة من المماليك فآحترس على نفسك، و كان بشتك فى ذلك اليوم قد توجّه بكرة النهار إلى جهة الصعيد، فطلب السلطان الأمير قوصون و الأمير آقبغا عبد الواحد و أوقفهما على الورقة، فكاد عقل آقبغا أن يختلط من شدّة الرّعب، و أخذ الأمير قوصون يعرّف السلطان أن هذا فعل من يريد التشويش على السلطان و تغيير خاطره على مماليكه.

فأخرج السلطان البريد فى الحال لردّ الأمير بشتك فأدركه بإطفيح و قد مدّ سماطه، فلمّا بلغه الخبر قام و لم يمدّ يده إلى شىء منه. و جدّ فى سيره حتى دخل على السلطان، فأوقفه السلطان على الورقة فتنصّل ممّا رمى به كما تنصّل آقبغا و استسلم، و قال:

هذه نفسى و مالى بين يدى السلطان. و إنما حمل من رمانى بذلك الحسد على قربى من السلطان، و عظم إحسانه إلىّ و نحو هذا، حتى رقّ له السلطان و أمره أن يعود إلى الصيد إلى جهة قصده.

ثم طلب السلطان [ناظر] ديوان الجيش، و رسم له أن يكتب كلّ من اسمه بيرم و يحضره إلى آقبغا عبد الواحد، فارتجّت القلعة و المدينة، فطلب ناظر الجيش المذكورين و عرضهم و أخذ خطوطهم ليقابل بها كتابة الورقة فلم يجده. فلمّا أعيا آقبغا الظّفر بالغريم اتّهم النّشو أنّها من مكايده، و اشتدّ قلق السلطان و كثر انزعاجه بحيث إنه لم يستطع أن يقرّ بمكان واحد، و طلب والى القاهرة و أمره بهدم ما بالقاهرة من حوانيت صنّاع النّشّاب و ينای من عمل نشّابا شنق، فامتثل ذلك. و خرّب جميع مرامى النّشّاب، و غلّقت حوانيت القوّاسين، و نزل الأمير برسبغا إلى الأمراء جميعهم، و عرّفهم عن السلطان أنّ من رمى من مماليكم بالنّشاب أو حمل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۴۱

قوسا كان أستاذه عوضا عنه فى التلاف، و ألّا يركب أحد من الأمراء بسلاح و لا تركاش، و بينما الناس فى هذا الهول الشديد إذ دخل رجل يعرف بابن الأزرق- كان أبوه ممن مات فى عقوبة النّشو لما صادره، و قد تقدّم ذكر ابن الأزرق فى أمر بناء جامع الخطيرى- على جمال الكفاة و طلب الورقة ليعرّفهم من كتبها، فقام جمال الكفاة إلى السلطان و معه الرجل، فلما وقف عليها قال: يا خوند، هذه خطّ أحمد الخطائى، و هو رجل عند وليّ الدولة صهر النّشو يلعب معه النّرد و يعاقره الخمر، فطلب المذكور و حاققه الرجل محاققة طويلة فلم يعترف، فعوقب عقوبات مؤلمة إلى أن أقرّ بأنّ وليّ الدولة أمره بكتابتها، فجمع بينه و بين وليّ الدولة فأنكر وليّ الدولة ذلك، فطلب أن يرى الورقة فلما رآها حلف جهد أيمانه أنها خطّ ابن الأزرق الشاكى، لينال منه غرضه، من أجل أنّ النّشو قتل أباه، و حاققه على ذلك، فاقتضى الحال عقوبة ابن الأزرق فاعترف أنّها كتابته و أنه أراد أن يأخذ بثأر أبيه من النّشو و أهله، فعفا السلطان عن ابن الأزرق و رسم بحبس ابن الخطائى. و رسم لبرسبغا الخاجب و ابن صابر المقدم أن يعاقبا النّشو و أهله حتى يموتوا. و أذن السلطان للأجناد فى حمل النّشّاب فى السّفر دون الحضر، فصارت هذه عادة إلى اليوم.

و يقال إنّ سبب عقوبة النّشو أنّ أمراء المشورة تحدّثوا مع السلطان، و كان الذى ابتدأ بالكلام سنجر الجاولى و قبّل الأرض، و قال: حاشى مولانا السلطان من شغل الخاطر و ضيق الصدر، فقال السلطان: يا أمراء، هؤلاء مماليكى أنشأتهم و أعطيتهم العطاء الجزيل، و قد بلغنى عنهم ما لا يليق، فقال الجاولى:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۴۲

حاشى للّه أنّ يبدو من مماليك السلطان شىء من هذا، غير أنّ علم مولانا السلطان محيط بأنّ ملك الخلفاء ما زال إلّا بسبب الكتّاب، و

غالب السلاطين ما دخل عليهم الدّخيل إلّا من جهة الوزراء، و مولانا السلطان ما يحتاج فى هذا إلى أن يعرّفه أحد بما جرى لهم، و من المصلحة قتل هذا الكلب و إراحة الناس منه، فوافقه الجميع على ذلك، فضرب المخلص أخو النّشو فى هذا اليوم بالمقارع، و كان ذلك فى يوم الخميس رابع عشرين شهر ربيع الأوّل حتّى هلك يوم الجمعة العصر، و دفن بمقابر اليهود. ثمّ ماتت أمّه عقيبه. ثم مات وليّ الدولة عامل المتجر تحت العقوبة و رمى للكلاب؛ هذا و العقوبة تتنوّع على النّشو حتّى هلك يوم الأربعاء ثانى شهر ربيع الآخر من سنة أربعين و سبعمائة فوجد النّشو بغير ختان، و كتب به محضر و دفن بمقابر اليهود بكفن قيمته أربعة دراهم و وكّل بقبره من يحرسه مدّة أسبوع خوفا من العامّة أن تنبشه و تحرقه. و كان مدّة ولايته و جوره سبع سنين و سبعة أشهر، ثم أحضر وليّ الدولة صهر النّشو، و هذا بخلاف وليّ الدولة عامل المتجر الذى تقدّم، و أمر السلطان بعقوبته، فدلّ على ذخائر النّشو ما بين ذهب و أوان، فطلبت جماعة بسبب ودائع النّشو، و شمل الضرر غير واحد. و كان موجود النّشو سوى الصندوق الذى أخذه السلطان شيئا كثيرا جدّا، عمل لبيعه تسع و عشرون حلقة، بلغت قيمته خمسة و سبعين ألف درهم. و كان جملة ما أخذ منه سوى الصندوق نحو مائتى ألف دينار. و وجد لوليّ الدولة عامل المتجر ما قيمته خمسون ألف دينار. و وجد لوليّ الدولة صهر النّشو زيادة على مائتى ألف دينار. و بيعت للنشو دور بمائتى ألف درهم. و ركب الأمير آقبغا عبد الواحد إلى دور آل النّشو فخرّبها كلّها، حتى ساوى بها الأرض و حرثها بالمحاريث فى طلب الخبايا، فلم يجد بها من الخبايا إلا القليل. انتهى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۴۳

و أمّا أصل النشو هذا أنه كان هو و والده و إخوته يخدمون الأمير بكتمر الحاجب، فلمّا انفصلوا من عنده أقاموا بطّالين مدّة، ثم خدم النّشو هذا عند الأمير أيدغمش أمير آخور فأقام بخدمته إلى أن جمع السلطان فى بعض الأيام كتّاب الأمراء لأمر ما، فرآه السلطان و هو واقف من وراء الجماعة و هو شاب طويل نصرانىّ حلو الوجه، فآستدعاه و قال له: إيش اسمك؟ قال: النّشو، فقال: أنا أجعلك نشوى و رتّبه مستوفيا فى الجيزة، و أقبلت سعادته فيما ندبه إليه و ملا عينه، ثم نقله إلى استيفاء الدولة فباشر ذلك مدّة حتى استسلمه الأمير بكتمر الساقى و سلّم إليه ديوان سيدى آنوك، ثم نقله بعد ذلك إلى نظر الخاصّ بعد موت القاضى فخر الدين ناظر الجيش، فإنّ شمس الدين موسى ابن التاج ولى الجيش، و النّشو هذا ولى عوضه الخاص. انتهى.

و فى آخر شهر ربيع الآخر نودى على الذهب أن يكون صرف الدينار بخمسة و عشرين درهما، و كان بعشرين درهما. و فى هذه السنة فرغت مدرسة الأمير آقبغا عبد الواحد بجوار الجامع الأزهر، و أبلى الناس فى عمارتها ببلايا كثيرة، منها:

أنّ الصّنّاع كان قرّر عليهم آقبغا أن يعملوا بهذه المدرسة يوما فى الأسبوع بغير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۴۴

أجرة، ثم حمل إليها الأصناف من الناس و من العمائر السلطانية، فكانت عمارتها ما بين نهب و سرقة، و مع هذا فإنّه ما نزل إليها قطّ إلا و ضرب بها أحدا زيادة على شدّة عسف مملوكه الذى أقامه شادّا بها، فلمّا تمّت جمع بها القضاة و الفقهاء و لم يولّ بها أحد، و كان الشريف المحتسب قدّم بها سماطا بنحو ستة آلاف درهم على أن يلى تدريسها فلم يتمّ له ذلك.

ثم إنّ السلطان نزل إلى خانقاه سرياقوس التى أنشأها فى يوم الثلاثاء ثامن عشرين شهر ربيع الآخر من سنة أربعين و سبعمائة، و قد تقدّمه إليها الشيخ شمس الدين محمد [بن] الأصفهانى و قوام الدين الكرمانىّ و جماعة من صوفية سعيد السعداء، فوقف السلطان على باب خانقاه سعيد السعداء بفرسه، و خرج إليه جميع صوفيّتها و وقفوا بين يديه، فسألهم من يختارونه شيخا لهم بعد وفاة الشيخ مجد الدين موسى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۴۵

ابن أحمد بن محمد الأقصرائىّ فلم يعيّنوا أحدا، فولّى السلطان بها الركن الملطىّ خادم المجد الأقصرائى المتوفّى. و انقطع السلطان فى هذه الأيام عن الخروج إلى دار العدل نحو عشرين يوما بسبب شغل خاطره لمرض مملوكه يلبغا اليحياوىّ و ملازمته له إلى أن تعافى،

و عمل السلطان لعافيته سماطا عظيما هائلا بالميدان و أحضر الأمراء، ثم استدعى بعدهم جميع صوفية الخوانق و الزوايا و أهل الخير و سائر الطوائف، و مدّ لهم الأسمطة الهائلة، و أخرج من الخزائن السلطانية نحو ثلاثين ألف درهم، أفرج بها عن المسجونين على دين، و أخرج للأمير يلبغا المذكور ثلاث حجورة بمائتى ألف درهم، و حياصة ذهب مرصّعة بالجوهر، كلّ ذلك لعافية يلبغا المذكور.

ثمّ فى هذه السنة تغيّر خاطر السلطان على مملوكه الأمير تنكز نائب الشام، و بلغ تنكز تغيّر خاطر السلطان عليه، فجهّز أمواله ليحملها إلى قلعة جعبر و يحرج هو إليها بعد ذلك بحجّة أنّه يتصيّد، فقدم إليه الأمير طاجار الدّوادار قبل ذلك فى يوم الأحد رابع عشر ذى الحجة و عتبه و بلّغه عن السلطان ما حمله من الرسالة، فتغيّر الأمير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۴۶

تنكز و بدأت الوحشة بينه و بين السلطان، و عاد طاجار إلى السلطان فى يوم الجمعة تاسع عشر ذى الحجة فأغرى السلطان على تنكز و قال: إنه عزم على الخروج من دمشق، فطلب السلطان بعد الصلاة الأمير بشتك و الأمير بيبرس الأحمدى و الأمير چنكلى بن البابا و الأمير أرقطاى و الأمير طقز دمر فى آخرين، و عرّفهم أنّ تنكز قد خرج عن الطاعة، و أنه يبعث إليه تجريدة مع الأمير چنكلى و الأمير بشتك و الأمير أرقطاى و الأمير أرنبغا أمير جاندار و الأمير قمارى أمير شكار و الأمير قمارى أخو بكتمر الساقى و الأمير برسبغا الحاجب، و مع هذه الأمراء السبعة ثلاثون أمير طبلخاناه و عشرون أمير عشرة و خمسون نفرا من مقدّمى الخلقة و أربعمائة من المماليك السلطانية و جلس و عرضهم. ثم جمع السلطان فى يوم السبت عشرين ذى الحجّة الأمراء جميعهم و حلّف المجرّدين و المقيمين له و لولده الأمير أبى بكر من بعده، و طلبت الأجناد من النواحى للحلف، فكانت بالقاهرة حركات عظيمة، و حمل السلطان لكلّ مقدّم ألف مبلغ ألف دينار، و لكلّ طبلخاناه أربعمائة دينار، و لكل مقدم حلقة ألف درهم، و لكل مملوك خمسمائة درهم و فرسا، و قرقلا و خوذة، فاتّفق قدوم الأمير موسى بن مهنّا فقرّر مع السلطان القبض على الأمير تنكز، و كتب إلى العربان بأخذ الطرقات من كلّ جهة على تنكز. ثم بعث السلطان بهادر حلاوة من طائفة الأوجاقيّة على البريد إلى غزّة و صفد و إلى أمراء دمشق بملطّفات كثيرة.

ثم أخرج موسى بن مهنّا لتجهيز العربان و إقامته على حمص، و اهتمّ السلطان بأمر تنكز اهتماما زائدا جدّا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۴۷

قلت: على قدر الصعود يكون الهبوط، ما لتلك الإحسان؟ و العظمة و المحبة الزائدة لتنكز قبل تاريخه إلا هذه الهمّة العظيمة فى أخذه و القبض عليه، و لكن هذا شأن الدنيا مع المغرمين بها!.

ثم إنّ الملك الناصر كثر قلقه من أمر تنكز و تنغّص عيشه و خرج العسكر المعيّن من القاهرة لقتال تنكز فى يوم الثلاثاء ثالث عشرين ذى الحجّة من سنة أربعين و سبعمائة. و كان حلاوة الأوجاقى قدم على الأمير ألطنبغا الصالحىّ نائب غزّة بملطّف. و فيه أنّه استقرّ فى نيابة الشام عوضا عن تنكز، و أنّ العسكر واصل إليه ليسيروا به إلى دمشق.

قلت: و ألطنبغا نائب غزّة هو عدوّ تنكز الذى كان تنكز سعى فى أمره حتى عزله السلطان من نيابة حلب و ولاه نيابة غزّة قبل تاريخه.

ثمّ سار حلاوة الأوجاقى إلى صفد و إلى الشام و أوصل الملطّفات إلى أمراء دمشق. ثم وصلت كتب ألطنبغا الصالحىّ إلى أمراء دمشق بولايته نيابة الشام.

ثم ركب الأمير طشتمر الساقى المعروف بحمّص أخضر نائب صفد إلى دمشق فى ثمانين فارسا، و اجتمع بالأمير قطلوبغا الفخرىّ و سنجر البشمقدار و بيبرس السّلاح دار و اتّفق ركوب الأمير تنكز فى ذلك اليوم إلى قصره فوق ميدان الحصى فى خواصه للنزهة، و بينما هو فى ذلك إذ بلغه قدوم الخيل من صفد، فعاد إلى دار السعادة و ألبس مماليكه السلاح، فأحاط به فى الوقت أمراء دمشق،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۴۸

و وقع الصوت بوصول نائب صفد، فخرج عسكر دمشق إلى لقائه و قد نزل بمسجد القدم، فأمر نائب صفد جماعة من المماليك

الأمراء أن يعودوا إلى تنكز و يخرجوه إليه، فدخل عليه جماعة منهم تمر الساقى و الأمير طرنطاى البشمقدار و بيبرس السلاح دار و عرّفوه مرسوم السلطان فأذعن لقلّة أهبته للركوب، فإنّ نائب صفد طرقه على حين غفلة باتّفاق أمراء دمشق، و لم يجتمع على تنكز إلا عدّة يسيرة من مماليكه، فلذلك سلّم نفسه فأخذوه و أركبوه إكديشا و ساروا به إلى نائب صفد، و هو واقف بالعسكر على ميدان الحصى فقبض عليه و على مملوكيه: جنغاى و طغاى و سجنا بقلعة دمشق، و أنزل تنكز عن فرسه على ثوب سرج و قيّده و أخذه الأمير بيبرس السلاح دار و توجّه به إلى الكسوة، فحصل لتنكز إسهال و رعدة خيف عليه الموت، فأقام بالكسوة يوما و ليلة ثم مضى به بيبرس، و نزل طشتمر حمّص أخضر نائب صفد بالمدرسة النّجيبيّة، فتقدّم بهادر حلاوة عند ما قبض على تنكز ليبشّر السلطان بمسك تنكز، فوصل إلى بلبيس ليلا و العسكر نازل بها و عرّف الأمير بشتك. ثم سار حتى دخل القاهرة، و أعلم السلطان الخبر فسرّ سرورا زائدا، و كتب بعود العسكر من بلبيس إلى القاهرة ما خلا بشتك و أرقطاى و برسبغا الحاجب، فإنهم يتوجّهون إلى دمشق للحوطة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۴۹

على مال تنكز و أن يقيم الأمير بيغرا أمير جاندار و الأمير قمارى أمير شكار بالصالحية إلى أن يقدم عليهما الأمير تنكز. و عاد جميع العسكر إلى الديار المصرية، و سار بشتك و رفيقاه إلى غزة فركب معهم الأمير ألطنبغا الصالحىّ إلى نحو دمشق فلقوا الأمير تنكز على حسبان فسلّموا عليه و أكرموه، و كان بشتك لما سافر من القاهرة صحبة العسكر كان فى ذلك اليوم فراغ بناء قصره الذى بناه ببين القصرين فلم يدخله برجله، و اشتغل بما هو فيه من أمر السفر، فشرع السلطان فى غيبته فى تحسين القصر المذكور. و كان سبب عمارة بشتك لهذا القصر أنّ الأمير قوصون لمّا أخذ قصر بيسرى و جدّده أحبّ الأمير بشتك أن يعمل له قصرا تجاه قصر بيسرى ببين القصرين، فدلّ على دار الأمير بكتاش الفخرى أمير سلاح. و كانت أحد قصور الخلفاء

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۵۰

الفاطميين التى اشتراها من ذريتهم و أنشأ بها الفخرى دورا و إسطبلات، و أبقى ما كان بها من المساجد، فشاور بشتك السلطان على أخذها فرسم له بذلك، فأخذها من أولاد بكتاش و أرضاهم و أنعم عليهم، و أنعم السلطان عليه بأرض كانت داخلها برسم الفراشخاناه السلطانية. ثم أخذ بشتك دار أقطوان الساقى بجوارها، و هدم الجميع و أنشأه قصرا مطلّا على الطريق و ارتفاعه أربعون ذراعا، و أجرى إليه الماء ينزل إلى شاذروان إلى بركة به. و أخرب فى عمله أحد عشر مسجدا و أربعة معابد أدخلها فيه، فلم يجدّد منها سوى مسجد رفعه و عمله معلّقا على الشارع.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۵۱

و فى هذه الأيام ورد الخبر على السلطان من بلاد الصعيد بموت الخليفة المستكفى بالله أبى الربيع سليمان بقوص فى مستهلّ شعبان، و أنّه قد عهد إلى ولده أحمد بشهادة أربعين عدلا، و أثبت قاضى قوص ذلك، فلم يمض السلطان عهده، و طلب إبراهيم بن محمد المستمسك ابن أحمد الحاكم بأمر اللّه فى يوم الاثنين ثالث [عشر] شهر رمضان، و اجتمع القضاة بدار العدل على العادة، فعرّفهم السلطان بما أراد من إقامة إبراهيم فى الخلافة و أمرهم بمبايعته، فأجابوا بعدم أهليّته، و أنّ المستكفى عهد إلى ولده، و احتجّوا بما حكم به قاضى قوص، فكتب السلطان بقدوم أحمد المذكور. و أقام الخطباء بالقاهرة و مصر نحو أربعة أشهر لا يذكرون فى خطبتهم الخليفة. فلمّا قدم أحمد المذكور من قوص لم يمض السلطان عهده و طلب إبراهيم و عرّفه قبح سيرته فأظهر التّوبة منها، و التزم سلوك طريق الخير، فاستدعى السلطان القضاة و عرّفهم أنه قد أقام إبراهيم فى الخلافة، فأخذ قاضى القضاة عز الدين [عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد اللّه] بن جماعة يعرّف السلطان عدم أهليّته، فلم يلتفت السلطان اليه، و قال: إنّه قد ثاب، و التائب من الذنب كمن لا ذنب له؛ فبايعوه و لقّب بالواثق، و كانت العامة تسمّيه المستعطى، فإنه كان يستغطى من الناس ما ينفقه.

ثمّ وصل الأمير تنكز إلى الديار المصرية فى يوم الثلاثاء ثامن المحرّم سنة إحدى و أربعين و سبعمائة، و هو متضعّف صحبة الأمير بيبرس السّلاح دار، و أنزل بالقلعة فى مكان ضيّق، و قصد السلطان ضربه بالمقارع، فقام الأمير قوصون فى شفاعته حتّى أجيب إلى

ذلك. ثم بعث السلطان إليه يهدّده حتّى يعترف بما له

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۵۲

من المال و يذكر له من كان موافقا له من الأمراء على العصيان، فأجاب بأنّه لا مال له سوى ثلاثين ألف دينار وديعة عنده لأيتام بكتمر الساقى، و أنكر أن يكون خرج عن الطاعة، فأمر به السلطان فى اللّيل فأخرج مع المقدّم ابن صابر و أمير جاندار فى حرّاقة إلى الإسكندرية، فقتله بها المقدّم ابن صابر فى يوم الثلاثاء نصف المحرّم من سنة إحدى و أربعين و سبعمائة، و تأتى بقيّة أحواله. ثم لمّا وصل الأمير بشتك إلى دمشق قبض على الأمير صاروجا و الجيبغا [بن عبد اللّه] العادلى و سلّما إلى الأمير برسبغا فعاقبهما أشدّ عقوبة على المال، و أوقع الحوطة على موجودهما. ثم وسّط بشتك جنغاى و طغاى مملوكى تنكز و خواصّه بسوق خيل دمشق، و كان جنغاى المذكور يضاهى أستاذه تنكز فى موكبه و بركه، ثمّ أكحل صاروجا و تتبع أموال تنكز فوجد له ما يجلّ وصفه، و عملت لبيع حواصله عدّة حلق، و تولّى البيع فيها الأمير ألطنبغا الصالحىّ نائب دمشق و الأمير أرقطاى و هما أعدى عدوّ لتنكز. و كان تنكز أميرا جليلا محترما مهابا عفيفا عن أموال الرعيّة حسن المباشرة و الطريقة، إلّا أنّه كان صعب المراس ذا سطوة عظيمة و حرمة وافرة على الأعيان من أرباب الدولة، متواضعا للفقراء و أهل الخير، و أوقف عدّة أوقاف على وجوه البرّ و الصدقة.

و قال الشيخ صلاح الدين الصّفدىّ: جلب تنكز إلى مصر و هو حدث فنشأ بها، و كان أبيض إلى السّمرة أقرب، رشيق القدّ مليح الشعر خفيف اللّحية قليل الشيب حسن الشكل ظريفه. جلبه الخواجا علاء الدين السّيواسىّ فاشتراه الأمير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۵۳

لاچين، فلمّا قتل لاچين فى سلطنته صار من خاصّكيّة الملك الناصر و شهد معه وقعة وادى الخازندار ثم وقعة شقحب.

قلت: و لهذا كان يعرف تنكز بالحسامىّ.

قال: و سمع تنكز صحيح البخارى غير مرّة من ابن الشّحنة و سمع كتاب [معانى] الآثار للطّحاوىّ، و صحيح مسلم، و سمع من عيسى المطعّم و أبى بكر بن عبد الدائم، و حدّث و قرأ عليه بعض المحدّثين ثلاثّيات البخارى بالمدينة النبويّة. قال: و كان الملك الناصر أمّره إمرة عشرة قبل توجّهه إلى الكرك، ثم ساق توجّهه مع الملك الناصر إلى الكرك و خروجه من الكرك إلى مصر و غيرهما إلى أن قال: و ولاه السلطان نيابة دمشق فى سنة اثنتى عشرة و سبعمائة فأقام بدمشق نائبا ثمانيا و عشرين سنة، و هو الذى عمّر بلاد دمشق و مهّد نواحيها، و أقام شعائر المساجد بها بعد التتار.

قلت: و أمّا ما ظهر له من الأموال وجد له من التّحف الستيّة و من الأقمشة مائتا منديل زركش. و أربعمائة حياصة ذهب. و ستمائة كلفتاه زركش. و مائة حياصة ذهب مرصّعة بالجوهر. و ثمان و ستون بقجة بدلات ثياب زركش. و ألفا ثوب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۵۴

أطلس. و مائتا تخفيفة زركش. و ذهب مختوم أربعمائة ألف دينار مصرية. و وجد له من الخيل و الهجن و الجمال البختىّ و غيرها نحو أربعة آلاف و مائتى رأس؛ و ذلك غير ما أخذه الأمراء و مماليكهم، فإنهم كانوا ينهبون ما يخرج به نهبا. و وجد له من الثياب الصوف و من النّصافى ما لا ينحصر. و ظفر الأمير بشتك بجوهر له ثمين اختصّ به. و حملت حرمه و أولاده إلى مصر صحبة الأمير بيغرا، بعد ما أخذ لهم من الجوهر و اللؤلؤ و الزّركش شىء كثير.

و أمّا أملاكه التى أنشأها فشىء كثير. و قال الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدىّ فى تاريخه- و هو معاصره- قال: ورد مرسوم شريف إلى دمشق بتقويم أملاك تنكز فعمل ذلك بالعدول و أرباب الخبرة و شهود القيمة، و حضرت بذلك محاضر إلى ديوان الإنشاء لتجهّز إلى السلطان، فنقلت منها ما صورته:

«دار الذهب بمجموعها و إسطبلاتها ستمائة ألف درهم. دار الزّمرّد مائتا ألف و سبعون ألف درهم. دار الزّردكاش [و ما معها] مائتا ألف و عشرون ألف درهم.

الدار التی بجوار جامعه بدمشق مائة ألف درهم. الحمّام التی بجوار جامعه مائة ألف درهم.

خان العرصة مائة ألف درهم و خمسون ألف درهم. إسطبل حکر السماق عشرون ألف درهم. الطبقة التی بجوار حمّام ابن یمن أربعة آلاف و خمسمائة درهم. قیساریة المرحّلین مائتا ألف و خمسون ألف درهم. الفرن و الحوض بالقنوات من غیر أرض عشرة آلاف درهم. حوانیت التعدیل ثمانیة آلاف درهم. الأهراء من

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۵۵

إسطبل بهادر ص عشرون ألف درهم. خان البیض و حوانیته مائة ألف و عشرة آلاف درهم. حوانیت باب الفرج خمسة و أربعون ألف درهم. حمّام القابون عشرة آلاف درهم. حمّام العمریّ ستة آلاف درهم. الدهشة و الحمّام مائتا ألف و خمسون ألف درهم. بستان العادل مائة ألف و ثلاثون ألف درهم. بستان النّجیبیّ و الحمّام و الفرن مائة ألف درهم و ثلاثون ألف درهم. [بستان الحلبی بحرستا أربعون ألف درهم]. الحدائق بها مائة ألف و خمسة و ستون ألف درهم. بستان القوصیّ بها ستون ألف درهم. بستان الدردوزیة خمسون ألف درهم. الجنینة المعروفة بالحمّام سبعة آلاف درهم. بستان الرزاز خمسة و ثمانون ألف درهم. الجنینة و بستان غیث ثمانیة آلاف درهم. المزرعة المعروفة بتهامة بها (یعنی دمشق) ستون ألف درهم. مزرعة الرکن النوبیّ و العبری مائة ألف درهم. الحصّة بالدفوف القبلیة بکفر بطنا، ثلثاها ثلاثون ألف درهم. بستان السفلاطونی خمسة و سبعون ألف درهم. الفاتکیات و الرشیدی و الکروم بزملکا مائة ألف درهم و ثمانون ألف

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۵۶

درهم. مزرعة المربع بقابون مائة ألف و عشرة آلاف درهم. الحصّة من غراس غیضة الأعجام عشرون ألف درهم. نصف الضیعة المعروفة بزرنیة خمسة آلاف درهم. غراس قائم فی جوار دار الجالق ألفا درهم. النصف من خراج الهامة ثلاثون ألف درهم. الحوانیت التی قبالة الحمّام مائة ألف درهم. بیدر تبدین ثلاثة و أربعون ألف درهم. الإصطبلات التی عند الجامع ثلاثون ألف درهم. أرض خارج باب الفرج ستة عشر ألف درهم. القصر و ما معه خمسمائة ألف درهم و خمسون ألف درهم. ربع ضیعة القصرین ثمانیة و عشرون ألف درهم. نصف بوّابة مائة و ثمانون ألف درهم. العلانیة بعیون الفارسنا ثمانون ألف درهم. حصّة دیر ابن عصرون خمسة و سبعون ألف درهم. حصّة دویرة الکسوة ألف و خمسمائة درهم. الدّیر الأبیض خمسون ألف درهم. العدیل مائة ألف و ثلاثون ألف درهم.

حوانیت أیضا داخل باب الفرج أربعون ألف درهم. التنوریة اثنان و عشرون ألف درهم.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۵۷

الأملاک التی له بحمص: الحمّام خمسة و عشرون ألف درهم. الحوانیت سبعة آلاف درهم. السریع ستون ألف درهم. الطاحون الراکبة علی العاصی ثلاثون ألف درهم. دور قبحق خمسة و عشرون ألف درهم. الخان مائة ألف درهم.

الحمّام الملاصقة للخان ستون ألف درهم. الحوش الملاصق له ألف و خمسمائة درهم.

المناح ثلاثة آلاف درهم. الحوش الملاصق للخندق ثلاثة آلاف درهم. حوانیت العریضة ثلاثة آلاف درهم. الأراضی المحتکرة سبعة آلاف درهم.

و التی فی بیروت: الخان مائة و خمسة و ثلاثون ألف درهم. الحوانیت و الفرن مائة و عشرون ألف درهم. المصبنة بآلاتها عشرة آلاف درهم. الحمّام عشرون ألف درهم. المسلخ عشرة آلاف درهم. الطاحون خمسة آلاف درهم. قریة زلایا خمسة و أربعون ألف درهم.

القری التی بالبقاع: مرج الصفا سبعون ألف درهم. التلّ الأخضر مائة ألف و ثمانون ألف درهم. المبارکة خمسة و سبعون ألف درهم. المسعودیة مائة ألف درهم.

الضّیاع [الثلاث] المعروفة بالجوهری أربعمائة ألف و سبعون ألف درهم.

السعادة أربعمائة ألف درهم. أبروطيا ستون ألف درهم. نصف بيرود و الصالحية

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۵۸

و الحوانيت أربعمائة ألف درهم. المباركة و الناصرية مائة ألف درهم. رأس الماء سبعة و خمسون ألف درهم. حصّة من خربة روق اثنان و عشرون ألف درهم.

رأس الماء و الدلى بمزارعها خمسمائة ألف درهم. حمام صرخد خمسة و سبعون ألف درهم. طاحون الغور ثلاثون ألف درهم. السالمية ثلاثة آلاف درهم.

الأملاك بقارا: الحمام خمسة و عشرون ألف درهم. الهرى ستمائة ألف درهم.

الصالحية و الطاحون و الأراضى مائتا ألف درهم و خمسة و عشرون ألف درهم.

راسليها و مزارعها مائة و خمسة و عشرون ألف درهم. القضيبة أربعون ألف درهم.

القريتان المعروفة إحداهما بالمزرعة، و الأخرى بالبينسية تسعون ألف درهم؛ هذا جميعه خارج عما له من الأملاك على وجوه البر و الأوقاف فى صفد و عجلون و القدس و نابلس و الرملة و الديار المصرية. و عمّر بصفد بيمارستانا مليحا. و عمّر بالقدس رباطا و حمامين و قياسر. و له بجلجولية خان مليح، و له بالقاهرة دار عظيمة بالكافورى».

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۵۹

قلت: هى دار عبد الباسط بن خليل الآن. و حمّام و غير ذلك من الأملاك.

انتهى كلام الشيخ صلاح الدين باختصار.

قلت: و كان لتغيّر السلطان الملك الناصر على تنكز هذا أسباب، منها: أنه كتب يستأذنه فى سفره إلى ناحية جعبر فمنعه السلطان من ذلك لما بتلك البلاد من الغلاء، فألحّ فى الطلب، و الجواب يرد عليه [بمنعه] حتى حنق تنكز و قال: و اللّه لقد تغيّر عقل أستاذنا و صار يسمع من الصبيان الذين حوله، و اللّه لو سمع منى لكنت أشرت عليه بأن يقيم أحدا من أولاده فى السلطنة و أقوم أنا بتدبير ملكه، و يبقى هو مستريحا، فكتب بذلك جركتمر إلى السلطان، و كان السلطان يتخيّل بدون هذا فأثّر هذا فى نفسه، ثم اتفق أن أرتنا نائب بلاد الروم بعث رسولا إلى السلطان بكتابه، و لم يكتب معه كتابا لتنكز، فحنق تنكز لعدم مكاتبته و ردّ رسوله من دمشق، فكتب أرتنا يعرّف السلطان بذلك، و سأل ألّا يطّلع تنكز على ما بينه و بين السلطان. و رماه بأمور أوجبت شدّة تغيّر السلطان على تنكز، ثم اتفق أيضا غضب تنكز على جماعة من مماليكه، فضربهم و سجنهم بالكرك [و الشّوبك] فكتب منهم جوبان و كان أكبر مماليكه إلى الأمير قوصون يتشفع به فى الإفراج عنهم من سجن الكرك، فكلّم قوصون السلطان فى ذلك فكتب السلطان إلى تنكز يشفع فى جوبان فلم يجب عن أمره بشىء، فكتب إليه ثانيا و ثالثا فلم يجبه، فاشتدّ غضب السلطان حتّى قال للأمراء: ما تقولون فى هذا الرجل؟ هو يشفع عندى فى قاتل أخى فقبلت شفاعته،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۶۰

و أخرجته من السجن و سيّرته إليه يعنى (طشتمر أخا بتخاص)، و أنا أشفع فى مملوكه ما يقبل شفاعتى! و كتب السلطان لنائب الشّوبك بالإفراج عن جوبان المذكور فأفرج عنه فكان هذا و ما أشبهه الذى غيّر خاطر السلطان الملك الناصر على مملوكه تنكز.

انتهى.

ثم اشتغل السلطان بموت أعزّ أولاده الأمير آنوك فى يوم الجمعة العشرين من شهر ربيع الآخر بعد مرض طويل، و دفن بتربة الناصرية ببين القصرين، و كان لموته يوم مهول، نزل فى جنازته جميع الأمراء، و فعلت والدته خوند طغاى خيرات كثيرة و باعت ثيابه و تصدّقت بجميع ما تحصّل منها.

ثم إنّ السلطان ركب فى هذه السنة، و هى سنة إحدى و أربعين إلى بركة الحبش خارج القاهرة، و صحبته عدّة من المهندسين و أمر

أن يحفر خليج من البحر إلى حائط الرّصد، و يحفر فى وسط الشرف المعروف بالرصد عشر آبار،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۶۱

كلّ بئر نحو أربعين ذراعا تركّب عليها السواقى، حتى يجرى الماء من النيل إلى القناطر التى تحمل الماء إلى القلعة ليكثر بها الماء، و أقام الأمير آقبغا عبد الواحد على هذا العمل، فشقّ الخليج من بحرى رباط الآثار و مرّوا به فى وسط بستان الصاحب تاج الدين ابن حنّا المعروف بالمعشوق، و هدمت عدّة بيوت كانت هناك، و جعل عمق الخليج أربع قصبات، و جمعت عدّة من الحجّارين للعمل، و كان مهمّا عظيما. ثم أمر السلطان بتجديد جامع راشدة فجدّد و كان قد تهدّم غالب جدره.

ثم ابتدأ توعّك السلطان و مرض مرض موته، فلمّا كان يوم الأربعاء سادس ذى الحجة سنة إحدى و أربعين و سبعمائة قوى عليه الإسهال، و منع الأمراء من الدخول عليه فكانوا إذا طلعوا إلى الخدمة خرج إليهم السلام مع أمير چاندار عن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۶۲

السلطان فانصرفوا. و قد كثر الكلام، ثم فى يوم الجمعة ثامنه خفّ عن السلطان الإسهال، فجلس للخدمة و طلع الأمراء إلى الخدمة و وجه السلطان متغيّر، فلما انقضت الخدمة نودى بزينة القاهرة و مصر، و جمعت أصحاب الملاهى بالقلعة و جمع الخبز الذى بالأسواق و عمل ألف قميص و تصدّق بذلك كلّه مع جملة من المال، و قام الأمراء بعمل الولائم و الأفراح سرورا بعافية السلطان، و عمل الأمير ملكتمر الحجازىّ الناصرىّ نفطا كثيرا بسوق الخيل تحت القلعة و السلطان ينظره، و اجتمع [الناس] لرؤيته من كلّ جهة و قدمت عربان الشرقية بخيولها و قبابها المحمولة على الجمال و لعبوا بالرماح تحت القلعة، و خرجت الركابة و الكلابزيّة و طائفة الحجارين و العتّالين إلى سوق الخيل للعب و اللهو، و داروا [على] بيوت الأمراء و أخذوا الخلع منهم، و كذلك الطبلكية فحصل لهم شىء كثير جدّا، بحيث جاء نصيب مهتار الطبلخاناه ثمانين ألف درهم. و لما كان ليلة العيد و هى ليلة الأحد عاشر ذى الحجة، و أصبح نهار الأحد اجتمع الأمراء بالقلعة و جلسوا ينتظرون السلطان حتى يخرج لصلاة العيد، و قد أجمع رأى السلطان على عدم صلاة العيد لعود الإسهال عليه، فإنه كان انتكس فى الليلة المذكورة، فما زال به الأمير قوصون و الأمير بشتك حتى ركب و نزل إلى الميدان، و أمر قاضى القضاة عز الدين [عبد العزيز] ابن جماعة أن يوجز فى خطبته، فعند ما صلّى السلطان و جلس لسماع الخطبة محرّك باطنه، فقام و ركب و طلع إلى القصر و أقام يومه به، و بينا هو فى ذلك قدم الخبر من حلب بصحّة صلح الشيخ حسن صاحب العراق مع أولاد صاحب الروم، فانزعج السلطان لذلك انزعاجا شديدا و اضطرب مزاجه فحصل له إسهال دموىّ،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۶۳

و أصبح يوم الاثنين و قد امتنع الناس من الاجتماع به، فأشاع الأمير قوصون و الأمير بشتك أنّ السلطان قد أعفى أجناد الحلقة من التجريد إلى تبريز و نودى بذلك، و فرح الناس بذلك فرحا زائدا، إلا أنه انتشر بين الناس أنّ السلطان قد انتكس فساءهم ذلك.

ثم أخذ الأمراء فى إنزال حرمهم و أموالهم من القلعة [حيث سكنهم] إلى القاهرة، فارتجّت القاهرة و مادت بأهلها و استعدّ الأمراء لا سيما قوصون و بشتك، فإن كلّا منهما احترز من الآخر و جمع عليه أصحابه. و أكثروا من شراء الأزيار و الدّنان و ملئوها ماء، و أخرجوا القرب و الرّوايا و الأحواض و حملوا إليهم البقسماط و الرقاق و الدقيق و القمح و الشعير خوفا من وقوع الفتنة، و محاصرة القلعة، فكان يوما مهولا، ركب فيه الأوجاقية و هجموا الطواحين لأخذ الدقيق و نهبوا الحوانيت التى تحت القلعة و التى بالصليبة.

هذا و قد تنكّر ما بين قوصون و بشتك و اختلفا حتى كادت الفتنة تقوم بينهما، و بلغ ذلك السلطان فازداد مرضا على مرضه، و كثر تأوّهه و تقلّبه من جنب إلى جنب، و تهوّس بذكر قوصون و بشتك نهاره. ثم استدعى بهما فتناقشا بين يديه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۶۴

فى الكلام فأغمى عليه و قاما من عنده على ما هما عليه، فاجتمع يوم الاثنين ثامن عشره الأمير چنكلى و الأمير آل ملك و الأمير سنجر الجاولى و بيبرس الأحمدى، و هم أكابر أمراء المشورة فيما يدبرونه، حتى اجتمعوا على أن يبعث كلّ منهم مملوكه إلى قوصون و

بشتك ليأخذا لهم الإذن فى الدخول على السلطان، فأخذا لهم الإذن فدخلوا و جلسوا عند السلطان، فقال الجاولى و آل ملك للسلطان كلاما، حاصله أن يعهد بالملك إلى أحد أولاده فأجاب إلى ذلك، و طلب ولده أبا بكر و طلب قوصون و بشتك و أصلح بينهما، ثم جعل ابنه أبا بكر سلطانا بعده و أوصاه بالأمراء و أوصى الأمراء به، و عهد إليهم ألا يخرجوا ابنه أحمد من الكرك، و حذّرهم من إقامته سلطانا. و جعل قوصون و بشتك وصييه، و إليهما تدبير أمر ابنه أبى بكر و حلّفهما، ثم حلّف الأمراء و الخاصّكيّة و أكّد على ولده فى الوصية بالأمراء، و أفرج عن الأمراء المسجونين بالشام، و هم: طيبغا حاجى و الجيبغا العادلى و صاروجا، ثم قام الأمراء عن السلطان فبات السلطان ليلة الثلاثاء و قد نحلت قوته، و أخذ فى النزع يوم الأربعاء فاشتدّ عليه كرب الموت، حتى فارق الدنيا فى أوّل ليلة الخميس حادى عشرين ذى الحجة سنة إحدى و أربعين و سبعمائة، و له من العمر سبع و خمسون سنة و أحد عشر شهرا و خمسة أيام، فإنّ مولده كان فى الساعة السابعة من يوم السبت سادس عشر المحرّم سنة أربع و ثمانين و ستمائة.

و أمه بنت سكتاى بن قرا لاچين بن جفتاى التّتارىّ. و كان قدوم سكتاى مع أخيه قرمچى من بلاد التتار إلى مصر فى سنة خمس و سبعين و ستمائة. ثم حمل السلطان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۶۵

الملك الناصر ميّتا فى محفّة من القلعة بعد أن رسم بغلق الأسواق، و نزلوا به من و راء السور إلى باب النصر، و معه من أكابر الأمراء بشتك و ملكتمر الحجازىّ و أيدغمش أمير آخور، و دخلوا به من باب النصر إلى المدرسة المنصوريّة ببين القصرين، فغسّل و حنّط و كفّن من البيمارستان المنصورىّ، و قد اجتمع الفقهاء و القرّاء و الأعيان و دام القرّاء على قبره أيّاما.

و أمّا مدّة سلطنته على مصر فقد تقدّم أنّه تسلطن ثلاث مرار، فأوّل سلطنته كانت بعد قتل أخيه الأشرف خليل بن قلاوون فى سنة ثلاث و تسعين و ستمائة فى المحرّم، و عمره تسع سنين و خلع بالملك العادل كتبغا المنصورىّ فى المحرّم سنة أربع و تسعين، فكانت سلطنته هذه المرّة دون السنة، ثم توجّه إلى الكرك إلى أن أعيد إلى السلطنة بعد قتل المنصور حسام الدّين لاچين فى سنة ثمان و تسعين و ستمائة، فأقام فى الملك، و الأمر إلى سلّار و بيبرس الجاشنكير إلى سنة ثمان و سبعمائة، و خلع نفسه و توجّه إلى الكرك و تسلطن بيبرس الجاشنكير، و كانت مدته فى هذه المرّة الثانية نحو التسع سنين، ثم خلع بيبرس و عاد الملك الناصر إلى السلطنة ثالث مرّة فى شوّال سنة تسع و سبعمائة، و استبدّ من يوم ذاك بالأمر من غير معارض إلى أن مات فى التاريخ المذكور. و قد ذكرنا ذلك كلّه فى أصل ترجمته من هذا الكتاب مفصّلا.

فكانت مدّة تحكّمه فى هذه المرّة الثالثة اثنتين و ثلاثين سنة و شهرين و خمسة و عشرين يوما، و هو أطول ملوك الترك مدّة فى السلطنة، فإنّ أوّل سلطنته من سنة ثلاث

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۶۶

و تسعين و ستمائة إلى أن مات نحوا من ثمان و أربعين سنة، بما فيها من أيام خلعه، و لم يقع ذلك لأحد من ملوك الترك بالديار المصريّة، فهو أطول الملوك زمانا و أعظمهم مهابة و أغزرهم عقلا و أحسنهم سياسة و أكثرهم دهاء و أجودهم تدبيرا و أقواهم بطشا و شجاعة و أحذقهم تنفيذا؛ مرّت به التجارب، و قاسى الخطوب، و باشر الحروب، و تقلّب مع الدهر ألوانا؛ نشأ فى الملك و السعادة، و له فى ذلك الفخر و السّيادة خليقا للملك و السلطنة، فهو سلطان و ابن سلطان و أخو سلطان و والد ثمانى سلاطين من صلبه، و الملك فى ذرّيته و أحفاده و عقبه و مماليكه و مماليك مماليكه إلى يومنا هذا، بل إلى أن تنقرض الدولة التركيّة، فهو أجلّ ملوك الترك و أعظمها بلا مدافعة، و من ولى السلطنة من بعده بالنسبة إليه كآحاد أعيان أمرائه.

و كان متجمّلا يقتنى من كلّ شىء أحسنه. أكثر فى سلطنته من شراء المماليك و الجوارى، و طلب التجّار و بذل لهم الأموال، و وصف لهم حلى المماليك و الجوارى.

و سيّرهم إلى بلاد أزبك خان و بلاد الجاركس و الروم، و كان التاجر إذا أتاه بالجلبة من المماليك بذل له أغلى القيم فيهم، فكان

يأخذهم و يحسن تربيتهم و ينعم عليهم بالملابس، الفاخرة و الحوائص الذهب و الخيول و العطايا حتى يدهشهم، فأكثر التجار من جلب المماليك، و شاع فى الأقطار إحسان السلطان إليهم. فأعطى المغل أولادهم و أقاربهم للتجّار رغبة فى السعادة، فبلغ ثمن المملوك على التاجر أربعين ألف درهم، و هذا المبلغ جملة كثيرة بحساب يومنا هذا. و كان الملك الناصر يدفع للتاجر فى المملوك الواحد مائة ألف درهم و ما دونها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۶۷

و كان مشغوفا أيضا بالخيل فجلبت له من البلاد، لا سيّما خيول العرب آل مهنّا و آل فضل، فإنه كان يقدّمها على غيرها، و لهذا كان يكرم العرب و يبذل لهم الرغائب فى خيولهم، فكان إذا سمع العربان بفرس عند بدوىّ أخذوها منه بأغلى القيمة، و أخذوا من السلطان مثلى ما دفعوا فيها. و كان له فى كلّ طائفة من طوائف العرب عين يدلّه على ما عندهم من الخيل من الفرس السابق أو الأصيل، بل ربّما ذكروا له أصل بعضها لعدّة جدود، حتّى يأخذها بأكثر مما كان فى نفس صاحبها من الثمن، فتمكّنت منه بذلك العربان، و نالوا المنزلة العظيمة و السعادات الكثيرة. و كان يكره خيول برقة فلا يأخذ منها إلا ما بلغ الغاية فى الجودة، و ما عدا ذلك إذا جلبت إليه فرّقها. و كان له معرفة تامّة بالخيل و أنسابها، و يذكر من أحضرها له فى وقتها، و كان إذا استدعى بفرس يقول لأمير آخور: الفرس الفلانية التى أحضرها فلان و اشتريتها منه بكذا و كذا. و كان إذا جاءه شىء منها عرضها و قلّبها بنفسه، فإن أعجبته دفع فيها من العشرة آلاف إلى أن اشترى بنت الكرماء بمائتى ألف درهم، و هذا شىء لم يقع لأحد من قبله و لا من بعده، فإنّ المائتى ألف درهم كانت يوم ذاك بعشرة آلاف دينار. و أمّا ما اشتراه بمائة ألف و سبعين ألفا و ستين ألفا و ما دونها فكثير. و أقطع آل مهنّا و آل فضل بسبب ذلك عدّة إقطاعات، فكان أحدهم إذا أراد من السلطان شيئا قدم عليه فى معنى أنه يدلّه على فرس عند فلان و يعظّم أمره، فيكتب من فوره بطلب تلك الفرس فيشتدّ صاحبها و يمتنع [من قودها] ثم يقترح ما شاء، و لا يزال حتى يبلغ غرضه من السلطان فى ثمن فرسه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۶۸

و هو أوّل من اتّخذ من ملوك مصر ديوانا للإسطبل السلطانىّ و عمل له ناظرا و شهودا و كتّابا لضبط أسماء الخيل، و أوقات ورودها و أسماء أربابها، و مبلغ أثمانها و معرفة سوّاسها و غير ذلك من أحوالها، و كان لا يزال يتفقّد الخيول، فإذا أصيب منها فرس أو كبر سنّه بعث به مع أحد الأوجاقية الى الجشّار بعد ما يحمل عليها حصانا يختاره، و يأمر بضبط تاريخه، فتوالدت عنده خيول كثيرة، حتى أعنته عن جلب ما سواها. و مع هذا كان يرغب فى الفرس المجلوب إليه أكثر ممّا توالد عنده، فعظم العرب فى أيامه لجلب الخيل و شمل الغنى عامّتهم، و كانوا إذا دخلوا إلى مشاتيهم أو إلى مصايفهم يخرجون بالحلى و الحلل و الأموال الكثيرة، و لبسوا فى أيامه الحرير الأطلس المعدنىّ بالطّرز الزّركش و الشاشات المرقومة، و لبسوا الخلع البابلىّ و الإسكندرىّ المطرّز بالذهب، و صاغ السلطان لنسائهم الأطواق الذهب المرصّع و عمل لهم العناتر بالأكر الذهب و الأساور المرصّعة بالجوهر و اللؤلؤ، و بعث لهنّ بالقماش السكندرى و عمل لهنّ البراقع الزّركش، و لم يكن لبسهم قبل ذلك إلا الخشن من الثياب على عادة العرب. و أجلّ ما لبس مهنّا أميرهم أيام الملك المنصور لاچين طرد وحش، لمودّة كانت بين لاچين و بين مهنّا بن عيسى، فأنكر الأمراء ذلك على الملك المنصور لاچين فاعتذر لهم بتقدّم صحبته له و أياديه عنده، و أنه أراد أن يكافئه على ذلك.

و كان الملك الناصر فى جشاره ثلاثة آلاف فرس، يعرض فى كلّ سنة نتاجها عليه فيسلّمها للرّكّابين من العربان [لرياضتها] ثم يفرّق أكثرها على الأمراء

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۶۹

الخاصّكية، و يفرح بذلك و يقول: هذه فلانة بنت فلانة أو فلان بن فلان، عمرها كذا، و شراء أمّها بكذا و شراء أبيها بكذا.

و كان يرسم للأمراء فى كلّ سنة أن يضمّروا الخيول، و يرتّب على كل أمير من أمراء الألوف أربعة أرؤس يضمّرها. ثم يرسم لأمير آخور أن يضمّر خيلا من غير أن يفهم الأمراء أنّها للسلطان، بل يشيع أنّها له، و يرسلها للسّباق مع خيل الأمراء فى كلّ سنة. و كان

للأمير قطلوبغا الفخرىّ حصان أدهم، سبق خيل مصر كلّها ثلاث سنين متوالية، فأرسل السلطان إلى مهنّا و أولاده أن يحضروا له الخيل للسّباق، فأحضروا له عدّة و ضمّروا، فسبقهم حصان الفخرىّ الأدهم.

ثم بعد ذلك ركب السلطان إلى ميدان القبق ظاهر القاهرة فيما بين قلعة الجبل و قبّة النصر، و هو أماكن الترب الآن، و أرسل الخيل للسّبق، و عدّتها دائما فى كلّ سنة ما ينيف على مائة و خمسين فرسا. و كان مهنّا بعث للسلطان حجرة شهباء للسّباق على أنها إن سبقت كانت للسلطان و إن سبقت ردّت إليه بشرط ألّا يركبها للسّباق إلا بدويّها الذى قادها إلى مصر. فلمّا ركب السلطان و الأمراء على العادة و وقفوا و معهم أولاد مهنا [بالميدان] و أرسلت الخيول من بركة الحاج كما جرت به العادة، و ركب البدوىّ حجرة مهنّا الشهباء عريا بغير سرج، و لبس قميصا و لاطئة فوق رأسه.

و أقبلت الخيول يتبع بعضها بعضا و الشهباء قدّام الجميع، و بعدها على القرب منها حصان الأمير أيدغمشى أمير آخور يعرف بهلال، فلمّا وقف البدوىّ بالشهباء بين يدى السلطان، صاح بصوت ملأ الخافقين: السعادة لك اليوم يا مهنّا، لاشقيت! و ألقى بنفسه إلى الأرض من شدّة التعب فقدّمها مهنّا للسلطان، فكان هذا دأب الملك الناصر فى كلّ سنة من هذا الشأن و غيره.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۷۰

قلت: و ترك الملك الناصر فى جشاره ثلاثة آلاف فرس، و ترك بالإسطبلات السلطانية أربعة آلاف فرس و ثمانمائة فرس، ما بين حجورة و مهارة و كحولة و أكاديش، و ترك من الهجن الأصائل و النّياق نيّفا على خمسة آلاف سوى أتباعها.

و أما الجمال النّفر و البغال فكثير.

و كان الملك الناصر أيضا شغوفا بالصيد، فلم يدع أرضا تعرف بالصيد إلّا و أقام بها صيّادين مقيمين بالبريّة أوان الصيد، و جلب طيور الجوارح من الصّقورة و الشواهين و السّناقر و البزاة، حتى كثرت السناقر فى أيامه. و صار كلّ أمير عنده منها عشرة سناقر و أقلّ و أكثر. و جعل [له] البازداريّة و الحونداريّة و حرّاس الطير، و ما هو موجود بعضه الآن، و أقطعهم الإقطاعات الجليلة، و أجرى لهم الرواتب من اللّحم و العليق و الكساوى و غير ذلك، و لم يكن ذلك قبله لملك، فترك بعد موته مائة و عشرين سنقرا، و لم يعهد بمثل هذا لملك قبله، بل كان لوالده الملك المنصور قلاوون سنقر واحد، و كان المنصور إذا ركب فى المركب للصيد كان بازداره أيضا راكبا و السنقر على يده. و ترك الملك الناصر من الصّقورة و الشواهين و نحوها مالا ينحصر كثرة. و ترك ثمانين جوقة كلاب بكلا بزيّتها، و كان أخلى لها موضعا بالجبل.

و عنى أيضا بجمع الأغنام و أقام لها خولة، و كان يبعث فى كلّ سنة الأمير آقبغا عبد الواحد فى عدّة من المماليك لكشفها، فيكشف المراحات من قوص إلى الجيزة،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۷۱

و يأخذ منها ما يختاره من الأغنام، و جرّده مرّة إلى عيذاب و النّوبة لجلب الأغنام.

ثم عمل لها حوشا بقلعة الجبل؛ و قد ذكرنا ذلك فى وقته، و أقام لها خولة نصارى من الأسرى.

و عنى أيضا بالإوزّ و أقام لها عدّة من الخدّام و جعل لها جانبا بحوش الغنم.

و لما مات ترك ثلاثين ألف رأس من الغنم سوى أتباعها، فاقتدى به الأمراء و صارت لهم الأغنام العظيمة فى غالب أرض مصر. و كان كثير العناية بأرباب وظائفه و حواشيه من أمراء آخوريّة و الأوجاقية و غلمان الإسطبل و البازدارية و الفرّاشين و الخولة و الطبّاخين. فكان إذا جاء أوان تفرقة الخيول على الأمراء بعث إلى الأمير بما جرت به عادته مما رتبه له فى كلّ سنة مع أمير اخور و أوجاقى و سايس و ركبدار، و يترقّب عودهم حتى يعرف ما أنعم به ذلك الأمير عليهم، فإن شحّ الأمير فى عطاياتهم تنكّر عليه و بكّته بين الأمراء و وبّخه، و كان قرّر أن يكون الأمير آخور بينهم بقسمين و من عداه بقسم واحد. و كان أيضا إذا بعث لأمير بطير مع أمير شكار أو واحد من البازداريّة يحتاج الأمير أن يلبسه خلعة كاملة بحياصة ذهب و كلفتاه زركش، فيعود بها و يقبّل الأرض بين يديه

فيستدنيه و يفتّش خلعته.

و كانت عادته أن يبعث فى يوم النحر أغنام الضحايا مع الأبقار و النّوق إلى الأمراء، فبعث مرّة مع بعض خولة النصارى إلى الأمير يلبغا حارس طيره ثلاثة كباش فأعطاه عشرة دراهم فلوسا و عاد إلى السلطان، فقال له: و أين خلعتك؟ فطرح الفلوس بين يديه و عرّفه بقدرها، فغضب و أمر بعض الخدّام أن يسير بالخولىّ إلى عنده و يوبّخه و يأمره أن يلبسه خلعة طرد وحش. و كانت حرمته و مهابته وافرة قد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۷۲

تجاوزت الحدّ، حتّى إنّ الأمراء كانوا إذا وقفوا بالخدمة لا يجسر أحد منهم أن يتحدّث مع رفيقه، و لا يلتفت نحوه خوفا من مراقبة السلطان لهم، و كان لا يجسر أحد أن يجتمع مع خشداشه فى نزهة و لا غيرها. و كان له المواقف المشهودة، منها:

لمّا لقى غازان على فرسخ من حمص، و قد تقدّم ذكر ذلك. ثم كانت له الوقعة العظيمة مع التتار أيضا بشقحب، و أعزّ اللّه تعالى فيها الإسلام و أهله؛ و دخلت عساكره بلاد سيس، و قرّر على أهلها الخراج أربعمائة ألف درهم فى السنة بعد ما غزاها ثلاث مرار. و غزا ملطية و أخذها و جعل عليها الخراج، و منعوه مرّة فبعث العساكر إليها حتى أطاعوه. و أخذ مدينة آياس و خرّب البرج الأطلس و سبعة حصون و أقطع أراضيها للأمراء و الأجناد. و أخذ جزيرة أرواد من الفرنج. و غزا بلاد اليمن و بلاد عانة و حديثة فى طلب مهنّا. و جرّد إلى مكّة و المدينة العساكر لتمهيدها غير مرّة، و منع أهلها من حمل السلاح بها. و عمّر قلعة جعبر بعد خرابها، و أجرى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۷۳

نهر حلب إلى المدينة. و خطب له بماردين و جبال الأكراد و حصن كيفا و بغداد و غيرها من بلاد الشرق، و هو بكرسىّ مصر. و أتته هدية ملوك الغرب و الهند و الصين و الحبشة و التّكرور و الروم و الفرنج و التّرك.

و كان، رحمه اللّه، على غاية من الحشمة و الرياسة و سياسة الأمور، فلم يضبط عليه أحد أنّه أطلق لسانه بكلام فاحش فى شدّة غضبه و لا فى انبساطه، مع عظيم ملكه و طول مدّته فى السلطنة و كثرة حواشيه و خدمه. و كان يدعو الأمراء و الأعيان و أرباب الوظائف بأحسن أسمائهم و أجلّ ألقابهم، و كان إذا غضب على أحد لا يظهر له ذلك، و كان مع هذه الشهامة و حبّ التجمّل مقتصدا فى ملبسه، يلبس كثيرا البعلبكىّ و النّصافى المتوسط، و يعمل حياصته فضة نحو مائة درهم بغير ذهب و لا جوهر. و يركب بسرج مسقّط بفضة التى زنتها دون المائة درهم، و عباءة فرسه إمّا تدمرىّ أو شامىّ، ليس فيها حرير.

و كان مفرط الذكاء، يعرف جميع مماليك أبيه و أولادهم بأسمائهم، و يعرّف بهم الأمراء خشداشيتهم فيتعجبون الأمراء من ذلك، و كذلك مماليكه لا يغيب عنه اسم واحد منهم و لا وظيفته عنده، و لا مبلغ جامكيّته، هذا مع كثرتهم. و كان أيضا يعرف غلمانه و حاشيته على كثرة عددهم، و لا يفوته معرفة أحد من الكتّاب، فكان إذا أراد أن يولّى أحدا مكانا أو يرتّبه فى وظيفة استدعى جميع الكتّاب بين يديه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۷۴

و اختار منهم واحدا أو أكثر من واحد من غير أن يراجع فيهم، ثم يقيمه فيما يريد من الوظائف. و كان إذا تغيّر على أحد من أمرائه أو كتّابه أسرّ ذلك فى نفسه، و تروّى فى ذلك مدة طويلة و هو ينتظر له ذنبا يأخذه به، كما وقع له فى أمر كريم الدين الكبير و أرغون النائب و غيرهم، و هو يتأنّى و لا يعجّل، حتى لا ينسب إلى ظلم، فإنه كان يعظم عليه أن يذكر عنه أنه ظالم أو جائر، أو وقع فى أيامه خراب أو خلل، و يحرص على حسن القالة فيه.

و كان يستبدّ بأمور مملكته و ينفرد بالأحكام، حتى إنه أبطل نيابة السلطنة من ديار مصر ليستقلّ هو بأعباء الدولة وحده، و كان يكره أن يقتدى بمن تقدّمه من الملوك، فمن أنشأه من الملوك كائنا من كان، و لا يدخلهم المشورة حتى و لا بكتمر الساقى و لا قوصون و لا بشتك و غيرهم، بل كان لا يقتدى إلّا بالقدماء من الأمراء.

و كان يكره شرب الخمر و يعاقب عليه و يبعد من يشربه من الأمراء عنه.

و كان فى الجود و الكرم و الإفضال غايـة لا تـدرك خارجة عن الحدّ، وهب فى يوم واحد ما يزيد على مائة ألف دينار ذهبا، و أعطى فى يوم واحـد لأربعـة من مماليكه و هم الأمير ألطنبغا المارداني و يلبغا اليحياوىّ و ملكتمر الحجازىّ و قوصون مائتى ألف دينار، و لم يزل مسـتمرّ العطاء لخاصّ كيته و مماليكه ما بين عشـرة آلاف دينار و أكثر منها و أقلّ، و نحوها من الجوهر و اللآلئ. و بـذل فى أثمان الخيل و المماليك ما لم يسـمع بمثله. و جمع من المال و الجوهر و الأحجار ما لم يجمعه ملك من ملوك الدولـة التركيّة قبله مع فرط كرمه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۷۵

قلت: كلّ ذلك لحسن تـدبيره و عظم معرفته، فإنّه كان يدرى مواطن اسـتجناء المال فيسـتجنيه منها، و يعرف كيف يصـرفه فى محلّه و أغراضه فيصـرفه. و لم يشـهر عنه أنه ولى قاض فى أيامه برشوة، و لا محتسب و لا وال، بل كان هو يبذل لهم الأموال و يحرّضهم على عمل الحق، و تعظيم الشـرع الشـريف، و هذا بخلاف من جاء بعده، فإن غالب ملوك مصـر ممن ملك مصـر بعده يقتدى بشخص من أرباب وظائفه، فيصـير ذلك الرجل هو السـلطان حقيقة و السـلطان من بعض من يتصـرّف بأوامره، و كلّ ذلك لقصر الإدراك و عدم المعرفـة، فلـذلك يتركون الأموال الجليلـة و الأسـباب التى يحصل منها الألوف المؤلّفـة، و يلتفتون إلى هذا النّزر اليسـير القبيح الشـنيع الذى لا يرتضـيه من له أدنى همّة و مروءة، و هو الأخذ من قضاة الشرع عند ولايتهم المناصب و ولاة الحسبة و الشّرطة، و ذلك كلّه و إن تكرر فى السـنة فهو شـىء قليـل جـدّا، يتعوّض من أدنى الجهات التى لا يؤبه إليها من أعمال مصـر، فلو وقع ذلك لكان أحسن فى حقّ الرعيّة و أبرأ لذمّة السـلطان و المسـلمين من ولاية قضاة الشرع بالرشوة، و ما يقع بسبب ذلك فى الأنكحة و العقود و الأحكام و ما أشبه ذلك. انتهى.

و كان الملك الناصر يرغب فى أصناف الجوهر، فجلبتها إليه التّجار من الأقطار.

و شـغف بالجوارى السّراري، فحاز منهن كلّ بديعـة الجمال، و جهّز له إحدى عشـرة ابنة بالجهاز العظيم، فكان أولهنّ جهازا بثمانماثة ألف دينار، [منها] قيمـة بشـخاناه و داير بيت و ما يتعلّق به مائـة ألف دينار، و بقيّـة ذلك ما بين جواهر و لآلئ و أوانى و نحو ذلك، و زوّجهنّ لمماليكه مثل الأمير قوصون و بشتك و ألطنبغا المارداني

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۷۶

و طغاى تمر و عمر بن أرغون النائب و غيرهم. و جهز جماعـة من سـراريه و جواريه و من تحسن بخاطره، كلّ واحـدة بقريب ذلك و بمثله و أكثر منه. و استجدّ النساء فى زمانه الطّرحة، كلّ طرحة بعشرة آلاف دينار و ما دون ذلك إلى خمسة آلاف دينار، و الفرجيّات بمثـل ذلـك. و اسـتجدّ النسـاء فى زمانه الخلاخيل الـذهب و الأطواق المرصـعة بالجواهر الثمينـة و القباقيب الـذهب المرصّـعة و الأزر الحرير و غير ذلك.

و كان الملك الناصر كثير الدهاء مع ملوك الأطراف يهاديهم و يستجلبهم إلى طاعته بالهدايا و التّحف، حتى يذعنوا له فيستعملهم فى حوائجه و يأخذ بعضـهم ببعض، و كان يصل إلى قتل من يريد قتله بالفداويّة لكثرة بذله لهم الأموال. و كان يحبّ العمارة فلم يزل من حين قدم من الكرك إلى أن مات مسـتمرّ العمارة، فحسب تقدير مصـروفه فجاء فى كلّ يوم مدّة هذه السـنين ثمانية آلاف درهم، قوّم ذلك بطالة على عمل و السفر و الحضر و العيد و الجمعة. و كان ينفق على العمارة المائة ألف درهم،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۷۷

فإذا رأى منها ما لا يعجبه هـدمها كلّها و جـدّدها على ما يختاره. و لم يكن من قبله من الملوك فى الإنفاق على العمائر كذلك. و قد حكى عن والـده الملك المنصور قلاوون أنه أراد أن يبنى مصـطبة عليها رفرف تقيه حرّ الشـمس إذا جلس عليها، فكتب له الشـجاعىّ تقدير مصـروفها أربعة آلاف درهم، فتناول المنصور الورقة من يد الشـجاعىّ و مزّقها و قال: أقعد فى مقعد بأربعة آلاف درهم، انصبوا

لى صيوانا إذا نزلت على المصطبة. و مع هذا كلّه خلّف الملك الناصر فى بيت المال من الذهب و القماش أضعاف ما خلّفه المنصور قلاوون. و كانت المظالم أيام الملك المنصور قلاوون أكثر مما كانت فى أيام الناصر هذا.

قلت: عود و انعطاف إلى ما كنّا فيه من أنّ الأصل فى تدبير الملك و تحصيل الأموال المعرفة و الذكاء و جودة التنفيذ. انتهى.

قلت: و الملك المنصور قلاوون كان أسمح من الملك الظاهر بيبرس البندقدارىّ و أقلّ ظلما. و الحقّ يقال ليس الظاهر و المنصور من خيل هذا الميدان، و لا بينهما و بين الملك الناصر هذا نسبة فى أمر من الأمور. انتهى.

هذا على أن الملك الناصر لمّا عمل الرّوك الناصرىّ أبطل مظالم كثيرة من الضمانات و المكوس و غيرها حسب ما ذكرناه فى وقته، و مع هذا لم يحسن عليه محسن. و كان الملك الناصر واسع النفس على الطعام يعمل فى سماطه فى كلّ يوم الحلاوات و المآكل المفتخرة و أنواع الطير، و بلغ راتب سماطه فى كلّ يوم و راتب مماليكه من اللحم ستة و ثلاثين ألف رطل لحم فى اليوم، سوى الدجاج و الإوزّ و الرّمسان و الجدى المشوى و المهارة و أنواع الوحوش كالغزلان و الأرانب و غيره.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۷۸

و استجدّ فى أيامه عمائر كثيرة منها: حفر خليج الإسكندرية، حفروه فى مدّة أربعين يوما، عمل فيه نحو المائة ألف رجل من النواحى. و استجدّ عليه عدّة سواقى و بساتين فى أراض كانت سباخا فصارت مزارع قصب سكر و سمسم و غيره. و عمّرت هناك الناصرية،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۷۹

و نقل إليها المقداد بن شمّاس و أولاده، و عدّة أولاده مائة ولد ذكر.

و استمرّ الماء فى خليج الإسكندرية طول السنة، و فرح الناس بهذا الخليج فرحا زائدا، و عظمت المنافع به. و أنشأ الميدان تحت قلعة الجبل و أجرى له المياه و غرس فيه النخل و الأشجار، و لعب فيه بالكرة فى كلّ يوم ثلاثاء مع الأمراء و الخاصّكيّة و أولاد الملوك. و كان الملك الناصر يجيد لعب الكرة إلى الغاية بحيث إنه كان لا يدانيه فيها أحد فى زمانه إلّا إن كان ابن أرغون النائب. ثم عمّر فوق الميدان هذا القصر الأبلق و أخرب البرج الذى كان عمّره أخوه الأشرف خليل على

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۸۰

الإسطبل و جعل مكانه القصر المذكور. و عمّر فوقه رفرفا و عمّر بجانبه برجا نقل إليه المماليك، و غيّر باب النحاس من قلعة الجبل و وسّع دهليزه، و عمّر فى الساحة تجاه الإيوان طباقا للأمراء الخاصّكيّة، و غيّر عمارة الإيوان مرّتين، ثم فى الثالثة أقرّه على ما هو عليه الآن، و حمل إليه العمد الكبار من بلاد الصعيد، فجاء من أعظم المبانى الملوكيّة، و رتّب خدمته بالإيوان بأنواع مهولة عجيبة مزعجة لمن يقدم من رسل الملوك، يطول الشرح فى ذكر ترتيب ذلك. ثم رتّب خدم القصر و مشدّيه، و ما كان يفرش فيه من أنواع البسط و الستائر، و كيفية حركة أرباب الوظائف فيه.

ثم عمّر بالقلعة أيضا دورا للأمراء الذين زوّجهم لبناته، و أجرى إليها المياه و عمل بها الحمّامات و زاد فى باب القلّة من القلعة بابا ثانيا. و عمّر جامع القلعة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۸۱

و القاعات السبع التى تشرف على الميدان لأجل سراريه. و عمّر باب القرافة. و كان غالب عمائره بالحجارة خوفا من الحريق. و عزم على أن يغيّر باب المدرّج و يعمل له

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۸۲

دركاه فمات قبل ذلك. و عمّر بالقلعة حوش الغنم و حوش البقر و حوش المعزى فأوسع فيها نحو خمسين فدانا. و عمّر الخانقاة بناحية سرياقوس و رتّب فيها مائة صوفىّ لكل منهم الخبز و اللحم و الطعام و الحلوى و سائر ما يحتاج إليه.

قلت: و قد صارت الخانقاة الآن مدينة عظيمة. انتهى.

قال: و عمّر القصور بسرياقوس، و عمل لها بستانا حمل إليه الأشجار من دمشق و غيرها، فصار بها عامّة فواكه الشام. و حفر الخليج الناصرىّ خارج القاهرة حتى أوصله بسرياقوس، و عمّر على هذا الخليج أيضا عدّة قناطر، و صار

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۸۳

بجانبى هذا الخليج عدّة بساتين و أملاك. و عمّرت به أرض الطبّالة بعد خرابها من أيام العادل كتبغا. و عمّرت جزيرة الفيل، و ناحية بولاق بعد ما كانت رمالا يرمى بها المماليك النّشّاب، و تلعب الأمراء بها الكرة، فصارت كلّها دورا و قصورا و جوامع و أسواقا و بساتين، و بلغت البساتين بجزيرة الفيل فى أيامه مائة و خمسين بستانا بعد ما كانت نحو العشرين بستانا. و اتّصلت العمائر من ناحية منية الشّيرج على النيل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۸۴

إلى جامع الخطيرىّ إلى حكر ابن الأثير و زريبة قوصون و إلى منشأة المهرانى إلى بركة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۸۵

الحبش، حتّى كان الإنسان يتعجّب لذلك، فإنه كان قبل ذلك بمدّة يسيرة تلالا و رمالا و حلفاء، فصار لا يرى قدر ذراع إلّا و فيه بناء. كلّ ذلك من محبّة السلطان للتعمير. فصار كلّ أحد فى أيامه يفعل ذلك و يتقرّب إلى خاطره بهذا الشأن.

و صار لهم أيضا غيّة فى ذلك، كما قيل: الناس على دين مليكهم، بل قيل إنه كان إذا سمع بأحد قد أنشأ عمارة بمكان شكره فى الملأ و أمدّه فى الباطن بالمال و الآلات، و غيرها، فعمّرت مصر فى أيامه و صارت أضعاف ما كانت، كما سيأتى ذكره من الحارات و الحكورة و الأماكن. فممّا عمّر فى أيامه أيضا القطعة التى فيما بين قبّة الإمام الشافعىّ، رضى اللّه عنه، إلى باب القرافة طولا و عرضا بعد ما كانت فضاء لسباق خيل الأمراء و الأجناد و الخدّام، فكان يحصل هناك أيّام السّباق اجتماعات جليلة للتفرّج على السّباق إلى أن أنشأ الأمير بيبغا التّركمانىّ تربته بها، و شكره السلطان. فأنشأ الناس فيه تربا حتى صارت كما ترى.

قلت: و كذا وقع أيضا فى زماننا هذا بالساحة التى كانت تجاه تربة الملك الظاهر برقوق (أعنى المدرسة الناصرية بالصحراء) فإنها كانت فى أوائل الدولة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۸۶

الأشرفية برسباى ساحة كبيرة يلعب فيها المماليك السلطانية بالرّمح، و هى الآن كما ترى من العمائر. و كذا وقع أيضا بالساحة التى كانت من جامع أيدمر الخطيرىّ على ساحل بولاق إلى بيت المقرّ الكمال ابن البارزىّ، فإنّ الملك المؤيّد شيخ جلس فى حدود سنة عشرين و ثمانمائة ببيت القاضى ناصر الدين ابن البارزى والد كمال الدين المذكور بساحة بولاق، و ساقت الرّمّاحة المحمل قدّامه بالساحة المذكورة، و هى الآن كما هى من الأملاك. و كذلك وقع أيضا بخانقاه سرياقوس و أنّها كانت ساحة عظيمة من قدّام خانقاه الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الترجمة إلى الفضاء، حتى عمّر بها الأمير سودون بن عبد الرحمن مدرسته فى حدود سنة ست و عشرين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۸۷

و ثمانمائة، فكان ما بين المدرسة العبد الرحمانية المذكورة و بين باب الخانقاه الناصرية ميدان كبير. انتهى. و قد خرجنا عن المقصود و لنرجع إلى ما كنا فيه من ذكر الملك الناصر محمد فنقول أيضا:

و عمّر أيضا فى أيامه الصحراء التى ما بين قلعة الجبل و خارج باب المحروق إلى تربة الظاهر برقوق المقدّم ذكرها. و أوّل من عمّر فيها الأمير قراسنقر تربته، و عمّر بها حوض السبيل يعلوه مسجد. ثم اقتدى به جماعة من الأمراء و الخوندات و الأعيان مثل خوند طغاى، عمّرت بها تربتها العظيمة، و مثل طشتمر حمّص أخضر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۸۸

الناصرىّ، و مثل طشتمر طلليه الناصرىّ و غيرهم. و كان هذا الموضع ساحة عظيمة، و به ميدان القبق من عهد الملك الظاهر بيبرس برسم ركوب السلطان و عمل الموكب به برسم سباق الخيل، فلما عمّر قراسنقر تربته عمّر الناس بعده حتى صارت الصحراء مدينة عظيمة. و عمر الملك الناصر أيضا لمماليكه عدّة قصور خارج القاهرة، و بها منها قصر الأمير طقتمر الدّمشقى بحدرة البقر، و بلغ مصروفه ثمانمائة ألف درهم.

فلمّا مات طقتمر أنعم به على الأمير طشتمر حمّص أخضر فزاد فى عمارته. و منها قصر الأمير بكتمر الساقى على بركة الفيل بالقرب من الكبش، فعمل أساسه أربعين ذراعا و ارتفاعه أربعين ذراعا فزاد مصروفه على ألف ألف درهم. و منها

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۸۹

الكبش، حيث كان عمارة الملك الصالح نجم الدين أيّوب فعمله الملك الناصر سبع قاعات برسم بناته ينزلون فيه للفرجة على ركوب السلطان للميدان الكبير. لم ينحصر ما أنفقه فيها لكثرته. و منها إسطبل الأمير قوصون بسوق الخيل تحت القلعة تجاه باب السلسلة، و كان أصله إصطبل الأمير سنجر البشمقدار و سنقر الطويل. و منها قصر بهادر الجوبانىّ بجوار زاوية البرهان الصائغ بالجسر الأعظم تجاه الكبش. و منها

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۹۰

قصر قطلوبغا الفخرىّ و قصر ألطنبغا المارداني و قصر يلبغا اليحياوىّ، و هؤلاء أجلّ ما عمّر من القصور و هم موضع المدرسة الناصريّة الحسنيّة، أخذهم الملك الناصر حسن و هدمهم و عمّر مكان ذلك مدرسته المشهورة به. و عمّر فى أيامه الأمراء عدّة دور و قصور، منها: دار الأمير أيدغمش أمير آخور و قصر بشتك و غيره.

و كان الملك الناصر له عناية كبيرة ببلاد الجيزة، حتى إنه عمل على كلّ بلد جسرا و قنطرة، و كانت قبل ذلك أكثر بلادها تشرق لعلوّها، فعمل جسر أمّ دينار، فى ارتفاع اثنتى عشرة قصبة. أقام العمل فيه مدّة شهرين، و هو الذى اقترحه فحبس الماء حتى ردّه على تلك الأراضى، و عمّ النفع بها جميع أهل الجيزة. و من يومئذ قوى بسبب هذا الجسر الماء حتى حفر بحرا يتّصل بالجيزة. و خرج فى أراضى الجيزة عدّة مواضع و زرعت بعد ما كانت شاسعة، و أخذ من هذه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج۹؛ ص ۱۹۰

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۹۱

الأراضى قوصون و بشتك و غيرهما عدّة أراض عمّروها و وقفوها. و استجدّ السلطان على بقية الأراضى ثلثمائة جندىّ.

قلت: هذا و أبيك العمل! و أين هذا من فعل غيره! ينظر إلى أحسن البلاد فيأخذها و يوقفها فيخربها النّظار بعد سنين؛ فالفرق واضح لا يحتاج إلى بيان.

و هذا الذى أشرنا إليه من أن الملك إذا كان له معرفة حصل له أغراضه من جمع المال من هذا الوجه و غيره، و لا يحتاج لأخذ الرشوة من الحكّام و الإفحاش فى أخذ المكوس و غيرها و مثل ذلك فكثير.

و استجدّت فى ايام الملك الناصر عدّة أراضى أيضا بالشرقية و نواحى فوّة و غيرها أقطعت للأجناد، و كانت قبل ذلك لسنين كثيرة خرابا لا ينتفع بها. و عمل أيضا سدّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۹۲

شبين القصر فزاد بسببه خراج الشرقية زيادة كثيرة. و عمل جسرا خارج القاهرة حتى ردّ النيل عن منية الشّيرج و غيرها، فعمّر بذلك عدّة بساتين بجزيره الفيل، و أحكم عامّة أراضى مصر قبليّها و بحريّها بالتراع و الجسور حتى أتقن أمرها، و كان يركب إليها برسم الصّيد كلّ قليل، و يتفقّد أحوالها بنفسه، و ينظر فى جسورها و تراعها و قناطرها، بحيث إنه لم يدع فى أيّامه موضعا منها حتى عمل فيه ما يحتاج إليه. و كان له سعد فى جميع أعماله، فكان يقترح المنافع من قبله، بعد أن كان يزهّده فيما يأمر به حذّاق المهندسين، و يقول

بعضهم: ياخونـد، الـذين جاءوا من قبلنا لو علموا أن هـذا يصحّ فعلوه، فلا يلتفت إلى قولهم، و يفعل ما بدا له من مصالح البلاد، فتأتيه أغراضه على ما يحبّ و زيادة، فزاد فى أيّامه خراج مصر زيادة هائلة فى سائر الأقاليم. و كان إذا سمع بشراقى بلد أو قرية من القرى أهمّه ذلك و سأل المقطع بها عن أحوال القرية المذكورة غير مرّة، بل كلّما وقع بصره عليه، و لا يزال يفحص عن ذلك حتّى يتوصّل إلى ريّها بكل ما تصل قدرته إليه.

كلّ ذلك و صاحبها لا يسأله فى شىء من أمرها فيكلّمه بعض الأمراء فى ذلك فيقول: هذه قريتى، و أنا الملزوم بها و المسئول عنها، فكان هذا دأبه. و كان يفرح إذا سأله بعض الأجناد فى عمل مصلحة بلده بسبب عمل جسر أو تقاوى أو غير ذلك، و ينبل ذلك الرجل فى عينه، و يفعل له ما طلبه من غير توقّف و لا ملل فى إخراج المال، فإن كلّمه أحد فى ذلك فيقول: فلم نجمع المال فى بيت مال

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۹۳

المسلمين إلّا لهذا المعنى و غيره! فهذه كانت عوائده، و كذلك فعل بالبلاد الشاميّة، حتى إنّ مدينة غزّة هو الذى مصّرها و جعلها على هذه الهيئة، و كانت قبل كآحاد قرى البلاد الشاميّة، و جعل لها نائبا، و سمّى بملك الأمراء، و لم تكن قبل ذلك إلّا ضيعة من ضياع الرملة، و مثلها فكثير من قرى الشام و حلب و الساحل يطول الشرح فى ذكر ذلك.

و أنشأ الملك الناصر بالديار المصريّة الميدان الكبير على النيل، و خرّب ميدان اللّوق الذى كان عمّره الظاهر بيبرس و عمله بستانا، و قد تقدّم ذكره. ثم أنعم السلطان بالبستان المذكور على الأمير قوصون، فبنى قوصون تجاهه زريبته المعروفة بزريبة قوصون بنيانا و وقفه، و اقتدى الأمراء بقوصون فى العمارة. ثم أخذ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۹۴

قوصون بستان الأمير بهادر رأس نوبة، و حكره للناس، و مساحته خمسة عشر فدّانا، فبنوه دورا على الخليج، فعرف بحكر قوصون، و حكر السلطان حول البركة الناصريّة أراضى البستان فعمّروها الناس و سكنوا فيه، ثم حكر الأمير طقز دمر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۹۵

الحموىّ الناصرى بستانا بجوار الخليج، مساحته ثلاثون فدانا، و بنى له قنطرة عرفت به، و عمل هناك حمّاما و حوانيت أيضا، فصار حكرا عظيم المساكن.

قلت: و طقز دمر هذا هو الذى جدّد الخطبة بالمدرسة المعزّيّة الأيبكيّة على النيل بمصر القديمة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۹۶

ثم حكر الأمير آقبغا عبد الواحد بستانا بجوار بركة قارون ظاهر القاهرة، فعمره عمارة كبيرة، و أخذ بقيّة الأمراء جميع ما كان من البساتين و الجنينات ظاهر القاهرة و حكروها، و حكرت دادة السلطان الملك الناصر الستّ حدق و الستّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۹۷

مسكة القهرمانة حكرين عرفا بهما. و أنشأت كلّ واحدة منهما فى حكرها جامعا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۹۸

تقام به الجمعة، فزادت الأحكار فى أيام الملك الناصر على ستين حكرا، و بهذا اتّصلت العمائر من باب زويلة إلى سدّ مصر، بعد ما كانت ساحة مخيفة. كلّ ذلك لما علم الناس من حبّ السلطان للعمر.

قلت: و على هذا زادت الديار المصرية فى أيامه مقدار النصف. قال: و عمرت فى أيامه بالديار المصرية عدّة جوامع تقام فيها الخطب زيادة على ثلاثين جامعا، منها: الجامع الناصرىّ بقلعة الجبل، جدّده و أوسعه. و منها الجامع الجديد الناصرىّ أيضا على نيل مصر. و منها جامع الأمير طيبرس الناصرىّ نقيب الجيش على النيل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۱۹۹

بجوار خانقاته، و قد ذهب أثر هذا الجامع المذكور من سنين. ثم عمّر طيبرس المذكور مدرسته المشهورة به بجوار الجامع الأزهر، و لمّا خرب جامعه المذكور الذى كان على النيل نقل الصوفيّة الذين كانوا به إلى المدرسة المذكورة. انتهى. و منها جامع المشهد النفيسىّ لا أعلم من بناه، و منها جامع الأمير بدر الدين محمد التّركمانىّ بالقرب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۰۰

من باب البحر. ثم جامع الأمير كراى المنصورى بآخر الحسينية. و جامع كريم الدين خلف الميدان. و جامع شرف الدين الجاكى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۰۱

بسويقة الرّيش. و جامع الفخر ناظر الجيش على النيل فيما بين بولاق و جزيرة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۰۲

الفيل. و جامعا آخر خلف خصّ الكيّالة ببولاق. و جامعا ثالثا بالروضة.

و جامع أمير حسين بالحكر، و بنى له قنطرة على الخليج بالقرب منه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۰۳

و جامع الأمير قيدان الرومىّ بقناطر الإوزّ. و جامع دولة شاه مملوك العلائى بكوم الرّيش. و جامع الأمير ناصر الدين الشّرابيشىّ الحرّانىّ بالقرافة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۰۴

و جامع الأمير آقوش نائب الكرك بطرف الحسينية بالقرب من الخليج. و جامع الأمير آق سنقر شادّ العمائر قريبا من الميدان. و جامعا خارج باب القرافة، عمّره

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۰۵

جماعة من العجم. و جامع التّوبة بباب البرقيّة، عمّره مغلطاى أخو

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۰۶

الأمير ألماس. و جامع بنت الملك الظاهر بالجزيرة المستجدّة المعروفة بالوسطانية. و جامع الأمير ألماس الناصرىّ الحاجب بالقرب من حوض

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۰۷

ابن هنس بالشارع الأعظم خارج القاهرة. و جامع الأمير قوصون الناصرىّ بالقرب منه أيضا على الشارع خارج القاهرة، و له أيضا جامع و خانقاه خارج باب القرافة.

و جامع الأمير عزّ الدين أيدمر الخطيرىّ بساحل بولاق، و جامع أخى صاروجا بشون

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۰۸

القصب. و جامع الأمير بشتك الناصرىّ على بركة الفيل تجاه خانقاته. و جامع الأمير

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۰۹

آل ملك بالحسينية. و جامع الست حدق الدّادة فيما بين السّدّ و قناطر السّباع. و جامع السّتّ مسكة قريبا من قنطرة آق سنقر. و جامع الأمير ألطنبغا المارداني خارج باب زويلة. و جامع المظفّر بسويقة الجمّيزة من الحسينية. و جامع جوهر السّحرتى قريبا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۱۰

من باب الشعرية، و جامع فتح الدين محمد بن عبد الظاهر بالقرافة. و غير ذلك من المدارس و المساجد، و هذا كله بديار مصر.

و أما ما بنى بالبلاد الشامية فى أيامه فكثير جدّا. و آخر ما بناه الملك الناصر السواقى التى بالرّصد، و مات قبل أن يكملها. و كان الملك الناصر فى آخر أيامه شغف بحبّ الجوارى المولّدات و حملن إليه، فزادت عدّتهنّ عنده على ألف و مائتى وصيفة.

و خلّف من الأولاد الذكور أبا بكر و محمدا و إبراهيم و عليّا و أحمد و كجك و يوسف و شعبان و إسماعيل و رمضان و حاجى و حسينا و حسنا و صالحا. و تسلطن من ولده لصلبه ثمانية: أبو بكر و كجك و أحمد و إسماعيل و شعبان و حاجى و حسن و صالح ثم حسن ثانيا حسب ما يأتى ذكر ذلك كله فى محلّه إن شاء اللّه تعالى. و خلّف من البنات سبعا.

قال الشيخ صلاح الدين الصفدىّ فى تاريخه: و كان الملك الناصر ملكا عظيما محظوظا مطاعا مهيبا ذا بطش و دهاء و حزم شديد و كيد مديد، قلّما حاول أمرا فانخرم عليه فيه شىء يحاوله، إلّا أنه كان يأخذ نفسه فيه بالحزم البعيد و الاحتياط.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۱۱

أمسك إلى أن مات مائة و خمسين أميرا. و كان يصبر الدهر الطويل على الإنسان و هو يكرهه. تحدّث مع الأمير أرغون الدّوادار فى إمساك كريم الدين الكبير قبل القبض عليه بأربع سنين، و همّ بإمساك تنكز لمّا ورد من الحجاز فى سنة ثلاث و ثلاثين بعد موت بكتمر الساقى. ثم إنه أمهله ثمانى سنين بعد ذلك. و كان ملوك البلاد الكبار يهابونه و يراسلونه. و كان يتردّد إليه رسل صاحب الهند و بلاد أزبك خان و ملوك الحبشة و ملوك الغرب و ملوك الفرنج و بلاد الأشكرى و صاحب اليمن. و أمّا بو سعيد ملك التّتار فكانت الرسل لا تنقطع بينهما، و يسمّى كلّ منهما الآخر أخا. و كانت الكلمتان واحدة، و مراسيم الملك الناصر تنفذ فى بلاد بو سعيد، و رسله يتوجهون إليه بأطلابهم و طبلخاناتهم بأعلامهم المنشورة. و كان كلما بعد الإنسان من بلاده وجد مهابته و مكانته فى القلوب أعظم. و كان سمحا جوادا على من يقرّبه، لا يبخل عليه بشىء كائنا من كان. سألت القاضى شرف الدين النّشو أطلق يوما ألف ألف درهم؟ قال: نعم [كثير. و فى يوم واحد أنعم على الأمير بشتك بألف ألف درهم] فى ثمن قرية يبنى التى بها قبر أبى هريرة على ساحل الرملة. و أنعم على موسى بن مهنّا بألف ألف درهم، و قال لى (يعنى عن النّشو): هذه ورقة فيها ما ابتاعه من الرقيق فى أيام مباشرتى، و كان ذلك من شعبان سنة اثنتين و ثلاثين إلى سنة سبع و ثلاثين و سبعمائة، فكان جملته أربعمائة ألف و سبعين ألف دينار مصرية. و كان ينعم على الأمير تنكز فى كل سنة يتوجّه إليه إلى مصر، و هو بالباب ما يزيد على ألف ألف درهم. و لمّا تزوّج الأمير سيف الدين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۱۲

قوصون بابنة السلطان و عمل عرسه حمل الأمراء إليه شيئا كثيرا، فلمّا تزوّج الأمير سيف الدين طغاى تمر بابنته الأخرى. قال السلطان: ما نعمل [له] عرسا، لأن الأمراء يقولون: هذه مصادرة. و نظر إلى طغاى تمر و قد تغيّر وجهه، فقال للقاضى تاج الدين إسحاق يا قاضى: اعمل ورقة بمكارمة الأمراء لقوصون، فعمل ورقة و أحضرها، فقال السلطان: كم الجملة؟ قال: خمسون ألف دينار، فقال:

أعطها لطغاى تمر من الخزانة. و ذلك خارج عما دخل مع الزوجة من الجهاز.

و أمّا عطاؤه للعرب فأمر مشهور زائد عن الحدّ. انتهى كلام الشيخ صلاح الدين الصفدىّ باختصار. و هو أجدر بأحوال الملك الناصر، لأنه يعاصره و فى أيامه، غير أننا ذكرنا من أحوال الملك الناصر ما خفى عن صلاح الدين المذكور نبذة كبيرة من أقوال جماعة كثيرة من المؤرّخين. و اللّه تعالى أعلم.

*** السنة الأولى من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر، و هى سنة عشر و سبعمائة على أنّه حكم فى السنة الماضية من شهر شوّال إلى آخرها.

فيها (أعنى سنة عشر و سبعمائة) قبض الملك الناصر على الأمير سلّار و قتله فى السجن حسب ما تقدّم ذكره فى أصل الترجمة، و يأتى أيضا ذكر وفاته فى هذه السنة.

و فيها توفّى العلّامة قاضى القضاة شمس الدين أبو العبّاس أحمد بن إبراهيم بن عبد الغنى السّروجىّ الحنفىّ قاضى قضاة الديار

المصرية فى يوم الخميس الثانى و العشرين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۱۳

من شهر ربيع الآخر بالمدرسة السيوفيّة بالقاهرة. و كان بارعا فى علوم شتّى، و له اعتراضات على ابن تيميّة فى علم الكلام، و صنّف شرحا على الهداية و سمّاه «الغاية» و لم يكمله.

و توفّى الشيخ الإمام العلّامة نجم الدين أحمد بن محمد [بن علىّ بن مرتفع بن حازم بن إبراهيم بن العبّاس] بن الرّفعة الشافعى المصرى. كان فقيها مفتّنا مفتيا، و كان يلى حسبة مصر القديمة. و شرح التنبيه و الوسيط فى الفقه فى أربعين مجلدا.

و مات فى ثامن عشر رجب و دفن بالقرافة. رحمه اللّه.

و توفّى الشيخ رضىّ الدين أبو بكر بن محمود بن أبى بكر الرّقّىّ الحنفىّ المعروف بالمقصوص. مات بدمشق و دفن بالباب الصغير. و كان فقيها فاضلا عالما بعدّة فنون، و درّس و أفتى سنين كثيرة.

و توفى الشيخ الإمام العلّامة قطب الدّين محمود بن مسعود [بن مصلح] الشّيرازىّ، كان عالما بالفلسفة و المنطق و الأصول و الحكمة، و له فيهم مصنّفات تدلّ على فضله. و تولّى قضاء بلاد الروم، و لم يباشر القضاء، و لكن كانت نوّابه تحكم فى البلاد. و كان معظّما عند ملوك التّتار [و كان] من تلامذة النّصير الطّوسىّ، و به تخرّج فى علم الأوائل. و بنى له تربة بتبريز، و بها دفن.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۱۴

و توفّى الشيخ الأديب الشاعر شهاب الدين أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم ابن عبد العزيز العزازىّ التاجر بقيساريّة جهاركس بالقاهرة. مات فى هذه السنه و دفن [بسفح] المقطّم. و كان له النظم الرائق، و له ديوان شعر مشهور. و من شعره فى مليح بدوىّ:

بدوىّ كم حدّثت مقلتاه عاشقا عن مقاتل الفرسان

بمحيّا يقول يا لهلال و لحاظ تقول يا لسنان

قلت: و يعجبنى فى هذا المعنى قول الشيخ علاء الدين الوداعىّ، و هو:

أقبل من حيّه و حيّا فأشرقت سائر النّواحى

فقلت يا وجه من بنى من فقال لى من بنى صباح

قلت: و العزازىّ هذا هو صاحب الموشّحات الظريفة المشهورة، ذكرنا منها عدّة فى ترجمته فى تاريخيا «المنهل الصافى» إذ هو كتاب تراجم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۱۵

و توفّى الحكيم الأديب البارع شمس الدين محمد بن دانيال [بن يوسف] الموصلى، صاحب النّكت الغريبة، و النوادر العجيبة، و هو مصنّف «كتاب طيف الخيال» و كان كثير المجون و الدّعابة، و كانت دكّانه داخل باب الفتوح من القاهرة. و مولده بالموصل سنة ستّ و أربعين و ستمائة. و مات فى الثامن و العشرين من جمادى الآخرة.

و من شعره فى صنعته:

ما عاينت عيناى فى عطلتى أقلّ من حظّى و لا بختى

قد بعت عبدى و حصانى و قد أصبحت لا فوقى و لا تحتى

و له فى المعنى أيضا:

يا سائلى عن حرفتى فى الورى و ضيعتى فيهم و إفلاسى

ما حال من درهم إنفاقه يأخذه من أعين الناس

و من نوادره الظريفة أنّه كان يلازم خدمة الملك الأشرف خليل بن قلاوون قبل سلطنته فأعطاه الأشرف فرسا ليركبه، فلمّا كان بعد

أيّام رآه الأشرف و هو على حمار زمن، فقال له: يا حكيم، ما أعطيناك فرسا لتركبه؟ فقال: نعم يا خونـد، بعته و زدت عليه و اشتريت هذا الحمار، فضحك الأشرف و أعطاه غيره. و له فى أقطع.

و أقطع قلت له هل أنت لصّ أوحد

فقال هذى صنعة لم يبق لى فيها يد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۱۶

و توفّى الأمير سيف الدين الحاجّ بهادر المنصوريّ نائب طرابلس بها، و فرح الملك الناصر بموته، فإنّه كان من كبار المنصورية.

و توفّى الأمير جمال الدين آقوش [المنصوريّ] الموصلىّ المعروف بقتّال السّبع أمير علم. مات بالديار المصريّة، و كان من أكابر أمرائها فى شهر رجب، و دفن بالقرافة.

و توفّى الأمير سيف الدين برلغى الأشرفىّ فى ليلة الأربعاء ثانى شهر رجب قتيلا بقلعة الجبل. قيل: إنه منع الطعام و الشراب حتّى مات، و دفن بالحسينية خارج باب النصر بجوار تربة علاء الدين الساقى الأستادار. و كان برلغى صهر المظفّر بيبرس الجاشنكير زوج ابنته و من ألزامه. و قد تقدّم ذكره فيما مضى فى أوّل ترجمة الملك الناصر، و فى ترجمة بيبرس أيضا ما فيه كفاية عن ذكره هنا ثانيا.

و توفّى الأمير سيف الدين قبجق المنصوريّ نائب حلب بها فى جمادى الأولى و حمل إلى حماة، و دفن بتربته التى أنشأها بعد مرض طويل. و قد تقدّم ذكر قبجق فى عدّة مواطن، فإنّه كان ولى نيابة دمشق، و خرج منها فى سلطنة لاچين إلى بلاد التّتار، و أقدم غازان إلى دمشق، ثم عاد إلى طاعة الملك الناصر فى سلطنته الثانية، ثم كان هو القائم فى أمر الملك الناصر لمّا خلع بالجاشنكير حتى ردّه إلى ملكه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۱۷

و توفّى الأمير الكبير سلّار المنصوريّ نائب السلطنة بديار مصر فى يوم الأربعاء الرابع و العشرين من شهر ربيع الآخر. و قد تقدّم ذكره فى أوّل ترجمة الناصر هذه الثالثة، و ما وجد له من الأموال و غير ذلك، فلينظر هناك.

و توفّى الأمير نوغاى بن عبد اللّه المنصوريّ القبجاقىّ المقدّم ذكره فى ترجمة الملك المظفّر بيبرس لمّا فارقه و توجّه إلى الكرك إلى عند الملك الناصر محمد. مات بقلعة دمشق محبوسا، و دفن بمقابر الباب الصغير، و كان من الشّجعان، غير أنه كان يحبّ الفتن و الحروب.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم لم يحرّر. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و ثلاث أصابع. و كان الوفاء يوم النّوروز. و اللّه أعلم.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۱۱]

السنة الثانية من ولاية الملك الناصر الثالثة على مصر، و هى سنة إحدى عشرة و سبعمائة.

فيها توفّى الأمير بكتوت الخازندار، ثم أمير شكار، ثم نائب السلطنة بثغر الإسكندريّة؛ و مات بعد عزله عنها فى ثامن شهر رجب. و أصله من مماليك بيليك الخازندار نائب السلطنة بمصر فى الدولة الظاهريّة بيبرس. ثم صار أمير شكار فى أيام كتبغا، ثم ولى الإسكندريّة، و كثر ماله و اختصّ عند بيبرس الجاشنكير و سلّار. فلمّا عاد الملك الناصر إلى ملكه حسّن له بكتوت هذا حفر خليج الإسكندرية ليستمرّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۱۸

الماء فيها صيفا و شتاء، فندب السلطان معه محمد بن كندغدى المعروف بابن الوزيرىّ، و فرض العمل على سائر الأمراء فأخرج كلّ منهم أستاداره و رجاله، و ركب ولاة الأقاليم، و وقع العمل فيه من شهر رجب سنة عشر و سبعمائة، و كان فيه نحو الأربعين ألف رجل

تعمل. و كان قياس العمل من فم البحر إلى شنبار ثمانى آلاف قصبة، و مثلها إلى الإسكندرية. و كان الخليج الأصلىّ من حدّ شنبار يدخل الماء إليه فجعل فم هذا البحر يرمى إليه، و عمل عمقه ستّ قصبات فى عرض ثمانى قصبات. فلمّا وصل الحفر إلى حدّ الخليج الأوّل حفر بمقدار الخليج المستجدّ و جعلا بحرا واحدا، و ركّب عليه القناطر، و وجد فى الخليج من الرّصاص المبنىّ تحت الصهاريج شىء كثير، فأنعم به على الأمير بكتوت. فلما فرغ ابتنى الناس عليه سواقى و استجدّت عليه قرية عرفت بالناصريّة؛ فبلغ ما أنشئ عليه زيادة على مائة ألف فدّان و نحو ستمائة ساقية و أربعين قرية، و سارت فيه المراكب الكبار، و استغنى أهل الثغر عن جرى الماء فى الصهاريج. و عمّر عليه نحو الألف غيط، و عمّرت به عدّة بلاد.

و تحوّلت الناس إلى الأراضى التى عمّرت و سكنوها بعد ما كانت سباخا. فلمّا فرغ ذلك ائتنى بكتوت هذا من ماله جسرا أقام فيه ثلاثة أشهر حتّى بناه رصيفا، و أحدث عليه نحو ثلاثين قنطرة بناها بالحجارة و الكلس، و عمل أساسه رصاصا، و أنشأ بجانبه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۱۹

خانا و حانوتا، و عمل فيه خفرا و أجرى لهم الماء؛ فبلغت النفقة على هذا الجسر ستين ألف دينار. و أعانه على ذلك أنّه هدم قصرا قديما خارج الإسكندريّة و أخذ حجره، و وجد فى أساسه سربا من رصاص مشوا فيه إلى قرب البحر المالح، فحصّل منه جملة عظيمة من الرصّاص. ثم إنه شجر ما بينه و بين صهره، فسعى به إلى السلطان و أغراه بأمواله و كتب مستوفى الدولة أمين الملك عبد اللّه بن الغنّام عليه أوراقا بمبلغ أربعمائة ألف دينار فعزل و طلب إلى القاهرة، فلمّا قرئت عليه الأوراق قال: قبّلوا الأرض بين يدى مولانا السلطان، و عرّفوه عن مملوكه إن كان راضيا عنه فكلّ ما كتب كذب، و إن كان غير راض فكلّ ما كتب صحيح.

و كان قد وعك فى سفره من الإسكندرية فمات بعد ليال فى ثانى عشر شهر رجب فأخذ له مال عظيم جدّا. و كان من أعيان الأمراء و أجلّهم و كرمائهم و شجعانهم مع الذكاء و العقل و المروءة، و له مسجد خارج باب زويلة و له أيضا عدة أوقاف على جهات البرّ.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۲۰

و توفّى الشيخ المجوّد المنشئ الفاضل شرف الدين محمد بن شريف بن يوسف الزرعىّ المعروف بابن الوحيد. كان حسن الخطّ فاضلا مقداما شجاعا يعرف عدّة علوم و ألسن و خدم عند جماعة من أعيان الأمراء، و كتب فى الإنشاء بالقاهرة، ثم تعطّل بعد ذلك، و نزل صوفيّا بخانقاه سعيد السعداء. فلمّا كانت سنة إحدى و سبعمائة قدم رسل التّتار إلى مصر و معهم كتاب غازان، فلم يكن فى الموقّعين من يحلّه فطلب فحلّه؛ فرتّبه السلطان فى ديوان الإنشاء إلى أن مات بالبيمارستان المنصورىّ يوم الثلاثاء سادس عشرين شعبان، و له ثلاث و ستون سنة. و من شعره فى تفضيل الحشيش على الخمر:

و خضراء لا الحمراء تفعل فعلها لها و ثبات فى الحشى و ثبات

تأجّج نارا فى الحشى و هى جنّة و تبدى مرير الطّعم و هى نبات

و توفّى الصاحب الوزير فخر الدين عمر ابن الشيخ مجد الدين عبد العزيز بن الحسن بن الحسين الخليلىّ التّميمىّ الدّارىّ بالقاهرة فى يوم عيد الفطر، و دفن بالقرافة الصغرى. و كان مولده سنة أربعين و ستمائة. و تولّى الوزارة فى دولة الملك السعيد ابن الظاهر بيبرس تمّ بعدها غير مرّة إلى أن عزله الملك الناصر، و مات معزولا. و كان فاضلا خيّرا ديّنا كثير الصدقات، عفيفا عن أموال الرعيّة.

رحمه اللّه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۲۱

و توفّى القاضى العلّامة الحافظ سعد الدين مسعود بن أحمد بن مسعود بن زيد الحارثىّ الحنبلىّ. مات بالمدرسة الصالحيّة بالقاهرة و دفن بالقرافة. و كان من أعيان العلماء المحدّثين. رحمه اللّه.

و توفّى الشيخ فخر الدين إسماعيل بن نصر [اللّه] بن أحمد بن محمد بن الحسن بن عساكر الدّمشقىّ. مات بدمشق و دفن بالباب الصغير. روى عن جماعة من المشايخ، و كانت نفسه قويّة.

و توفّى الشيخ الإمام العالم الخطيب بجامع أحمد بن طولون شمس الدين محمد بن يوسف بن عبد اللّه بن الجزرىّ الشافعىّ. مات بالمدرسة المعزّيّة بمصر فى أوائل ذى الحجّة و دفن بالقرافة. و مولده سنة سبع و ثلاثين و ستمائة بالجزيرة، و قدم دمشق و برع فى عدّة علوم، و عرض عليه قضاء دمشق فامتنع.

و توفّى الشيخ الاديب سراج الدين عمر بن مسعود الحلبى المعروف بالمحّار. و كان أوّلا صانعا يمحر الكتّان، ثم اشتغل بالأدب و مهر فيه، و اتّصل بخدمة الملك المنصور صاحب حماة إلى أن مات بدمشق فى هذه السنة. و هو صاحب الموشّحات المشهورة. و من شعره:

لمّا تألّق بارق من ثغره جادت جفونى بالسّحاب الممطر

فكأنّ عقد الدّمع حلّ قلائد ال عقيان منه على صحاح الجوهرى

و له فى مليح نجّار:

قالوا المعرّة قد غدت من فضلها يسعى إلى أبوابها و يزار

وجبت زيارتها علينا عند ما شغف القلوب بحبّها النّجّار

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۲۲

و من موشّحاته:

ما ناحت الورق فى الغصون، إلّا هاجت على، تغريدها لوعة الحزين

هل ما مضى لى مع الحبايب آئب، بعد الصدود

أو هل لأيّامنا الذّواهب واهب، بأن تعود

بكلّ مصقولة الترائب كاعب، هيفاء رود

تفترّ عن جوهر ثمين، جلّا أن يجتلى، يحمى بقضب من الجفون

أحببته ناعم الشمائل مائل، فى برده

فى أنفس العاشقين عامل عامل، من قدّه

يرنو بطرف إلى المقاتل قاتل، فى غمده

أسطى من الأسد فى العرين، فعلا و أقتلا، لعاشقيه من المنون

علقته كامل المعانى عانى، قلبى به

مبلبل البال مذ جفانى فانى، فى حبّه

كم بتّ من حيث لا يرانى رانى، لقربه

و بات من صدغه يربنى، نملا يسعى إلى، رضابه العاطر المصون

قاسوه بالبدر و هو أحلى شكلا، من القمر

و راش هدب الجفون نبلا أبلى، بها البشر

و قال لى و قد تجلّى جلّا، بارئ الصّور

ينتصف البدر من جبينى، أصلا فقلت لا، قال و لا السّحر من عيونى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۲۳

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان و ثلاث أصابع. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و إحدى و عشرون إصبعا. و اللّه أعلم.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۱۲]

السنة الثالثة من ولاية الملك الناصر محمد الثالثة على مصر، و هى سنة اثنتى عشرة و سبعمائة.

فيها توفّى قاضى القضاة شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن إبراهيم [بن إبراهيم] ابن داود بن حازم الأذرعىّ الحنفىّ بالقاهرة فى شهر رجب: و مولده بأذرعات فى سنة اربعين و ستمائة. و كان إماما بارعا مفتّنا عارفا بالفقه و اللغة و العربية و الأصول، و أفتى و درّس بالشّبلية التى على جسر تورا بدمشق، و ولى القضاء بها فباشر سنة. و قدم القاهرة فمات بها فى التاريخ المذكور.

و توفى الشيخ شرف الدين محمد بن موسى بن محمد بن خليل المقدسىّ الكاتب المنشئ فى خامس عشر شعبان بالقاهرة. و كان فاضلا أديبا شاعرا، إلّا أنّه كان كثير الهجاء. و كان يعرف بكاتب أمير سلاح. و من شعره:

اليوم يوم سرور لا شرور به فزوج ابن سحاب بابنة العنب

ما أنصف الكأس من أبدى القطوب لها و ثغرها باسم عن لؤلؤ الحبب

و توفّى الشيخ مجد الدين أحمد بن ديلم بن محمد الشّيبىّ المكىّ شيخ الحجبة و فاتح الكعبة بمكّة و دفن بالمعلاة. و روى عن ابن مسدى و المرسى و غيرهما.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۲۴

و توفّى الملك المظفّر شهاب الدين غازى ابن الملك الناصر صلاح الدين داود ابن الملك المعظّم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل أبى بكر [محمد] بن أيوب.

مات بالقاهرة فى يوم الاثنين ثانى عشر شهر رجب. و مولده بالكرك فى سنة سبع و ثلاثين و ستمائة.

و توفّى الملك المنصور نجم الدين أبو الفتح غازى ابن الملك المظفّر فخر الدين قرا أرسلان ابن الملك السعيد نجم الدين غازى الأرتقىّ صاحب ماردين و ابن صاحبها و بها كانت وفاته فى تاسع شهر ربيع الآخر، و دفن بمدرسته تحت قلعة ماردين، و عمره فوق السبعين، و كانت مدّته على ماردين نحو العشرين سنة. و كان ملكا مهيبا كامل الخلقة سمينا بدينا عارفا مدبّرا. و تولّى سلطنة ماردين من بعده ولده الملك العادل علىّ سبعة عشر يوما ثم خلع و ولّى أخوه صالح.

و توفّى الأمير سيف الدين قطلوبك الشّيخىّ، كان من أعيان أمراء دمشق، و بها كانت وفاته.

و توفّى الأمير سيف الدين مغلطاى البهائىّ بطرابلس، كان قد رسم السلطان بالقبض عليه فوصل البريدىّ بذلك بعد موته بيوم.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و أصابع. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و اثنتان و عشرون إصبعا. و كان الوفاء ثالث أيام النسىء.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۲۵

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۱۳]

السنة الرابعة من ولاية الملك الناصر محمد الثالثة على مصر، و هى سنة ثلاث عشرة و سبعمائة.

فيها توفّى القاضى عماد الدين أبو الحسن على ابن القاضى فخر الدين عبد العزيز ابن القاضى عماد الدين عبد الرحمن بن السّكّرىّ فى يوم الجمعة السادس و العشرين من صفر، و كان فاضلا فقيها، توجّه رسولا من قبل الملك الناصر إلى غازان، و ولى تدريس مشهد الحسين بالقاهرة و عدّة وظائف دينية، و ولى خطابة جامع الحاكم.

و توفى الأمير المسند علاء الدين أبو سعيد بيبرس التّركىّ العديمىّ الحنفىّ بحلب، و دفن بتربة ابن العديم، و قد قارب التسعين سنة. و

انفرد بالرواية قبل موته، و قصد من الأقطار و رحل إليه من حدّث بالكثير.

و توفى صاحب مرّاكش من بلاد الغرب الأمير سليمان بن عبد اللّه [بن يوسف] بن يعقوب المرينىّ، و ولى بعده عمّه أبو سعيد عثمان بن يعقوب و استوسق أمره.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۲۶

و توفّى الخان طقطاى بن منكوتمر بن طغاى بن باطو بن چنكزخان ملك التتار بالبلاد الشمالية بمكان يسمّى كرنا على مسافة من مدينة صراى عشرة أيام. و ذكره ابن كثير فى السنة الخالية، و الصحيح ما قلناه. و كانت مملكته ثلاثا و عشرين سنة، و مات و له ثلاثون سنة. و كان شهما شجاعا مقداما، و كان على دين التتار فى عبادة الأصنام و الكواكب، يعظّم الحكماء و الأطباء و الفلاسفة، و يعظّم المسلمين أكثر من الجميع، غير أنه لم يسلم؛ و كانت عساكره كثيرة جدّا؛ يقال إنه جرّد مرة من كلّ عشرة واحدا، فبلغت التجريدة مائة ألف و خمسين ألفا.

و كانت وفاته فى شهر رمضان، و مات و لم يخلّف ولدا، فجلس على تخت الملك من بعده أزبك خان بن طغرلجا بن منكوتمر بن طغاى [بن باطو] بن چنكزخان.

و كان الذى أعان أزبك خان على السلطنة شخص من أمرائهم من المسلمين يقال له قطلقتمر كان على تدبير ممالكهم.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان و سبع أصابع. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و سبع أصابع. و كان الوفاء قبل النّوروز بيوم واحد.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۲۷

*** [ما وقع من الحوادث سنة ۷۱۴]

السنة الخامسة من ولاية الملك الناصر محمد الثالثة على مصر، و هى سنة أربع عشرة و سبعمائة.

فيها توفّى الشيخ المعمّر بقيّة السّلف محمد بن محمود بن الحسين بن الحسن الموصلىّ المعروف بحيّاك اللّه. مات بزاويته بسويقة الرّيش خارج القاهرة فى يوم الخميس تاسع شهر ربيع الأوّل و دفن بالقرافة. و كان شيخا صالحا بلغ عمره نحوا من مائة سنة و ستين سنة، و كان حاضر الحسّ جيّد القوة، و كان يقصد للزيارة للتبرّك به، و كان كثير الذّكر و العبادة و له محاضرة حسنة و شعر. و من شعره من أوّل قصيدة:

إذا الحبّ لم يشغلك عن كلّ شاغل فما ظفرت كفاك منه بطائل

و توفّى القاضى شرف الدين يعقوب بن مجد الدين مظفّر بن شرف الدين أحمد ابن مزهر بحلب و هو ناظرها. كان يخدم عند الأكابر و تنقّل فى خدم كثيرة، حتى إنّه لم تبق مملكة بالشام إلّا باشرها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۲۸

و توفّى القاضى بهاء الدين علىّ بن أبى سوادة الحلبىّ صاحب ديوان الإنشاء بحلب، و بها كانت وفاته فى نصف شهر رجب. و كان من الصّدور الأماثل و عنده فضيلة. و له نظم و نثر. و من شعره:

جد لى بأيسر وصل منك يا أملى فالصبر قد عاد عنكم غير محتمل

مالى رميت بأمر لا أطيق له حملا و بدّلت بعد الأمن بالوجل

و توفّى القاضى فخر الدين سليمان بن عثمان ابن الشيخ الإمام صفىّ الدّين أبى القاسم محمد بن عثمان البصروىّ الحنفىّ محتسب دمشق بها فى ذى القعدة. و كان فاضلا طيّب العشرة.

و توفّى الأمير سيف الدين ملكتمر النّاصرىّ المعروف بالدّم الأسود. كان أمير ستين فارسا بدمشق. و كان من الظّلمة المسرفين على أنفسهم.

قلت: و لا بأس بهذا اللّقب الذى لقب به على هذه الصفات التى غير محمودة.

و توفّى الأمير فخر الدين آقجبا الظّاهرىّ أحد أمراء دمشق؛ و بها كانت وفاته.

و كان خيّرا ديّنا. رحمه اللّه تعالى.

و توفّى الأمير سيف الدين كهرداش بن عبد اللّه الزّرّاق، مات أيضا بدمشق.

و كان بها أمير خمسين فارسا. و كان سافر مع السلطان إلى الحجاز، فلمّا زار النبى صلّى اللّه عليه و سلّم تاب عن شرب الخمر، فلمّا عاد إلى دمشق شربه فضربه الفالج لوقته، و بطل نصفه و تعطّل إلى أن مات.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۲۹

و توفّى الأمير سيف الدين سودى بن عبد اللّه النّاصرىّ نائب حلب. و بها كانت وفاته فى نصف شهر رجب. و كان مشكور السّيرة فى ولايته محمود الطريقة.

و هو ممّن أنشأه الملك الناصر محمد من مماليكه، و تولّى حلب بعده الأمير علاء الدين ألطنبغا الحاجب.

و توفّى التاجر عزّ الدين عبد العزيز بن منصور الكولمى أحد تجّار الإسكندرية فى شهر رمضان. و كان أبوه يهوديّا من أهل حلب يعرف بالحموى، فأسلم و تعلّق ابنه هذا على المتجر و فتح اللّه عليه إلى أن قدم إلى مصر و معه بضاعة بأربعمائة ألف دينار.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و إحدى و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و سبع عشرة إصبعا. و كان الوفاء قبل النّوروز بأربعة أيام. و اللّه أعلم.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۱۵]

السنة السادسة من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر، و هى سنة خمس عشرة و سبعمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۳۰

فيها توفّى الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن الحسين بن عبد الرحمن الأرمنتىّ المعروف بابن الأسعد فى يوم الجمعة رابع عشرين شهر رمضان. و كان فقيها شافعيا و تولّى القضاء و حسنت سيرته.

و توفّى الشيخ الإمام العالم العلّامة جلال الدين إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل ابن برتق بن برغش بن هارون أبو طاهر القوصىّ الفقيه الحنفىّ، كان فقيها إماما بارعا، تصدّر بجامع أحمد بن طولون، و أقرأ الفقه و القراءات و العربية سنين، و انتفع به الناس و صنّف و حدّث و نظم و نثر. و من شعره و هو فى غاية الحسن:

أقول له و دمعى ليس يرقا ولى من عبرتى إحدى الوسائل

حرمت اللّطيف منك بفيض دمعى فطرفى فيك محروم و سائل

و له أيضا:

أقول و مدمعى قد حال بينى و بين أحبّتى يوم العتاب

رددتم سائل الأجفان نهرا تعثّر و هو يجرى فى الثّياب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۳۱

و توفى قاضى القضاة تقىّ الدين أبو الفضل سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن قدامة المقدسىّ الحنبلىّ بقاسيون فى عشر ذى القعدة و دفن بتربة جدّه شيخ الإسلام أبى عمر. و كان إماما عالما عاملا جمع بين العلم و العبادة، و سمع الحديث بنفسه و حدّث بمسموعاته.

و توفّى الشيخ الإمام العلّامة السيد ركن الدين حسن بن محمد بن شرف شاه الحسينىّ الأسترآبادىّ، كان إماما مصنفا عالما بالمعقول، اشتغل على النّصير الطّوسىّ و حصّل منه علوما كثيرة، و صار معيدا فى درس أصحابه، و قدم الموصل و ولى تدريس المدرسة النّورية، و بها صنّف غالب مصنّفاته، مثل: شرح مختصر ابن الحاجب.

و شرح مقدّمة ابن الحاجب فى النحو و هى التى تسمّى بالكافية، و عمل عليها ثلاثة شروح: كبير و متوسط و صغير. و شرح الحاوى فى الفقه. و شرح التصريف لابن الحاجب أيضا، و هو الذى يسمّى بالشافية، و شرح المطالع فى المنطق، و شرح كتاب قواعد العقائد؛ و عدّة تصانيف أخر، ذكرناها فى غير هذا الكتاب. و كانت وفاته بالموصل فى صفر.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۳۲

و توفّى الشيخ أصيل الدين الحسن ابن الإمام العلّامة نصير الدين محمد بن محمد ابن الحسن الطّوسى البغدادىّ. كان عالى الهمّة كبير القدر فى دولة قازان، و قدم إلى الشام و رجع معه إلى بلاده. و لما تولّى خربندا الملك و وزر تاج الدين على شاه قرّب أصيل الدين هذا إلى خربندا؛ حتى ولّاه نيابة السلطنة ببغداد. ثم عزل و صودر. و كان كريما رئيسا عارفا بعلم النجوم، لكنه لم يبلغ فيه رتبة أبيه نصير الدين الطّوسىّ، على أنه كان له نظر فى الأدبيات و الأشعار، و صنّف كتبا كثيرة.

و كان فيه خير و شرّ و عدل و جور. و مات ببغداد.

و توفّى الشيخ الصالح القدوة أبو الحسن علىّ ابن الشيخ الكبير علىّ الحريرىّ شيخ الفقراء الحريريّة. كان للناس فيه اعتقاد و له حرمة عند أرباب الدولة، و كان فيه تواضع و كرم، و كانت وفاته ببصرى من عمل دمشق فى السابع و العشرين من جمادى الأولى، و له اثنتان و سبعون سنة.

و توفّى الأمير بدر الدين موسى ابن الأمير سيف الدين أبى بكر محمد الأزكشىّ، كان من أكابر الأمراء و شجعانهم. مات بدمشق فى ثامن شعبان و دفن عند القبيبات، و كان شهما شجاعا. ظهر فى نوبة غزو مرج الصّفّر مع التّتار عن شجاعة عظيمة.

و توفّى الأمير حسام الدين قرالاچين بن عبد اللّه المنصورىّ الأستادار فى الثامن و العشرين من شعبان، و أنعم الملك الناصر بإقطاعه على الأمير آقوش الأشرفىّ نائب الكرك لمّا أفرج عنه، و الإقطاع إمرة مائة و عشرين فارسا.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و سبع عشرة إصبعا. و الوفاء تاسع عشرين مسرى. و اللّه أعلم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۳۳

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۱۶]

السنة السابعة من ولاية الملك الناصر الثالثة على مصر، و هى سنة ست عشرة و سبعمائة.

فيها حجّ بالناس من مصر الأمير بهادر الإبراهيمىّ، و أمير الرّكب الشامىّ أرغون السّلاحدار. و حجّ فى هذه السنة من أعيان أمراء مصر الأمير أرغون الناصرىّ نائب السلطنة بديار مصر، و عزّ الدين أيدمر الخطيرىّ، و عز الدين أيدمر أمير جاندار. و سيف الدين أركتمر السّلاحدار. و ناصر الدين محمد بن طرنطاى.

و فيها توفّى الشيخ الكاتب المجوّد نجم الدين موسى بن علىّ بن محمد الحلبىّ ثم الدّمشقىّ المعروف بابن بصيص (بضمّ الباء ثانية الحروف) شيخ الكتّاب بدمشق فى زمانه. و ابتدع صنائع بديعة، و كتب فى آخر عمره ختمة بالذهب عوضا عن الحبر. و كان مولده سنة إحدى و خمسين و ستمائة، و مات ليلة الثلاثاء عاشر ذى القعدة. و له شعر على طريق الصوفية، من ذلك:

و حقّك لو خيّرت فيما أريده من الخير فى الدنيا أو الحظّ فى الأخرى

لما اخترت إلّا حسن نظم يروقنى معانيه أبدى فيه أوصافك الكبرى

و توفّى الشيخ الإمام العلّامة صدر الدين أبو عبد اللّه محمد بن زين الدين عمر بن مكّى بن عبد الصمد العثمانى الشهير بابن المرحّل و بابن الوكيل، المصرىّ الأصل الشافعىّ الفقيه الأديب، كان فريد عصره و وحيد دهره، كان أعجوبة فى الذّكاء و الحفظ.

و مولده فى شوّال سنة خمس و ستين و ستمائة بدمياط و كان بارعا مدرسا مفتّا، درّس بدمشق و القاهرة و أفتى، و عمره اثنتان و عشرون سنة، و كان يشتغل فى الفقه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۳۴

و التفسير و الأصلين و النحو، و اشتغل فى آخر عمره فى الطبّ، و سمع الحديث الكتب الستة و مسند الإمام أحمد، و صنّف «الأشباه و النظائر» قبل أن يسبقه إليها أحد، و كان حسن الشكل حلو المجالسة و عنده كرم مفرط، و له الشّعر الرائق الفائق فى كلّ فنّ من ضروب الشّعر. و كانت وفاته فى رابع عشرين ذى الحجّة و دفن بالقرافة فى تربة الفخر ناظر الجيش. و هو أحد من قام على الملك الناصر و انضمّ على المظفّر بيبرس الجاشنكير. و قد تقدّم ذكر ذلك كلّه فى أوائل ترجمة الملك الناصر. و من شعره:

أقصى منای أن أمرّ على الحمى و يلوح نور رياضه فيفوح

حتّى أرى سحب الحمى كيف البكا و أعلّم الورقاء كيف تنوح

و له [دو بيت]:

كم قال: معاطفى حكتها الأسل و البيض سرقن ما حوته المقل

الآن أوامرى عليهم حكمت البيض تحدّ و القنا تعتقل

و له:

عيّرتنى بالسّقم طرفك مشبهى و كذاك خصرك مثل جسمى ناحلا

و أراك تشمت إذ أتيتك سائلا لا بدّ أن يأتى عذارك سائلا

قلت: و له ديوان موشّحات و أحسنهم موشحته التى عارض بها السّراج المجّار التى أوّلها:

ما أخجل قدّه غصون البان، بين الورق إلّا سلب المها مع الغزلان، سود الحدق

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۳۵

و قد ذكرناها بتمامها فى ترجمته فى تاريخنا «المنهل الصافى» و قطعة جيّدة من شعره.

و توفّى الشيخ الأديب البارع المفتنّ أعجوبة زمانه علاء الدين علىّ بن المظفّر بن إبراهيم [بن عمر] الكندى الوداعىّ المعروف بكاتب ابن وداعة الشاعر المشهور، أحد من اقتدى به الشيخ جمال الدين ابن نباتة فى ملح أشعاره. مولده سنة أربعين و ستمائة، و مات ببستانه فى سابع عشر شهر رجب بدمشق و دفن بالمزّة، و كان فاضلا أديبا شاعرا عالى الهمة فى تحصيل العلوم. سمع الحديث و كتب الخطّ المنسوب و نظم و نثر و تولى عدّة ولايات، و كتب بديوان الإنشاء بدمشق و تولّى مشيخة دار الحديث [النّفيسية] و جمع التذكرة الكنديّة تزيد على خمسين مجلّدا. و له ديوان شعر فى ثلاثة مجلّدات. و من شعره:

قال لى العاذل المفنّد فيها يوم زارت فسلّمت مختاله

قم بنا ندّع النبوّة فى العش ق فقد سلّمت علينا الغزاله

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج۹؛ ص۲۳۵

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۳۶

و له أيضا:

أثخنت عينها الجراح و لا إث م عليها لأنّها نعساء

زاد فى عشقها جنونى فقالوا ما بهذا فقلت بى سوداء

و له و هو أحسن ما قيل فى نوع التوجيه:

من زار بابك لم تبرح جوارحه تروى أحاديث ما أوليت من منن

فالعين عن قرّة و الكفّ عن صلة و القلب عن جابر و السمع عن حسن

و له أيضا:

قيل إن شئت أن تكون غنيّا فتزوّج و كن من المحصنينا

قلت ما يقطع الإله بحرّ لم يضع بين أظهر المسلمينا

و قد ذكرنا من مقطّعاته عدّة كثيرة فى «المنهل الصافى»، و لو لا خشية الملل لذكرناها هنا.

و توفّى الأمير جمال الدين آقوش بن عبد اللّه المنصورىّ المعروف بالأفرم الصغير نائب الشام ببلاد مراغة عند ملك التّتار. و قد تقدّم خروجه مع الأمير قراسنقر المنصورىّ من البلاد الشاميّة إلى غازان ملك التتار فى أوائل دولة الملك الناصر الثالثة فلا حاجة فى ذكرها هنا ثانيا. و كان ملك التتار أقطعه مراغة و قيل همذان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۳۷

فأقام بها سنتين، و مات بالفالج فى ثالث عشر المحرّم. و كان أميرا جليلا عارفا مدبّرا عالى الهمّة شجاعا مقداما. تقدّم من ذكره نبذة كبيرة فى ترجمة المظفّر بيبرس الجاشنكير. و كانت ولايته على دمشق إحدى عشرة سنة متوالية إلى أن عزله الملك الناصر لمّا خرج من الكرك.

و توفّى الأمير سيف الدين كستاى بن عبد اللّه نائب طرابلس بها. و تولّى نيابة طرابلس من بعده الأمير قرطاى نائب حمص. و ولى حمص بعد قرطاى المذكور أرقطاى الجمدار.

و توفّى الأمير سيف الدين طقتمر الدمشقىّ بالقاهرة بمرض السلّ. و كان من خواصّ الملك الناصر و أحد من أنشأه من مماليكه.

و توفّى الطواشى ظهير الدين مختار المنصورىّ المعروف بالبلبيسىّ الخازندار فى عاشر شعبان بدمشق. و كان شهما شجاعا ديّنا، فرّق جميع أمواله قبل موته على عتقائه و وقف أملاكه على تربته.

و توفّيت السيّدة المعمّرة أمّ محمد ستّ الوزراء المعروفة بالوزيرة ابنة الشيخ عمر ابن أسعد بن المنجّا التّنوخيّة فى ثامن عشر شعبان بدمشق، و مولدها سنة أربع و عشرين و ستمائة، روت صحيح البخارىّ عن [أبى عبد اللّه] بن الزّبيدىّ و صارت رحلة زمانها، و رحل إليها من الأقطار.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۳۸

و توفّى ملك التتار خربندا (بفتح الخاء المعجمة و سكون الراء و فتح الباء الموحدة و سكون النون) بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن تولو بن چنكزخان السلطان غياث الدين، و من الناس من يسمّيه خدابندا (بضم الخاء المعجمة و الدال المهملة) و الأصح ما قلناه. و خدابندا: معناه عبد اللّه بالفارسىّ، غير أن أباه لم يسمّه إلّا خربندا، و هو اسم مهمل معناه: عبد الحمار. و سبب تسميته بذلك أنّ أباه كان مهما ولد له ولد يموت صغيرا، فقال له بعض الأتراك: إذا جاءك ولد سمّه اسما قبيحا يعيش، فلما ولد له هذا سمّاه خربندا فى الظاهر و اسمه الأصلى أبحيتو؛ فلما كبر خربندا و ملك البلاد كره هذا الاسم و استقبحه فجعله خدابندا و مشى ذلك بمماليكه و هدّد من قال غيره و لم يفده ذلك إلا من حواشيه خاصّة. و لما ملك خربندا أسلم و تسمّى بمحمد، و اقتدى بالكتاب و السّنة و صار يحب أهل الدين و الصلاح، و ضرب على الدرهم و الدينار اسم الصحابة الأربعة الخلفاء، حتى اجتمع بالسيد تاج الدين الآوى الرافضىّ، و كان خبيث المذهب، فما زال بخربندا، حتى جعله رافضيّا و كتب إلى سائر ممالكه يأمرهم بالسبّ و الرّفض، و وقع له بسبب ذلك أمور. قال النّويرىّ:

كان خربندا قبل موته بسبعة أيام قد أمر بإشهار النداء ألّا يذكر أبو بكر و عمر رضى اللّه عنهما و عزم على تجريد ثلاثة آلاف فارس إلى المدينة النبوية لينقل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۳۹

أبا بكر و عمر رضى اللّه عنهما من مدفنهما، فعجّل اللّه بهلاكه إلى جهنّم و بئس المصير هو و من يعتقد معتقده كائنا من كان. و كان موته فى السابع و العشرين من شهر رمضان بمدينته التى أنشأها و سمّاها السلطانيّة فى أرض قنغرلان بالقرب من قزوين، و تسلطن بعده ولده بو سعيد فى الثالث عشر من شهر ربيع الأوّل من سنة سبع عشرة و سبعمائة، لأنه كان فى مدينة أخرى و أحضر منها و تسلطن.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و ست أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و اثنتان و عشرون إصبعا. و اللّه تعالى أعلم.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۱۷]

السنة الثامنة من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر، و هى سنة سبع عشرة و سبعمائة.

فيها توفّى قاضى القضاة جمال الدين أبو عبد اللّه محمد ابن الشيخ أبى الربيع سليمان بن سويد الزّواوىّ المالكى قاضى دمشق بها، فى التاسع من جمادى الأولى.

و كان فقيها عالما عالى الهمّة محدّثا بارعا مشكور السّيرة فى أحكامه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۴۰

و توفّى القاضى الرئيس شرف الدين أبو محمد عبد الوهاب بن جمال الدين فضل اللّه ابن المجلّى القرشىّ العدوى العمرىّ، كاتب السر الشريف بدمشق فى ثالث رمضان و دفن بسفح قاسيون. و مولده سنة ثلاث و عشرين و ستمائة، و كان إماما فى كتابة الإنشاء عارفا بتدبير الممالك مليح الخطّ غزير العقل و خدم عدة سلاطين، و كان كاملا فى فنّه لم يكن فى عصره من يدانيه و لا يقاربه. و من شعره ما كتبه للشهاب محمود فى صدر كتاب:

كتبت و القلب يدنينى إلى أمل من اللّقاء و يقصينى عن الدار

و الوجد يضرم فيما بين ذاك و ذا من الجوانح أجزاء من النار

و توفّى الأديب الفاضل شمس الدين أبو العبّاس أحمد بن أبى المحاسن يعقوب ابن إبراهيم بن أبى نصر الطّيبى الأسدىّ بطرابلس فى سادس رمضان. و مولده فى سنة تسع و أربعين و ستمائة. و كان كاتب الدّرج بطرابلس و كان فاضلا ناظما ناثرا.

و من شعره:

ما مسّنى الضّيم إلّا من أحبّائى فليتنى كنت قد صاحبت أعدائى

ظننتهم لى دواء الهمّ فانقلبوا داء يزيد بهم همّى و أدوائى

من كان يشكو من الأعداء جفوتهم فإنّنى أنا شاك من أودّائى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۴۱

و توفّى الأمير أرسلان الناصرىّ الدّوادار فى الثالث و العشرين من شهر رمضان، و كان هو و علاء الدين ابن عبد الظاهر صديقين فمرضا فى وقت واحد بعلّة واحدة و ماتا فى شهر واحد. و خلّف أرسلان جملة كثيرة من المال استكثرها الملك الناصر على مثله. و كان من جملة أمراء الطبلخاناه و استقرّ عوضه دوادارا الأمير ألجاى الدوادار الناصرىّ. و فى أرسلان هذا عمل علاء الدين ابن عبد الظاهر كتابه المسمّى «بمراتع الغزلان».

و توفّى الأمير سيف الدين قلّى السّلاح دار بالقاهرة. و كان من أعيان أمراء الديار المصرية، و أنعم السلطان بإقطاعه و منزلته [فى المجلس] على الأمير چنكلى ابن البابا.

و توفّى الأمير سيف الدين ألدكز بن عبد اللّه السّلاحدار صهر الأمير علم الدين سنجر الشّجاعىّ و مات فى الحبس.

و توفّى الأمير سيف الدين ألكتمر بن عبد اللّه صهر الأمير بكتمر الجوكندار أيضا فى الحبس حتف أنفه.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و إصبعان. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا سواء. و كان نيلا عظيما غرقت منه عدّة أماكن. و اللّه أعلم.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۱۸]

السنة التاسعة من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر، و هى سنة ثمانى عشرة و سبعمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۴۲

فيها توفّى قاضى القضاه زين الدين أبو الحسن علىّ ابن الشيخ رضىّ الدين أبى القاسم مخلوف ابن تاج الدين ناهض المالكى النّويرىّ فى يوم الأربعاء ثامن عشر جمادى الآخرة بمصر، و دفن بسفح المقطّم. و مولده فى سنة عشرين و ستمائة. و كان فقيها ديّنا خيّرا حسن الأخلاق. و ولى القضاء بديار مصر فى سنة خمس و ثمانين و ستمائة، فكانت مدّة ولايته ثلاثا و ثلاثين سنة تقريبا، و عرضت عليه الوزارة فى الدولة المنصورية لاچين فأباها خوفا من علم الدين [سنجر] الشّجاعىّ، و تولّى بعده القضاء نائبه تقىّ الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى [بن بدران بن رحمة الإخنائى المالكىّ].

و توفّى الشيخ الإمام الزاهد بقيّة السّلف. أبو بكر ابن الشيخ المسند المعمّر زين الدين أبى العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد ابن أبى بكر المقدسىّ الحنبلىّ. سمع الكثير و حدّث. و كان شيخا كثير التّلاوة و الصلاة على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم، و حدّث فى حياة والده. و مولده سنة ست و عشرين و ستمائة؛ و قيل سنة خمس و عشرين. و مات ليلة الجمعة التاسع و العشرين من رمضان.

و توفّى الأمير علاء الدين أقطوان الساقى الظاهرى فى عاشر شهر رمضان بدمشق، و قد جاوز الثمانين سنة. و كان رجلا صالحا مواظب الجماعات، و يقوم اللّيل.

و توفّى الامير عز الدين طقطاى الناصرىّ، كان نائب الكرك فتمرّض فعزل عن الكرك، و توجّه إلى دمشق ليتداوى بها فمات فى رابع عشر شعبان.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۴۳

و توفّى الأمير سيف الدين منكبرس نائب عجلون. كان من قدماء المماليك المنصوريّة، و كان معظّما فى الدول و له حرمة وافرة.

و توفى الشيخ كمال الدين [أبو العبّاس] أحمد ابن [الشيخ جمال الدين] أبى بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن سجمان البكرىّ الوائلىّ الشّريشىّ الفقيه الشافعى، مات بطريق الحجاز، و كان فقيها عالما فاضلا.

و توفّى الشيخ جمال الدين أبو بكر إبراهيم [بن حيدرة بن علىّ بن عقيل] الفقيه الشافعى المعروف بابن القمّاح فى سابع عشر ذى الحجّة. و كان معدودا من فضلاء الشافعيّة.

و توفى الشيخ المقرئ مجد الدين أبو بكر ابن الشيخ شمس الدين محمد بن قاسم التّونسىّ المقرئ النحوىّ المالكىّ فى ذى القعدة بدمشق. و كان من فضلاء المالكية.

و توفى الأمير سيف الدين و قيل شمس الدين سنقر بن عبد اللّه الكمالى الحاجب فى حبس الملك الناصر بقلعة الجبل فى شهر ربيع

الآخر. و كان أوّلا معتقلا بالكرك فأحضر هو و الأمير كراى إلى القاهرة فحبسا بقلعة الجبل إلى أن مات بها. و كان من عظماء الدولة و من أكابر الأمراء، و تولّى الحجوبيّة بالديار المصرية فى عدّة دول.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۴۴

و كان أحد الأعيان بالديار المصريّة إلى أن قبض عليه الملك الناصر و حبسه فى سلطنته الثالثة.

و توفّى الأمير سيف الدين بهادر الشّمسىّ بقلعة دمشق، و كان أحد من قبض عليه الملك الناصر و حبسه. و كان مشهورا بالشجاعة و الإقدام.

و توفّى الأمير سيف الدين منكوتمر الطّبّاخى، و الأمير سيف الدين أركتمر كلاهما بالجبّ من قلعة الجبل.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان و نصف. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و سبع عشرة إصبعا. و كان الوفاء بعد النّوروز بأيّام.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۱۹]

السنة العاشرة من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر، و هى سنة تسع عشرة و سبعمائة.

فيها توفّى الشيخ الصالح المعتقد أبو الفتح نصر بن سليمان بن عمر المنبجىّ لحنفىّ بزاويته بالقاهرة فى جمادى الآخرة، و دفن بجوار الزاوية. و مولده سنة ثمان و ثلاثين و ستمائة، و كان عالما زاهدا متقشفا، سمع الحديث و برع فى الفقه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۴۵

و التصوّف، و أقبل عليه ملوك عصره. ذكر ابن أخيه الشيخ قطب الدين قال:

سألنى الشيخ يوما هل قرب وقت العصر؟ فقلت: لا، و بقى يسألنى عن ذلك ساعة فساعة و هو مسرور مستبشر بوقت العصر، فلما دخل وقت العصر مات.

رحمه اللّه.

و توفّى الشيخ الإمام العالم شهاب الدين أبو عبد اللّه الحسين بن سليمان بن فزارة الكفرى (بفتح الكاف) البصروىّ الحنفى فى ثالث عشر جمادى الأولى و دفن بقاسيون، و كان فقيها محدّثا ناب فى الحكم، و حمدت سيرته، و سمع الكثير و برع فى الفقه و غيره.

و توفّى الأمير سيف الدين كراى المنصورىّ معتقلا بقلعة الجبل، و كان من أكابر مماليك المنصور قلاوون، و ولى نيابة القدس، ثمّ ولّاه الملك الناصر محمد فى سلطنته هذه الثالثة نيابة الشام بعد قراسنقر، ثم قبض عليه و حبسه بالكرك مدّة، ثمّ نقله إلى القاهرة و حبسه بقلعة الجبل إلى أن مات فى هذا التاريخ.

و توفّى الأمير سيف الدين إغزلو العادلى بدمشق، و كان من أكابر أمرائها، و كان ولى نيابة دمشق فى أواخر دولة أستاذه الملك العادل زين الدين كتبغا فعزله الملك المنصور حسام الدين لاچين عن نيابة دمشق، ثم صار بعد ذلك من أمراء دمشق إلى أن مات. و كانت ولايته على نيابة دمشق نحوا من ثلاثة أشهر، و كان موصوفا بالشجاعة و الإقدام.

و توفّى الأمير سيف الدين قيران الشمسىّ بدمشق و دفن بقاسيون بتربة ابن مصعب، و كان من جملة أمراء دمشق، و كان ديّنا خيّرا عفيفا مع كرم و شجاعة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۴۶

و توفّى الأمير علاء الدين طيبرس بن عبد اللّه الخازندارىّ نقيب الجيوش المنصورة و أحد أمراء الطبلخاناه فى العشرين من شهر ربيع الآخر، و دفن بقبّته التى أنشأها بمدرسته على باب جامع الأزهر. و استقرّ عوضه فى نقابة الجيش الأمير شهاب الدين أحمد بن آقوش

العزيزى المهمندار. و طيبرس هذا هو الذى كان أنشأ الجامع و الخانقاه على النيل، و عرف ذلك المكان بالطّيبرسىّ، و قد تهدّم الجامع و الخانقاه، و نقل صوفيّتها إلى مدرسته التى أنشأها على باب الجامع الأزهر على يمنة الداخل إلى الجامع. و كان من أجلّ الأمراء و أقدمهم، و طالت أيامه فى وظيفته، أقام فيها أربعا و عشرين سنة، لم يقبل لأحد هديّة، و إنما كان شأنه عمارة إقطاعه و الزراعة، و من ذلك نالته السعادة و عمّر الأملاك. و كان دينا خيّرا بخلاف آقبغا عبد الواحد الذى عمّر مدرسته أيضا على باب الجامع الأزهر فى مقابلة طيبرس هذا.

و توفّى الشيخ بدر الدين أبو عبد اللّه محمد بن منصور بن إبراهيم بن منصور بن رشيد الربعى الحلبىّ الشافعىّ المعروف بابن الجوهرىّ. ولد بحلب فى ثالث عشر صفر سنة اثنتين و خمسين و ستمائة، و كان فاضلا ديّنا أثنى عليه الحافظ البرزالىّ فى معجمه.

و كانت وفاته فى يوم السبت سابع عشر جمادى الآخرة من السنة. رحمه اللّه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۴۷

و توفّى الأمير سيف الدين أركتمر بن عبد اللّه السّليمانى الجمدار فجأة. و كان من أعيان الأمراء و أماثلهم.

و توفّى القاضى فخر الدين أبو عمرو عثمان بن علىّ [بن يحيى بن هبة اللّه بن إبراهيم ابن المسلم] الأنصارىّ الشافعىّ المعروف بابن بنت أبى سعد فى جمادى الآخرة من السنة.

و توفّى بدمشق الأمير شهاب الدين أحمد بن محمد ابن الملك الأمجد [مجد الدين] حسن ابن الملك الناصر داود ابن الملك المعظّم عيسى ابن الملك العادل أبى بكر بن أيّوب أحد أمراء دمشق فى شهر رجب.

و توفى الملك المعظّم شرف الدين عيسى ابن الملك الزاهر مجير الدين داود ابن الملك المجاهد أسد الدين شير كوه ابن الملك القاهر ناصر الدين محمد ابن الملك المنصور أسد الدين شير كوه الكبير ابن شادى أحد أمراء دمشق بالقاهرة فى ثانى ذى القعدة.

كان قدمها فى طلب الإمرة فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه بدمشق، فأدركته المنيّة قبل عوده إلى وطنه.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم لم يحرّر. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و إحدى عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۲۰]

السنة الحادية عشرة من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر، و هى سنة عشرين و سبعمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۴۸

فيها توفّى قاضى القضاة كمال الدين أبو حفص عمر ابن قاضى القضاة عزّ الدين أبى البركات عبد العزيز ابن الصاحب محيى الدين أبى عبد اللّه محمد ابن قاضى القضاة نجم الدين أبى الحسن أحمد ابن قاضى القضاة جمال الدين أبى الفضل هبة اللّه ابن قاضى القضاة مجد الدين أبى غانم محمد بن هبة اللّه بن أحمد بن يحيى بن أبى جرادة العقيلى الحلبىّ الحنفىّ الشهير بابن العديم قاضى قضاة حلب و غيرها. كان فقيها عالما مشكور السّيرة. و كمال الدين هذا غير ابن العديم المتقدّم صاحب «تاريخ حلب» و غيرها من التصانيف و قد مرّ ذكره.

و توفّى الشيخ الإمام العلّامة النحوىّ اللغوىّ شمس الدين محمد بن حسن بن سباع ابن أبى بكر الجذامىّ المصرىّ الأصل الدّمشقىّ المولد المعروف بابن الصائغ. مات بدمشق فى ثالث شعبان. و مولده سنة خمس و أربعين و ستمائة بدمشق. كان أديبا فاضلا فى فنّ الأدب، و له النظم و النثر و معرفة بالعروض و القوافى و البديع و اللّغة و النحو و شرح «مقصورة ابن دريد» فى مجلدين. و اختصر «صحاح الجوهرى» و جرّده من الشواهد، و صنّف قصيدة عدّتها ألفا بيت، فيها العلوم و الصنائع، و له «مقامات» و أشياء كثيرة. و من شعره من قصيدة أوّلها:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۴۹

لى نحو ربعك دائما يا جلّق شوق أكاد به جوى أتمزّق

و همول دمع من جوى بأضالعى ذا مغرق طرفى و هذا محرق

أشتاق منك منازلا لم أنسها إنّى و قلبى فى ربوعك موثق

و منها:

و الريح يكتب فى الجداول أسطرا خطّ له نسج النّسيم محقّق

و الطير يقرأ و النسيم مردّد و الغصن يرقص و الغدير يصفق

و توفّى الأديب شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الدائم بن يوسف بن قاسم الكنانىّ الشّارمساحىّ الشاعر المطبوع صاحب النوادر الظّريفة المضحكة. و العامّة يسمونه الشّارمساحىّ. و كان شاعرا مطبوعا، غير أنه كان مغرى بالهجاء و ثلب الأعراض، و كان يحضره الملك الناصر مجلسه فى بعض الأحيان. و مات بالقاهرة.

و من شعره من آخر قصيدة:

لا آخذ اللّه عينيه فقد نشطت إلى تلافى و فيها غاية الكسل

و قد مرّ من هجوه فى ابن المرحّل و ابن عدلان فى أوّل ترجمة الناصر فى سلطنته الثالثة.

و كان عارفا بعلوم.

و توفّى الشيخ إسماعيل [بن سعيد] الكردىّ قتيلا على الزّندقة فى يوم الاثنين ثانى عشرين صفر. و كان عارفا بعلوم كثيرة، حتّى إنّه كان يحفظ من التوراة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۵۰

و الإنجيل، غير أنّه حفظت عنه عظائم فى حقّ الأنبياء عليهم السلام، و مع ذلك كان يتجاهر بالمعاصى فاجتمع القضاة بسببه غير مرّة، حتى أفتى بعضهم بضرب عنقه، فضربت عنقه بين القصرين.

و توفّى الشيخ المعمّر الفقيه زين الدين أبو القاسم محمد بن علم الدين محمد بن الحسين ابن عتيق بن رشيق الإسكندرى المالكىّ بمصر فى المحرّم. و كان ولى قضاء الإسكندرية مدّة طويلة. و كان له نظم.

و توفّى قتيلا سيف الدين آقجبا مملوك الأمير ركن الدين بيبرس التّاجى بدمشق فى خامس عشرين شهر ربيع الأوّل. و كان عنده فضيلة، إلّا أنّه لم يقنع بذلك، حتى ادّعى النبوّة و شاع عنه ذلك حتّى قتل.

و توفّى السلطان الغالب بالله أبو الوليد إسماعيل بن الفرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر صاحب غرناطة و الأندلس من بلاد المغرب فى ذى القعدة و أقيم بعده ابنه أبو عبد اللّه محمد. و كان من أجلّ ملوك المغرب. و كان مولده سنة ثمانين و ستمائة. و استولى على الأندلس ثلاث عشرة سنة، و ملك البلاد فى حياة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۵۱

أبيه الفرج، و كان أبوه متولّيا إذ ذاك لمالقة، فلمّا أراد إسماعيل هذا الخروج لامه أبوه، فقبض إسماعيل على أبيه، و عاش أبوه فى سلطنته بعد ذلك عزيزا مبجّلا إلى أن مات فى ربيع الأوّل سنة عشرين و سبعمائة. و قد شاخ، ثم قتل ابنه صاحب الترجمة و قتل قاتله. رحمه اللّه.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و أصابع. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و اثنتان و عشرون إصبعا. و هبط النيل بسرعة فشرقت الأراضى.

و اللّه تعالى أعلم.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۲۱]

السنة الثانية عشرة من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر، و هى سنة إحدى و عشرين و سبعمائة.

فيها توفّى الشيخ الإمام المقرئ عفيف الدين عبد اللّه بن عبد الحقّ بن عبد اللّه ابن عبد الأحد القرشىّ المخزومىّ الدّلاصىّ المصرىّ. مات بمكة المشرّفة فى رابع عشر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۵۲

المحرّم، و مولده فى شهر رجب سنة ثلاثين و ستمائة، و كان إماما مقرئا زاهدا أقام أكثر من ستين سنة يقرئ القرآن تجاه الكعبة.

و توفى الشيخ شمس الدين محمد بن علىّ بن عمر المازنىّ الأديب المعروف بالدهّان بدمشق. و كان شاعرا مجيدا يعرف الأنغام و الموسيقى و صناعة الدّهان، و كان يعمل الشعر و يلحّنه موسيقى و يغنّى به فيكون من شعره و صناعته. و من شعره موشّحة أوّلها:

بأبى غصن بانة حملا بدر دجى بالجمال قد كملا، أهيف

فريد حسن ما ماس أو سفرا

إلا أغار القضيب و القمرا

يبدى لنا بابتسامه دررا

فى شهد لذّ طعمه و حلا كأنّ أنفاسه نسيم طلا، قرقف

و توفّى الطواشى صفىّ الدين جوهر مقدّم المماليك السلطانية. كان رجلا صالحا ديّنا خيّرا و له حرمة و صولة عظيمة على المماليك و غيرهم. ولى التّقدمة فى أيام المظفر بيبرس الجاشنكير، فلمّا عاد الملك الناصر إلى ملكه عزله بصواب الرّكنى، و استمر بطّالا إلى أن مات.

و توفى الشيخ حميد الدين أبو الثناء محمود بن محمد بن محمود بن نصر النّيسابورىّ شيخ الخانقاه الرّكنية ببيرس فى تاسع عشر جمادى الآخرة. و مولده سنة خمس و أربعين و ستمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۵۳

و توفّى الملك المؤيّد هزبر الدّين داود ابن الملك المظفّر يوسف بن عمر بن رسول التّركمانىّ الأصل اليمنىّ المولد و المنشأ و الوفاة صاحب ممالك اليمن، تسلطن بعد أخيه فى المحرّم سنة ست و تسعين و ستمائة فملك نيّفا و عشرين سنة، و كان قبل سلطنته تفقّه و حفظ كفاية المتحفّظ [و نهاية المتلفّظ فى اللغة] و مقدّمة ابن بابشاذ.

و بحث التنبيه و طالع و فضل و سمع الحديث، و جمع الكتب النفيسة فى سلطنته، حتى قيل إنّ خزانة كتبه اشتملت على مائة ألف مجلّد. و كان مشكور السّيرة محبّا لأهل الخير. و لمّا أنشأ قصره بظاهر زبيد قال فيه الأديب تاج الدين عبد الباقى اليمنى أبياتا، منها:

أنسى بإيوانه كسرى فلا خبر من بعد ذلك عن كسرى لإيوان

و فى الملك المؤيد يقول أيضا عبد الباقى المذكور و قد ركب المؤيّد فيلا:

اللّه ولّاك يا داود مكرمة و رتبة ما أتاها قبل سلطان

ركبت فيلا و ظل الفيل ذا رهج مستبشرا و هو بالسلطان فرحان

لك الإله أذلّ الوحش أجمعه هل أنت داود فيه أم سليمان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۵۴

و كانت وفاته فى ذى الحجّة، و تولى بعده ابنه الملك المجاهد علىّ، و اضطربت ممالك اليمن بعد موته. و تولّى عدّة سلاطين يأتى

ذكر كلّ واحد منهم فى محلّه إن شاء اللّه تعالى.

و توفّى مجد الدين أحمد بن معين الدين أبى بكر الهمدانىّ المالكى خطيب الفيّوم، و كان يضرب به المثل فى المكارم و السؤدد و كان فصيحا خطيبا بليغا.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و ستّ أصابع.

مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و خمس أصابع. و كان الوفاء ثانى أيام النسىء.

و اللّه أعلم.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۲۲]

السنة الثالثة عشرة من ولاية الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر، و هى سنة اثنتين و عشرين و سبعمائة.

فيها توفّى قاضى القضاة شمس الدين محمد ابن الشيخ أبى البركات محمد ابن الشيخ أبى العزّ بن صالح بن أبى العزّ بن وهيب بن عطاء الأذرعىّ الحنفىّ بدمشق فى سابع المحرّم عقيب قدومه من الحجاز. و مولده سنة ثلاث و ستين و ستمائة. و كان إماما فاضلا فقيها بصيرا بالأحكام، حكم بدمشق نحو عشرين سنة، و خطب بجامع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۵۵

الأفرم مدّة، و درّس بالظاهرية و النّجيبيّة و المعظّميّة، و أفتى و انتفع به غالب طلبة دمشق.

و توفّى الشيخ الإمام العالم الزاهد الفقيه المفتى الحافظ المسند المعمّر بقيّة السّلف رضىّ الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبى بكر بن محمد بن إبراهيم ابن الطّبرىّ الكىّ الشافعىّ إمام المقام بالحرم الشريف، أمّ به أكثر من خمسين سنة. و كان فقيها صالحا عابدا. و مولده بمكّة فى سنة ست و ثلاثين و ستمائة.

و مات فى شهر ربيع الأوّل.

و توفّى الشيخ الإمام الفقيه الصوفىّ علاء الدين أبو الحسن علىّ [بن الحسن] ابن محمد الهروىّ الحنفىّ. كان فقيها فاضلا و سلك طريق التصوّف، و طاف البلاد و أقام بحلب مدّة و تصدّى للإفتاء و التدريس سنين. و من إنشاده رحمه اللّه:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۵۶

كم حسرات فى الحشى من ولد قد انتشا

كنّا نشاء رشده فما نشا كما نشا

و توفّى الأديب الشاعر جمال الدين أبو الفتح محمد بن يحيى بن محمد الأموىّ المصرىّ الشاعر المشهور. و كانت لديه فضيلة، و كان رحّالا طاف البلاد، ثم رجع إلى العراق فمات به. و من شعره:

وافى الربيع ولى سبع ألازمها لزوم مرء له فى الدهر تجريب

ملك و مال و مملوك و مطربة مع المدام و محبوب و مركوب

و توفّى الأديب الشاعر أبو على الحسن بن محمود بن عبد الكبير اليمانى العدنىّ.

كان فاضلا ناظما ناثرا، و له ديوان شعر مشهور باليمن و غيره. و من شعره:

برق تألّق من تلقاء كاظمة ما باله خطف الأبصار فى إضم

قد خطّ منه على آفاقها خطط كأنهنّ ولوع البيض فى اللّمم

و توفّى الشيخ حسن العجمى الجواليقى القلندرى بدمشق، و كان أوّلا يسكن بالقاهرة، و عمّر له بها زاوية خارج باب النصر، و هى إلى

الآن تعرف بزاوية القلندرية، ثم سافر إلى دمشق فمات بها. قال الشيخ عماد الدين إسماعيل بن كثير فى تاريخه: و كان قريبا من خواطر الملوك، لا سيما أهل بيت الملك المنصور قلاوون. و كان كثيرا ما ينشد أبياتا أوّلها:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۵۷

سلام على ربع به نعم البال و عيش مضى ما فيه قيل و لا قال

لقد كان طيب العيش فيه مجرّدا من الهم و القوم اللوائم غفّال

و توفّى الأمير عزّ الدين أيدمر بن عبد اللّه الساقى المعروف بوجه الخشب بدمشق. و كان من أعيان الأمراء، و فيه شجاعة و إقدام، و هو أحد من أخرجه الملك الناصر من مصر.

و توفّى القاضى قطب الدين محمد بن عبد الصمد [بن عبد القادر] السّنباطىّ الشافعى، خليفة الحكم و وكيل بيت المال فى ذى الحجّة. و كان معدودا من الفقهاء و له وجاهة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۵۸

و توفّيت المسندة المعمّرة أمّ محمد زينب بنت أحمد بن عمر بن أبى بكر بن شكر فى ذى الحجّة بالقدس عن أربع و تسعين سنة. و كانت رحلة زمانها، رحل إليها من الأقطار و صارت مسندة عصرها.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و إصبعان. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و إحدى و عشرون إصبعا. و كان الوفاء أوّل أيام النسىء.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۲۳]

السنة الرابعة عشرة من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر، و هى سنة ثلاث و عشرين و سبعمائة.

فيها توفّى قاضى القضاة نجم الدين أبو العبّاس أحمد ابن عماد الدين محمد ابن أمين الدين سالم ابن الحافظ المحدّث بهاء الدين الحسن بن هبة اللّه بن محفوظ بن صصرى الثّعلبى الدّمشقىّ الشافعىّ فى سادس عشر شهر ربيع الأوّل بدمشق، و دفن بتربتهم بالقرب من الرّكتيّة: و مولده سنة خمس و خمسين و ستمائة. و كان إماما عالما بارعا مدرّسا مفتيا كاتبا مجوّدا، ولى عدّة تداريس، و باشر قضاء الشام استقلالا فى سنة اثنتين و سبعمائة مع عدّة تداريس. و كان له نظم و نثر و خطب.

و من شعره رحمه اللّه:

و مهفف بالوصل جاد تكرّما فأعاد ليل الهجر صبحا أبلجا

ما زلت ألثم ما حواه لثامه حتى أعدت الورد فيه بنفسجا

و توفّى الشيخ الأديب الفاضل صلاح الدين صالح بن أحمد بن عثمان البعلبكىّ الشاعر المشهور بالقوّاس. كان رجلا خيّرا صحب الفقراء و سافر البلاد، و كان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۵۹

أصله من مدينة خلاط، و كان يدخل الزوايا و يتواجد فى سماعات الفقراء، و له شعر كثير، من ذلك ما قاله فى ناعورة حماة:

و ناعورة رقّت لعظم خطيئتى و قد لمحت شخصى من المنزل القاضى

بكت رحمة لى ثم ناحت لشجوها و يكفيك أن الخشب تبكى على العاصى

و هو صاحب القصيدة ذات الأوزان التى أوّلها:

داء ثوى بفؤاد شفّه سقم لمحنتى من دواعى الهمّ و الكمد

و توفّى الشيخ الأديب الفاضل العدل شهاب الدين محمد بن محمد بن محمود ابن مكّى المعروف بابن دمرداش الدّمشقىّ، و بها مات و دفن بقاسيون. و مولده سنة ثمان و ثلاثين و ستمائة، و كان شاعرا مجيدا، و كان فى شبابه جنديّا، فلمّا شاخ ترك ذلك و صار شاهدا. و شعره سلك فيه مسلك مجير الدين بن تميم، لأنّه صحبه و أقام معه بحماة مدّة عشرين سنة. و من شعره:

أقول لمسواك الحبيب لكى الهنا بلثم فم ما ناله ثغر عاشق

فقال و فى أحشائه حرق الجوى مقالة صبّ للديار مفارق

تذكّرت أوطانى فقلبى كما ترى أعلّله بين العذيب و بارق

قلت: و مثل هذا قول القائل:

هنّئت يا عود الأراك بثغره إذ أنت فى الأوطان غير مفارق

إن كنت فارقت العذيب و بارقا هأنت ما بين العذيب و بارق

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۶۰

و مثله لابن قرناص:

سألتك يا عود الأراكة أن تعد إلى ثغر من أهوى فقبّله مشفقا

ورد من ثنيّات العذيب منيهلا يسلسل ما بين الأبيرق و النّقا

و قد ذكرنا مثل هذا عدّة كثيرة فى كتابنا «حلية الصفات فى الأسماء و الصناعات».

و توفى الشيخ الإمام العالم العلّامة الحافظ المؤرّخ الأخبارى الأديب كمال الدين عبد الرزّاق بن أحمد بن محمد بن أحمد المعروف بابن الفوطىّ صاحب التصانيف المفيدة، من جملتها: تاريخ كبير جدّا، و آخر دونه و سمّاه بمجمع الآداب فى معجم الأسماء على معجم الألقاب فى خمسين مجلّدا. و التاريخ الكبير على الحوادث من آدم إلى خراب بغداد و غير ذلك. و له شعر كثير و مجموع أدبيات سمّاه الدّرر الناصعة فى شعر المائة السابعة و صنف كتاب درر الاصداف فى غرر الأوصاف مرتّب على وضع الوجود من المبدأ إلى المعاد، يكوّن عشرين مجلّدا. و كتاب «تلقيح الأفهام فى المختلف و المؤتلف» مجدولا. و كان له يد طولى فى ترصيع التراجم، و ذهن سيّال و قلم سريع و خطّ بديع إلى الغاية. قيل: إنّه كتب من ذلك الخطّ الفائق الرائق أربع كراريس فى يوم، و كتب و هو نائم على ظهره. و كان له نظر فى فنون الحكمة كالمنطق و غيره.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۶۱

و توفّى الملك المجاهد سيف الدين أنص ابن السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصورىّ؛ بعد ما كفّ بصره من سهم أصابه، و كانت وفاته فى المحرّم.

و توفّى الأمير طيدمر سيف الدين الجمدار أحد أعيان الأمراء.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و ست عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و ست أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۲۴]

السنة الخامسة عشرة من ولاية الملك الناصر محمد بن وون الثالثة على مصر، و هى سنة أربع و عشرين و سبعمائة.

فيها توفّى الشيخ الصالح المعتقد أيوب المسعودىّ بزاوية الشيخ أبى السعود بالقرافة، و قد قارب المائة سنة، و ضعف فى آخر عمره، فكان يحمل إلى حضور الجمعة، و كان يذكر أنّه رأى الشيخ أبا السعود.

و توفّى الشيخ الإمام العالم الزاهد الحافظ المحدث علاء الدين أبو الحسن علىّ بن إبراهيم بن داود بن سليمان الدّمشقىّ الشافعىّ الشهير بابن العطّار. كان فقيها محدّثا، و كانوا يسمونه مختصر النووى، و درّس و أفتى سنين و انتفع به الناس.

و توفّى الأمير شمس الدين محمد بن عيسى بن مهنّا أمير العرب و ملك آل فضل، و كان حسن الهيئة عاقلا حازما عارفا بالأمور. مات بسلمية.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۶۲

و توفّى الشيخ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن ظافر فى جمادى الآخرة. و كان فقيها شافعيّا معدودا من أعيان الشافعيّة.

و توفّى الشيخ تقىّ الدين محمد بن عبد الرحيم بن [عمر] الباجربقىّ النحوىّ الشافعىّ فى شهر ربيع الآخر و اتّهم بالزندقة فى تصانيفه و وقع له بسبب ذلك أمور، و هو صاحب «الملحمة الباجربقيّة، و له غيرها عدّة تصانيف أخر.

و توفّى الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير بدر الدين بكتاش الفخرىّ أمير سلاح فى جمادى الآخرة، و كان ناصر الدين هذا من جملة مقدّمى الألوف بالديار المصريّة، و كان معظّما فى الدولة موصوفا من الشّجعان.

و توفّى الأمير الطّواشى زين الدين عنبر الأكبر زمام الدور السلطانيّة فى جمادى الأولى و كان من أعيان الخدّام و أماثلهم.

و توفّى الشيخ المعتقد الصالح محمود الحيدرى العجمىّ خارج القاهرة، و كان من محاسن أبناء جنسه.

و توفّى خطيب جامع عمرو بن العاص الشيخ نور الدين أبو الحسن علىّ بن محمد ابن حسن بن علىّ القسطلانىّ فى شهر ربيع الآخر، و كان ديّنا خيّرا.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و تسع عشرة إصبعا. و اللّه تعالى أعلم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۶۳

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۲۵]

السنة السادسة عشرة من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر، و هى سنة خمس و عشرين و سبعمائة.

فيها توفّى الأمير ركن الدين بيبرس بن عبد اللّه المنصورىّ الدّوادار صاحب التاريخ فى ليلة الخميس خامس عشرين شهر رمضان. كان أصله من مماليك الملك المنصور قلاوون، أنشأه و رقّاه إلى أن ولّاه نيابة الكرك إلى أن عزله الملك الأشرف خليل بالأمير آقوش الأشرفىّ نائب الكرك، ثم صار بعد ذلك دوادارا و ناظر الأحباس مدّة طويلة، ثم ولى نيابة السلطنة فى أيام الملك الناصر محمد الثالثة فدام مدّة، ثم قبض عليه الملك الناصر و حبسه إلى أن مات. و قيل أطلقه بعد حبسه بمدّة. و كان أميرا عاقلا فاضلا معظّما فى الدول، و كان إذا دخل على الملك الناصر يقوم له إجلالا.

و كان له أوقاف على وجوه البرّ، و هو صاحب المدرسة الدّوادارية بخط سويقة العزّى خارج القاهرة. و له تاريخ «زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة» فى أحد عشر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۶۴

مجلدا، أعانه على تأليفه كاتبه ابن كبر النصرانى. و كان يجلس عند السلطان رأس الميمنة عوضه.

قلت: كانت قاعدة قديم، أنه من كان قديم هجرة من الأمراء يجلس فوق الجميع، و لم يكن يوم ذاك أمير كبير أتابك العساكر كما هى عادة أيامنا هذه، و إنما استجدّت هذه الوظيفة فى أيام السلطان حسن، و أوّل من وليها بخلعة الأمير شيخون، و صارت من يومئذ وظيفة إلى يومنا هذا.

و توفّى أمير المدينة النبوية الشريف منصور بن جمّاز بن شيحة الحسينىّ فى حرب كان بينه و بين حديثة ابن أخيه فقتله حديثة

المذكور فى رابع عشرين شهر رمضان، فكانت مدّة ولايته على المدينة ثلاثا و عشرين سنة و أيّاما، و استقرّ عوضه فى إمرة المدينة ابنه كبيش بن منصور.

و توفّى الإمام العلّامة البليغ الكاتب المنشئ الأديب شهاب الدين أبو الثّناء محمود بن سليمان بن فهد الحلبىّ ثم الدّمشقىّ الحنبلىّ صاحب ديوان الإنشاء بدمشق فى ليلة السبت ثانى عشرين شعبان سنة خمس و عشرين و سبعمائة. و مولده سنة أربع و أربعين و ستمائة، و نشأ بدمشق و سمع الحديث و كتب المنسوب، و نسخ الكثير و تفقّه على أبى المنجا و غيره، و تأدّب بابن مالك و لازم مجد الدين بن الظّهير و حذا حذوه و سلك طريقه فى النظم و الكتابة. و ولى كتابة سرّ دمشق بعد موت

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۶۵

القاضى شرف الدين عبد الوهاب بن فضل اللّه العمرىّ إلى أن مات. و فيه يقول الأديب البليغ ألطنبغا الجاولى:

قال النّحاة بأنّ الاسم عندهم غير المسمّى و هذا القول مردود

الاسم عين المسمّى و الدليل على ما قلت أنّ شهاب الدين محمود

و من شعر شهاب الدين المذكور:

رأتنى و قد نال منى النّحول و فاضت دموعى على الخدّ فيضا

فقالت بعينى هذا السّقام فقلت صدقت و بالخصر أيضا

قلت: و قد مرّ من ذكر الشهاب محمود هذا و شعره قطعة كبيرة فى فتوحات الملك المنصور قلاوون و غيره.

و توفّى الخطيب جمال الدين محمد بن تقىّ الدين محمد بن الحسن بن علىّ بن أحمد بن علىّ ابن محمد القسطلانىّ فى ليلة السبت مستهلّ شهر ربيع الأول. كان يخطب بجامع القلعة و يصلّى بالسلطان الجمعة، و استمرّ على ذلك سنين. و بعض الناس يحسب أنّ العادة لا يخطب و يصلّى بالسلطان إلّا القاضى الشافعىّ، و ليس الأمر كذلك.

و ما استجدّ هذا إلا الملك الظاهر برقوق فى سلطنته الثانية، و إنما كانت العادة قبل ذلك من ندبه السلطان أن يخطب و يصلّى به فعل ذلك كائنا من كان.

و توفّى الشيخ شرف الدين يونس بن أحمد بن صلاح القلقشندىّ الفقيه الشافعىّ فى خامس عشرين شهر ربيع الآخر. و كان عالما فاضلا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۶۶

و توفّى الشيخ المقرئ تقىّ الدين محمد بن أحمد ابن الصّفىّ [عبد الخالق] الشهير بالتّقىّ الصائغ فى صفر؛ كان فاضلا مقرئا مجوّدا.

و توفّى الأمير سيف الدين بلبان بن عبد اللّه التّتارىّ المنصورىّ فى ذى القعدة.

و كان من أعيان مماليك المنصور قلاوون، و صار من أعيان أمراء الديار المصريّة.

و توفّيت الشّيخة حجّاب شيخة رباط البغداديّة فى المحرّم. و كانت خيّرة ديّنة، و لها قدم فى الفقر و التصوّف.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان و ستّ أصابع. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و إحدى و عشرون إصبعا. و كان الوفاء أوّل أيام النسىء.

و اللّه تعالى أعلم.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۲۶]

السنة السابعة عشرة من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر، و هى سنة ستّ و عشرين و سبعمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۶۷

فيها توفّى شيخ الرافضة جمال الدين الحسين بن يوسف [بن] المطهّر الحلّى المعتزلىّ شارح «مختصر ابن الحاجب» فى المحرّم. كان عالما بالمعقولات، و كان رضىّ الخلق حليما، و له و جاهة عند خربندا ملك التّتار. و له عدّة مصنّفات، غير أنّه كان رافضيّا خبيثا على مذهب القوم، و لابن تيميّة عليه ردّ فى أربعة مجلّدات، و كان يسمّيه ابن المنجّس يعنى عكس شهرته كونه كان يعرف بابن المطهّر.

و توفّى الشيخ شرف الدين أبو الفتح أحمد ابن عزّ الدين أبى البركات عيسى ابن مظفّر بن محمد بن الياس المعروف بابن الشّيرجىّ الأنصارىّ الدّمشقىّ محتسب دمشق. و مولده سنة سبع و أربعين و ستمائة.

و توفّى الشيخ الإمام سراج الدين عمر بن أحمد بن خضر بن ظافر بن طرّاد الخزرجىّ المصرىّ الأنصارىّ الشافعىّ خطيب المدينة النبويّة، كان خطيبا فصيحا مفوّها دينّا.

و توفّى الأمير بدر الدين حسن ابن الملك الأفضل [علىّ بن محمود] صاحب حماة. كان من أهل العلم، و كان أحد أمراء دمشق، و هو من بيت سلطنة و رياسة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثمانى أذرع و عشر أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و تسع عشرة إصبعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۶۸

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۲۷]

السنة الثامنة عشرة من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر، و هى سنة سبع و عشرين و سبعمائة.

فيها توفّى السلطان أبو يحيى زكريّا بن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد ابن أحمد بن محمد اللّحيانىّ المغربىّ ملك تونس بالإسكندرية بعد أن خرج من بلاده لأمر أوجب ذلك، و ترك ملكه و نزل بالإسكندرية و سكنها بعد أن قدم القاهرة، ثم عاد إلى الإسكندرية، فمات بها.

و توفى الشيخ الإمام شمس الدين محمد ابن العلّامة الشهاب محمود المقدّم ذكره فى عاشر شوّال. و كان شمس الدين أيضا كأبيه فاضلا كاتبا بارعا، و تولّى كتابة سرّ دمشق و هو من بيت رياسة و فضل و كتابة.

و توفّى قاضى القضاة صدر الدين أبو الحسن علىّ بن صفىّ الدين أبى القاسم بن محمد بن عثمان البصراوىّ الحنفىّ قاضى قضاة دمشق فى شعبان، بعد ما حكم بدمشق عشرين سنة و حمدت سيرته، و كان إماما عالما ديّنا عفيفا مشكور السّيرة.

و توفى الطّواشى ناصر الدين نصر الشّمسىّ شيخ الخدّام بالحرم النبوىّ. و كان خيّرا ديّنا يحفظ القرآن و يكثر من التلاوة بصوت حسن.

و توفّى الأمير سيف الدين كوجرى بن عبد اللّه أمير شكار بالقاهرة فى تاسع عشرين ذى الحجّة. و كان أصله من مماليك عزّ الدين أيدمر نائب الشام فى الأيام الظاهرية، و كان هو من أعيان الأمراء بمصر.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۶۹

و توفّى الأمير شمس الدين إبراهيم ابن الأمير بدر الدين محمد بن عيسى بن التّركمانىّ فى ثالث جمادى الآخرة بداره بجوار باب البحر، و كان فيه مكارم و له مروءة و عصبيّة مع حشمة و رياسة، و هو ابن صاحب جامع التّركمانىّ المقدّم ذكره الذى بالقرب من باب البحر.

و توفّى الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك السعيد فتح الدين عبد الملك ابن الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبى بكر [محمد بن نجم الدين أيّوب] بن شادى بدمشق فى حادى عشرين جمادى الآخرة عن

أربع و سبعين سنة، و كان من جملة أمراء دمشق معظّما فى الدّول من بيت سلطنة و رياسة.

و توفّى الأمير سيف الدين بلبان بن عبد اللّه البدرىّ نائب حمص فى ليلة عيد الفطر. كان من أكابر الأمراء، و فيه شجاعة و إقدام مع كرم و حشمة.

و توفى لأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير الكبير أرغون بن عبد اللّه الدّوادار الناصرىّ نائب السلطنة بالديار المصرية، ثم نائب حلب فى ثالث عشر شعبان.

و كان ناصر الدين هذا من جملة أمراء الديار المصرية معظّما فى الدولة.

و توفّى الأمير سيف الدين قطلوبغا بن عبد اللّه المغربى الحاجب بالديار المصرية فى ثامن شهر رمضان و كان مقرّبا عند الملك الناصر، و من أعيان أمرائه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۷۰

و توفّى العلّامة قاضى القضاة ذو الفنون جمال الإسلام كمال الدين أبو المعالى محمد بن علىّ بن عبد الواحد [بن عبد الكريم] الزّملكانىّ الأنصارىّ السّماكىّ الدّمشقىّ الشافعىّ قاضى قضاة دمشق بمدينة بلبيس فى سادس عشر رمضان. و مولده سنة سبع و ستين و ستمائة فى شوّال. و كان إماما علّامة بصيرا بمذهبه و أصوله، قوىّ العربية صحيح الذهن فصيحا أديبا ناظما ناثرا، أفتى و له نيّف و عشرون سنة، و صنّف و كتب؛ و من مصنّفاته رسالة فى الردّ على الشيخ تقى الدين فى مسألة الطلاق، و رسالة فى الردّ عليه فى مسألة الزيارة، و شرح قطعة من المنهاج، و نظم و نثر و تولّى قضاء دمشق بعد القاضى جلال الدين القزوينىّ لمّا نقل إلى قضاء الديار المصريّة، فتوجّه إلى مصر فمات ببلبيس. و من شعره قصيدته التى مدح بها النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم التى أوّلها:

أهواك يا ربّة الأستار أهواك و إن تباعد عن مغناى مغناك

و أعمل العيس و الأشواق ترشدنى عسى يشاهد معناك معنّاك

تهوى بها البيد لا تخشى الضلال و قد هدت ببرق الثنايا الغرّ مضناك

تشوقها نسمات الصبح سارية تسوقها نحو رؤياك بريّاك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۷۱

و منها:

إنّى قصدتك لا ألوى على بشر ترمى النوى بى سراعا نحو مسراك

و قد حططت رحالى فى حماك عسى تحطّ أثقال أو زارى بلقياك

كما حططت بباب المصطفى أملى و قلت للنفس بالمأمول بشراك

محمد خير خلق اللّه كلّهم و فاتح الخير ماحى كلّ إشراك

قلت: و هى أطول من ذلك و كلها على هذا المنوال، و هو نظم فقيه لا بأس به.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و خمس أصابع. و اللّه أعلم.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۲۸]

السنة التاسعة عشرة من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر، و هى سنة ثمان و عشرين و سبعمائة.

فيها توفّى شيخ الإسلام تقىّ الدين أبو العبّاس أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام بن عبد اللّه بن أبى القاسم [الخضر] بن محمد بن

تيميّة الحرّانىّ الدّمشقىّ الحنبلىّ بدمشق فى ليلة الاثنين العشرين من ذى القعدة فى سجنه بقلعة دمشق. و مولده فى يوم الاثنين عاشر ربيع الأوّل سنة إحدى و ستين و ستمائة.

و كان سجن بقلعة دمشق لأمور حكيناها فى غير هذا المكان. و كان إمام عصره بلا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۷۲

مدافعة فى الفقه و الحديث و الأصول و النحو و اللّغة و غير ذلك. و له عدّة مصنّفات مفيدة يضيق هذا المحلّ عن ذكر شىء منها. أثنى عليه جماعة من العلماء مثل الشيخ تقىّ الدين بن دقيق العيد و القاضى شهاب الدين الجوينى و القاضى شهاب الدّين ابن النّحاس. و قال القاضى كمال الدين بن الزّملكانىّ المقدّم ذكره: اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها، ثمّ جرت له محن فى مسألة الطلاق الثلاث، و شدّ الرّحال إلى قبور الأنبياء و الصالحين، و حبّب للناس القيام عليه. و حبس مرات بالقاهرة و الإسكندرية و دمشق، و عقد له مجالس بالقاهرة و دمشق مع أنّه حصل له فى بعضها تعظيم من الملك الناصر محمد بن قلاوون، و أطلق و توجّه إلى دمشق و أقام بها إلى أن ورد مرسوم شريف فى سنة ستّ و عشرين و سبعمائة بأن يجعل فى قلعة دمشق فى قاعة، فجعل فى قاعة حسنة و أقام بها مشغولا بالتصنيف و الكتابة.

ثم بعد مدّة منع من الكتابة و المطالعة و أخرجوا ما عنده من الكتب، و لم يتركوا عنده دواة و لا قلما و لا ورقة، ثم ساق ابن الزّملكانى كلاما طويلا الأليق الإضراب عنه.

و توفّى الأمير سيف الدين جوبان بن تلك بن ندوان نائب القان بو سعيد ملك التّتار، و كان جوبان هذا قد ثقل على بو سعيد فأسرّ إلى خاله ايرنجى قتله

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۷۳

فلم يمكنه ذلك، فأخذ ابنه دمشق خجا و قتله، ففرّ جوبان إلى هراة فلم يسلم و قتل بها. و كان شجاعا عالى الهمّة حسن الإسلام. أجرى العين إلى مكّة فى جمادى الأولى سنة ستّ و عشرين و سبعمائة، و أنشأ مدرسة بالمدينة النبويّة، و لمّا مات حمل إلى مكّة مع الرّكب العراقىّ و طيف به الكعبة و وقف به عرفة و هو ميّت، ثم مضى به إلى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة و السلام، فدفن بالبقيع.

و توفّى أمير المدينة النبويّة الشريف كبيش بن منصور بن جمّاز الحسينىّ المدنىّ فى أوّل شعبان قتيلا. و كانت ولايته على المدينة بعد قتل أبيه منصور فى رابع عشر رمضان سنة خمس و عشرين و سبعمائة، قتله أولاد ودّى، و كان ودّى قد حبس بقلعة الجبل، فولى بعده إمرة المدينة أخوه طفيل.

و توفّى الأمير الكبير شمس الدين قراسنقر بن عبد اللّه المنصورىّ بمدينة مراغة من عمل أذربيجان فى يوم السبت سابع عشرين شوّال، و كان من كبار المماليك المنصوريّة و أجلّ أمرائهم، و قد ولى نيابة حلب و الشام ثم حلب، و هو أحد من كان سببا فى قتل الملك الأشرف خليل بن قلاوون، و أحد من كان السبب لعود الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى ملكه فى هذه المرّة الثالثة، و قد مرّ من ذكره فى ترجمة المظفّر بيبرس الجاشنكير، و فى أوّل سلطنة الملك الناصر الثالثة، و حكينا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۷۴

كيفية خروجه من البلاد الحلبية إلى التتار، فلا حاجة إلى ذكر ذلك ثانيا، و ما ذكرناه هنا إلّا بسبب وفاته و التعريف به. انتهى.

و توفّى ببغداد مفتى العراق و عالمه الشيخ جمال الدين عبد اللّه بن محمد بن علىّ ابن حمّاد بن ثابت الواسطى مدرّس المستنصريّة فى ذى القعدة. و مولده فى سنة ثمان و ثلاثين و ستمائة.

و توفّى الأمير سيف الدين جوبان بن عبد اللّه المنصورىّ أحد أكابر أمراء دمشق بها فى العشرين من صفر سنة ثمان و عشرين، و كان شجاعا مقداما.

و توفّى الأمير سيف الدين بكتمر البوبكرىّ فى سجنه بقلعة الجبل يوم الخميس النصف من شعبان. و كان من أكابر الأمراء من أصحاب بيبرس الجاشنكير و سلّار، فلمّا تسلطن الملك الناصر ثالث مرّة قبض عليه فى جملة من قبض عليهم و حبسه بقلعة الجبل إلى أن مات.

و توفّى الشيخ عفيف الدين أبو عبد اللّه محمد بن عبد المحسن الواعظ الشهير بابن الخرّاط البغدادى الدّوالينىّ الحنبلىّ فى هذه السنة. و مولده فى سنة بضع و ثلاثين و ستمائة. و كان إماما واعظا بليغا، و لوعظه موقع فى القلوب و عليه قابليّة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۷۵

و توفّى الأمير جمال الدين خضر بن نوكاى التتارى أخو خوند أردوكين الأشرفية المتوفية فى سنه أربع و عشرين. و كان خضر هذا من أعيان أمراء الديار المصرية، و له حرمة و ثروة و حشم.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و عشر أصابع. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و تسع أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۲۹]

سنة عشرين من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر، و هى سنة تسع و عشرين و سبعمائة.

فيها توفّى الأمير غرس الدين خليل بن الإربلىّ أحد أمراء العشرات بديار مصر فى سادس صفر، و أنعم السلطان بإمرته على إياجى الساقى. و كان خليل المذكور شجاه اصلا وجيها فى الدولة.

و توفى الأمير سعد الدين سعيد ابن الأمير الكبير حسام الدين حسين فى ثامن عشر المحرم و أنعم بإمرته على تكا الناصرىّ.

و توفّى الشيخ الإمام الفقيه جمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد الواسطىّ الأشمومىّ الشافعىّ المعروف بالوجيزى لكثرة قراءته «كتاب الوجيز»

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج۹؛ ص۲۷۵

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۷۶

فى الفقه فى ثامن عشر المحرّم. و كان فقيها عالما معدودا من فقهاء الشافعية، و تولّى قضاء قليوب و الجيزة.

و توفّى الأمير الكبير شرف الدين حسين بن أبى بكر بن أسعد بن جندرباك الرومىّ فى سادس المحرّم. و كان قدم صحبة أبيه إلى الديار المصرية فى سنة خمس و سبعين و ستمائة فى أيام الملك الظاهر بيبرس البندقدارىّ فى جملة من قدم من أهل الروم.

و كان أبوه أمير جاندار متملّك بلاد الروم معظّما فى بلاده. و كان أمير حسين هذا رأس مدرج لحسام الدين لاچين لما كان نائب الشام، لأنه كان رأسا فى الصيد و لعب الطين، فلمّا تسلطن لاچين أمّره عشرة بمصر، ثم وقع له أمور و صار من جملة أمراء الطبلخاناه بدمشق، و نادم الأفرم نائب الشام إلى أن فرّ [الأفرم إلى بلاد التّتار]. توجّه الأمير حسين هذا إلى الملك الناصر محمد إلى الكرك، ثم توجه معه إلى الديار المصرية و صار مقرّبا عنده. و كان يجيد لعب الصيد و الرّمى بالنّشّاب، فأنعم عليه الملك الناصر بتقدمة ألف بالديار المصرية، و أفرد له زاوية من الطيور الخاص، و جعله أمير شكار رفيقا للأمير الكوجرى، و صار له حرمة وافرة بالقاهرة.

و وقع له أمور ذكرناها فى ترجمته فى «المنهل الصافى» مستوفاة. و طالت أيام الأمير حسين هذا فى السعادة. و عمر جامعه قريبا من بستان العدّة و القنطرة التى على الخليج بحكر جوهر النّوبىّ و لمّا فرغ من عمارة الجامع المذكور أحضر إليه المشدّ و الكاتب حساب المصروف فرمى به إلى الخليج، و قال: أنا خرجت عن هذا للّه تعالى، فإن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۷۷

ختمتا فعليكما، و إن وفّيتما فلكما. و كان خفيف الرّوح دائم البشر لطيف العبارة، و كانت فى عبارته عجمة لكنة، كان إذا قال الحكاية

أو النادرة يظهر لكلامه حلاوة فى القلب و السمع.

و توفّى الأمير سيف الدين بكتمر بن عبد اللّه الحسامىّ الحاجب فى يوم الأربعاء حادى عشرين شهر ربيع الآخر بداره خارج باب النصر. و أنعم السلطان على ولده ناصر الدين محمد بإمرة عشرة و سنّه يومئذ ثلاث عشرة سنة. و فرّق الملك الناصر إقطاعه على جماعة، فكمل للأمير طرغاى الجاشنكير تقدمة ألف، و أنعم على الأمير قوصون الناصرىّ بمنية زفتة. و كان أصل بكتمر هذا من جملة مماليك الأمير حسام الدين طرنطاى نائب السلطنة للملك المنصور قلاوون، و كان أخذ من بلاد الروم سنة خمس و سبعين و ستمائة فيما أخذ من مماليك السلطان غياث الدين كيخسرو

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۷۸

متملّك بلاد الروم عندما دخل الملك الظاهر بيبرس إلى مدينة قيسريّة، و قد تقدّم ذكر ذلك فى ترجمة الظاهر. فصار بكتمر هذا إلى طرنطاى، و طرنطاى يوم ذاك مملوك الأمير سيف الدين قلاوون الألفىّ قبل سلطنته فربّاه و أعتقه. فلمّا قتل طرنطاى صار بكتمر هذا للأشرف خليل، فرتّبه فى جملة الأوجاقيّة فى الإسطبل السلطانىّ.

ثم نقله [المنصور لاچين] و جعله أمير آخور صغيرا، ثم أنعم عليه بإمرة عشرة بعد وفاة الفاخرىّ. و ما زال يترقّى حتّى ولى الوزارة، ثم الحجوبيّة بدمشق ثم نيابة غزّة ثم نيابة صفد ثم حجوبيّة الحجّاب بديار مصر إلى أن مات. و هو صاحب المدرسة و الدار خارج باب النصر من القاهرة. و خلّف أموالا كثيرة، و كان معروفا بالشّحّ و جمع المال.

قلت: و على هذا كان غالب أولاده و ذريّته ممّن أدركنا. قال الشيخ صلاح الدين الصّفدىّ فى تاريخه: «و كان له حرص عظيم على جمع المال إلى الغاية، و كان له الأملاك الكثيرة فى كلّ مدينة، و كان له قدور يطبخ فيها الحمّص و الفول و غير ذلك من الأوانى تكرى، و كان بخيلا جدّا. حكى لى الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس قال: كنت عنده يوما و بين يديه صغير من أولاده و هو يبكى و يتعلّق فى رقبته و يبوس صدره، فلمّا طال ذلك من الصغير قلت له: ياخوند، ماله؟

قال: شيطان يريد قصب مصّ. فقلت: يا خوند اقض شهوته. فقال: يا بخشى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۷۹

سيّر إلى السّوق أربع فلوس هات له عودّا. فلمّا حضر العود القصب وجدوا الصغير قد نام ممّا تعنّى و تعب فى طلب القصب. فقال الأمير بكتمر: هذا قد نام، ردّوا العود و هاتوا الفلوس!». انتهى كلام الصّفدىّ.

قلت: و لأجل هذا كانت له تلك الأملاك الكثيرة و الأموال الجمّة. و إلّا من هو بكتمر بالنسبة إلى غيره من الأتابكيّة و نوّاب البلاد الشاميّة و غيرهم من عظماء الأمراء! و لكن هذا من ذاك. انتهى.

و توفّى الشيخ الإمام جلال الدين أبو بكر عبد اللّه بن يوسف بن إسحاق بن يوسف الأنصارىّ الدّلاصىّ إمام الجامع الأزهر بالقاهرة عن بضع و ثمانين سنة.

و كان يعتقد فيه الخير، و له شهرة بالدّين و الصلاح.

و توفّى قاضى قضاة دمشق علاء الدين أبو الحسن علىّ بن إسماعيل بن يوسف القونوىّ الشافعىّ فى يوم السبت رابع عشر ذى القعدة. و كان عالما مصنّفا بارعا فى فنون من العلوم.

و توفّى الأمير عزّ الدين أيبك الخطيرىّ أمير آخور فى العشرين من ذى القعدة.

و توفّى الأمير سيف الدين ساطلمش بن عبد اللّه الفاخرىّ فى ثالث ذى الحجّة، و أنعم بإقطاعه على الأمير كوجبا الساقىّ. و كان قديم هجرة فى الأمراء، و له و جاهة عند السلطان و غيره.

و توفى الأمير ناصر الدين نصر الطّواشى شيخ الخدّام بالحرم النبوىّ، و مقدّم المماليك السلطانية معا فى يوم الخميس عاشر شهر رجب. و استقرّ عوضه فى مشيخة الخدّام و تقدمة المماليك السلطانية الطّواشىّ عنبر السّحرتى. [و مات عزّ الدين] القيمرىّ.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۸۰

و توفّى الأمير علاء الدين علىّ بن الكافرى والى قوص. كان ولى عدّة أعمال، و كان من الظّلمة.

و توفّى الأمير علم الدين سنجر بن عبد اللّه الأيدمرىّ فى شهر ربيع الأول.

و توفّى الشيخ عزّ الدين أبو يعلى حمزة ابن المؤيّد أبى المعالى [أسعد] بن المظفّر بن أسعد بن حمزة القلانسىّ الشافعىّ بدمشق.

و توفّى الشيخ الإمام نجم الدين أبو عبد اللّه محمد بن عقيل بن أبى الحسن بن عقيل البالسىّ الشافعىّ بمصر. كان إماما فقيها مدرّسا مصنّفا، شرح التنبيه فى الفقه.

و توفّى القاضى معين الدين هبة اللّه ابن علم الدين مسعود بن عبد اللّه بن حشيش، صاحب ديوان الجيش بمصر، ثم ناظر جيش دمشق فى جمادى الآخرة. كان إماما فاضلا أديبا نحويّا كاتبا، و له فضائل، و تنقّل فى عدّة خدم.

و توفّى الأمير حسام الدين لاچين بن عبد اللّه الصغير بقلعة البيرة.

و توفّى شرف الدين يعقوب بن عبد الكريم بن أبى المعالى الحلبىّ بحماة. كان فاضلا كاتبا تنقّل فى عدّة خدم بالبلاد الشاميّة و غيرها، و تولّى كتابة السّرّ بحلب غير مرّة، و كان فيه رياسة و حشمة. و فيه يقول الشيخ جمال الدين بن نباته:

قالت العليا لمن حاولها سبق الصاحب و احتلّ ذارها

فدعوا كسب المعالى إنّها حاجة فى نفس يعقوب قضاها

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۸۱

و توفّى الامير سيف الدين أغزلو بن عبد اللّه الرّكنى منفيّا بقوص فى ربيع الآخر، و كان من أعيان الأمراء أصحاب بيبرس و سلّار.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و أصابع. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و خمس أصابع. و اللّه أعلم.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۳۰]

سنة إحدى و عشرين من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر، و هى سنة ثلاثين و سبعمائة.

فيها توفّى المسند المعمّر الرّحلة أحمد بن أبى طالب بن أبى النّعم بن نعمة بن الحسن بن علىّ المعروف بابن الشّحنة و بالحجّار الصالحىّ الدمشقىّ فى خامس عشرين صفر. و مولده سنة ثلاث و عشرين و ستمائة. و مات و هو مسند الدنيا و تفرّد بالرواية عن ابن الزّبيدىّ و ابن اللّتّى مدّة سنين لا يشاركه فيها أحد، و سمع الناس عليه صحيح البخارىّ أكثر من سبعين مرّة لعلوّ سنده. و قدم القاهرة مرتين، و حدّث بها و رحل إليه من الأقطار.

و توفّى الأمير سيف الدين بهادر آص المنصورىّ أحد أمراء الألوف بدمشق فى تاسع عشر صفر الخير، و أنعم بإقطاعه على الأمير سنجر البشمقدار. و كان بهادر شجاعا مقداما فى الحرب، و تولّى نيابة صفد. و كان له أربعة أولاد منهم اثنان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۸۲

أمراء، فكان يضرب على بابه ثلاث طبلخانات. و قد تقدّم ذكره فى أواخر ترجمة المظفّر بيبرس الجاشنكير لمّا قدم مملوك الملك الناصر على الأفرم نائب الشام و نحوه.

و توفّى الأمير سيف الدين بلبان بن عبد اللّه الدّوادارى المهمندار بدمشق فى نصف جمادى الأولى، و كان من جملة أكابر أمراء دمشق.

و توفّى الأمير سيف الدين قلبرس بن الأمير سيف الدين طيبرس الوزيرىّ بدمشق فى ليلة الجمعة ثامن ذى القعدة. و كان من جملة أمراء دمشق، و كان فيه مكارم و حشمة.

و توفّى الأمير عزّ الدين ألدمر بن عبد اللّه أمير جاندار مقتولا بمكّة المشرّفة فى يوم الجمعة رابع عشر ذى الحجة. و سبب قتله أنه توجّه إلى الحج فى هذه السنة، فقتله بعض عبيد أمير مكّة محمد بن عقبة بن إدريس بن قتادة الحسنىّ. و سببه أن بعض عبيد مكّة عبثوا على بعض حجّاج العراق و تخطّفوا أموالهم، فاستصرخ الناس به، و كان قد تأخّر عن الحاج مع أمير الركب لصلاة الجمعة بمكة، فنهض و الخطيب على المنبر، فمنعهم من الفساد و معه ولده، فتقدّم الولد فضرب بعض عبيد مكّة فضربه العبد بحربة فقتله. فلمّا رأى أبوه ذلك اشتدّ حنقه و حمل ليأخذ بثأر ابنه، فرمى الآخر بحربة فمات. و تفرّق الناس و ركب بعضهم بعضا و نهبت الأسواق، و قتل خلق من الحجّاج و غيرهم. و صلّى بعض الناس و السيوف تعمل، و قتل مع ألدمر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۸۳

مملوكه و أمير عشرة يعرف بابن التّاجى. و تراجع الأمراء المصريون إلى مكّة لطلب بعض الثأر فلم ينتج أمرهم و عادوا فارّين. ثم أمر أمير المصريين بالرحيل، و عادوا إلى القاهرة و أخبروا الملك الناصر محمد بن قلاوون، فجهّز إلى مكة عسكرا كثيفا و عليه عدّة من الأمراء، فتوجّهوا و أخذوا بثأر ألدمر و ابنه، و قتلوا جماعة كثيرة من العبيد و غيرهم و أسرفوا فى ذلك و خرجوا عن الحدّ إلى الغاية، و تشتّت أشراف مكة و العبيد عن أوطانهم و أخذت أموالهم، و حكمت الترك مكّة من تلك السنة إلى يومنا هذا، و زال منها سطوة أشراف مكّة الرافضة و العبيد إلى يومنا هذا. و انقمع أهلها و ارتدعوا، و كرههم الملك الناصر و مقتهم و أقصاهم، حتى إنه لمّا حجّ بعد ذلك كان إذا أتاه صاحب مكّة لا يقوم له مع تواضع الملك الناصر للفقهاء و الأشراف و الصلحاء و غيرهم. و كان ألدمر المذكور معظّما عند الناصر وجيها فى دولته، و له الأملاك الكثيرة و الأموال الجزيلة، و كان خيّرا ديّنا صالحا.

و توفّى القاضى الرئيس علاء الدين أبو الحسن علىّ ابن القاضى تاج الدين أحمد ابن سعيد بن محمد بن سعيد المعروف بابن الأثير كاتب سرّ مصر، فى يوم الأربعاء خامس عشر المحرم بعد ما تعطّل و أصابه مرض الفالج مدّة سنين. و كان ذا سعادات جليلة و حرمة وافرة و جاه عريض، يضرب به المثل فى الحشمة و الرياسة.

و توفّى الأمير سيف الدين قدادار بن عبد اللّه والى القاهرة و صاحب القنطرة على خليج الناصرىّ خارج القاهرة فى سادس عشر صفر. و أنعم بإمرته على الأمير ما جار القبجاقىّ. و أصل قدادار هذا من مماليك الأمير برلغى الأشرفىّ المقدّم ذكره،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۸۴

و ترقّى إلى أن ولى كشف الغربيّة و ولاية البحيرة من أعمال الديار المصريّة، ثم ولاية القاهرة و تمكّن منها تمكّنا زائدا، و كان جريئا على الدنيا، ثم صرف عن ولاية القاهرة بناصر الدين محمد [بن] المحسنى، و أقام فى داره إلى أن خرج للحجّ ثم عاد و هو مريض، فلزم الفراش إلى أن مات فى التاريخ المذكور.

و توفّى الشيخ شمس الدين محمد [بن محمد] الرّومىّ شيخ خانقاه بكتمر الساقى فى يوم الأحد ثالث عشرين ذى الحجة، و ولّى عوضه الشيخ زاده الدّوقاتى. رحمه اللّه.

و توفى الوزير شمس الدين أبو القاسم محمد بن محمد بن سهل بن أحمد بن سهل [الأزدىّ] الغرناطىّ الأندلسىّ بالقاهرة قافلا من الحجّ.

و توفّى الأمير سيف الدين كجكن بن عبد اللّه الساقى الناصرىّ فى سادس صفر.

و كان من خواصّ الملك الناصر محمد و أكبر مماليكه.

و توفّى الشيخ الإمام الأديب ناصر الدين شافع بن علىّ بن عباس بن إسماعيل بن عساكر الكنانىّ العسقلانىّ ثم المصرىّ سبط الشيخ محيى الدين بن عبد الظاهر.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۸۵

و مولده فى سنة تسع و أربعين و ستمائة. و كان يباشر الإنشاء بمصر و دام على ذلك سنين إلى أن أصابه سهم فى نوبة حمص الكبرى

سنة ثمانين و ستمائة فى صدغه فعمى منه، و بقى ملازم بيته إلى أن مات. و كان إماما أديبا فاضلا ناظما ناثرا جمّاعا للكتب، خلّف ثمانى عشرة خزانة كتب نفائس أدبيّة و غيرها. و من شعره بعد عماه:

أضحى وجودى برغمى فى الورى عدما و ليس لى فيهم ورد و لا صدر

عدمت عينى و مالى فيهم أثر فهل وجود و لا عين و لا أثر

و له أيضا:

قال لى من رأى صباح مشيبى عن شمالى و لمّتى و يمينى

أىّ شىء هذا فقلت مجيبا ليل شكّ محاه صبح يقين

و له فى شبّابة:

سلبتنا شبّابة بهواها كلّ ما ينسب اللبيب إليه

كيف لا و المحسّن القول فيها آخذ أمرها بكلتا يديه

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و إصبعان. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و عشر أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۳۱]

سنة اثنتين و عشرين من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر، و هى سنة إحدى و ثلاثين و سبعمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۸۶

فيها توفّى الأمير شهاب الدين صمغار ابن الأمير شمس الدين سنقر الأشقر فى ثالث عشر المحرّم. و كان من جملة أمراء الطبلخانات بالديار المصرية، و أنعم الملك الناصر بإقطاعه على بهادر [بن أولیا] بن قرمان. و كان صمغار المذكور بطلا شجاعا يخافه الملك الناصر، و فرح بموته.

و توفّى الأمير علاء الدين علىّ ابن الأمير قطلوبك الفخرىّ أحد أمراء العشرات فى سابع عشرين المحرّم، و أنعم بإقطاعه على الزّينى أمير حاجّ ابن الأمير طقزدمر الحموىّ.

و توفّى الأمير سيف الدين منكلى بغا السلاحدار فى يوم الأحد سادس صفر و دفن خارج باب النصر من القاهرة. و كان أحد أمراء الألوف بالديار المصرية، و أنعم السلطان بإمرته على الأمير تمربغا السّعدىّ. و كان منكلى بغا المذكور كثير الأكل كثير النكاح، و له فيهما حكايات عجيبة مضحكة.

و توفّى قاضى القضاة بدمشق عزّ الدين أبو عبد اللّه محمد ابن تقىّ الدين سليمان ابن حمزة بن أحمد بن عمر ابن الشيخ أبى عمر محمد بن أحمد بن قدامة الحنبلىّ الدّمشقىّ بها فى يوم الأربعاء تاسع صفر. و كان ولى قضاء الحنابلة بدمشق بعد القاضى شرف الدين أبى محمد عبد اللّه بن الحسن بن عبد اللّه بن عبد الغنىّ المقدسىّ إلى أن مات فى هذا التاريخ. و كان عالما فاضلا مشكور السّيرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۸۷

و توفّى الأمير قجليس بن عبد اللّه أمير سلاح فى يوم الثلاثاء خامس عشر صفر، و أنعم السلطان بإقطاعه و هو إمرة مائة على الأمير ساطلمش الجلالى. و كان قجليس المذكور من أعيان أمراء الديار المصرية و أماثلهم.

قلت: و لم يكن» أمير سلاح» تلك الأيام فى رتبة أيّامنا هذه. و إنّما كان أمره أنه يحمل سلاح السلطان و يناوله إيّاه فى يوم الحرب و فى عيد النّحر، و كان يجلس حيث كانت منزلته، و استمرّ ذلك إلى أوائل سلطنة الملك الظاهر برقوق حسب ما يأتى ذكره إن شاء اللّه تعالى فى محلّه.

و توفّى الأمير سيف الدين طرجى بن عبد اللّه الساقى أمير مجلس فى يوم الأربعاء سادس شهر ربيع الآخر. و كانت وظيفة أمير مجلس يوم ذاك أكبر من وظيفة أمير سلاح، و كان هو الذى يحكم على الجرايحية و الحكماء و غيرهم.

و توفّى الشيخ المسند المعمّر بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن عمر بن حسّان ابن أبى بكر بن علىّ الحنفى فى يوم الثلاثاء خامس عشر صفر بالقاهرة، و هو آخر من حدّث عن سبط السّلفىّ، و كان صار رحلة الناس فى ذلك.

و توفّى الأمير سيف الدين بيغجار بن عبد اللّه الساقى أحد أمراء الطبلخاناه بديار مصر، و أنعم الملك الناصر بإقطاعه على الأمير عمر بن أرغون النائب.

و توفّى الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير حسام الدين طرنطاى المنصورىّ فى يوم الأربعاء ثامن شهر رجب، و هو أحد أمراء الألوف بالديار المصرية. و كان أميرا شجاعا كريما وجيها فى الدّول.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۸۸

و توفّى الأمير الكبير أرغون بن عبد اللّه الناصرىّ نائب السلطنة الشريفة ثم نائب حلب، و بها مات فى ليلة السبت ثامن عشر شهر ربيع الأوّل و قيل ربيع الآخر.

و أصله من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الترجمة. اشتراه و ربّاه و أدّبه و تبنّى به و أمره بملازمة الاشتغال، فاشتغل و دأب و برع و كتب الخطّ المنسوب، و سمع صحيح البخارىّ بقراءة الشيخ أثير الدّين أبى حيّان، و كتب بخطّه صحيح البخارىّ، و برع فى الفقه و أصوله، و أذن له فى الإفتاء و التدريس. قال الشيخ صلاح الدين الصّفدىّ قال لى الشيخ فتح الدين بن سيد الناس، كان أرغون يعرف مذهب أبى حنيفة و دقائقه و يقصر فهمه فى الحساب إلى الغاية.

قلت: كان قصور فهمه فى الحساب إذ ليس هو بصدده، و لو صرف همّته إلى ذلك لفهمه و علمه على أحسن وجه. انتهى. و رقّاه أستاذه الملك الناصر لمّا رأى فيه مخايل النّجابة، و جعله دوادارا بعد الأمير بيبرس الدّوادار، ثمّ ولّاه نيابة السلطنة بديار مصر و جعل أمورها كلّها إليه. فدام فى نيابة السلطنة نحو ست عشرة سنة، ثم أخرجه لنيابة حلب. و قد ذكرنا سبب إخراجه لحلب فى أصل هذه الترجمة. و تولى نيابة حلب بعد عزل الأمير ألطنبغا الصالحىّ، فباشر نيابتها نحو أربع سنين. و هو الذى أمر بحفر نهر الساجور، و أجراه إلى حلب فى سنة إحدى و ثلاثين. و كان ليوم وصوله يوم مشهود. و فى هذا المعنى يقول الرئيس شرف الدين أبو عبد اللّه الحسين [بن سليمان] بن ريّان رحمه اللّه:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۸۹

لمّا أتى نهر الساجور قلت له ما ذا التأخّر من حين إلى حين

فقال أخّرنى ربّى ليجعلنى من بعض معروف سيف الدّين أرغون

و قال الشيخ بدر الدين الحسن [بن عمر بن الحسن] بن حبيب فى المعنى أيضا:

قد أصبحت الشّهباء تثنى على أرغون فى صبح و ديجور

من نهر الساجور أجرى بها للناس بحرا غير مسجور

و قد استوعبنا أمر أرغون هذا فى المنهل الصانى أكثر من هذا، إذ هو محلّ الإطناب فى التراجم.

و توفّى تاج الدين إسحاق [بن عبد الكريم]، و كان أوّلا يدعى عبد الوهاب، ناظر الخاصّ الشريف فى يوم الاثنين مستهلّ جمادى الآخرة. و كان أصله من أقباط مصر يخدم فى الدواوين، ثم صار ناظر الدولة، ثم باشر نظر الخاصّ بعد كريم الدين الكبير، فباشر بسكون و حشمة و انجماع عن الناس مع حسن سياسة إلى أن مات. و تولّى الخاصّ بعده ابنه شمس الدين موسى الذى وقع له مع النّشو ما وقع من العقوبات و المصادرات، و مدّ اللّه فى عمره إلى أن رأى نكبة النّشو و قتله، على ما سيأتى ذكره إن شاء اللّه تعالى فى محله من هذا الكتاب على سبيل الاختصار. و قد استوعبنا أمر موسى المذكور فى المنهل الصافى بما فيه عجائب و غرائب، فلينظر

هناك.

و توفّى التاجر تاج الدين أبو بكر بن معين الدين محمد بن الدّمامينىّ رئيس تجار الكارم فى ثالث عشرين جمادى الآخرة، و قد قارب ثمانين سنة، و ترك مائة ألف دينار عينا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۹۰

قلت: و لعله يكون والد الدماميّة الشاعر و القاضى و غيرهما الآتى ذكرهما.

و توفّى ملك الغرب صاحب فاس [و مرّاكش] أبو سعيد عثمان بن يعقوب ابن عبد الحق فى ذى الحجة، و قام من بعده ابنه السلطان أبو الحسن علىّ. و كانت مدّة عثمان هذا على فاس و غيرها من بلاد الغرب إحدى و عشرين سنة.

و توفّى الشيخ المسند شرف الدين أبو الحسين أحمد بن فخر الدين عبد المحسن ابن الرّفعة بن أبى المجد العدوىّ. و أبوه عبد المحسن إليه ينسب جامع ابن الرّفعة بين مصر و القاهرة.

و توفّى الشيخ الإمام العلّامة فخر الدين أبو عمرو عثمان بن إبراهيم بن مصطفى بن سليمان المارديني الحنفى الشهير بالتّركمانىّ فى ليلة السبت حادى عشر رجب. و كان إماما عالما بارعا مفتنّا، تصدّر للإفتاء و التدريس سنين عديدة. و كان معظّما عند الملوك، درّس بالمنصورية من القاهرة، و شرح الجامع الكبير، و سمع الكثير، و كان مقدّما على أقرانه فصيح العبارة عالما باللغة و العربية، و المعانى و البيان، شيخ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۹۱

السادة الحنفية فى زمانه. و هو والد قاضى القضاة علاء الدين، و العلّامة تاج الدين أحمد، و جدّ جمال الدين عبد اللّه بن علىّ، و عبد العزيز بن علىّ. و تخرّج عليه حلائق كثيرة و انتفع به الناس.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و أصابع. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و اثنتان و عشرون إصبعا. و اللّه أعلم.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۳۲]

السنة الثالثة و العشرون من ولاية الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر، و هى سنة اثنتين و ثلاثين و سبعمائة.

فيها توفّى الأمير الوزير علاء الدين مغلطاى بن عبد اللّه الجمالىّ. كان يلقّب بخرز، عند نزوله من العقبة عائدا إلى الديار المصرية فى يوم الأحد سابع عشر المحرّم، فحمل ميّتا إلى القاهرة؛ و دفن بخانقاته فى يوم الخميس حادى عشرين المحرّم.

و كان أصله من مماليك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الترجمة، و كان من خواصه و خاصّكيّته، ثم أنعم عليه بإمرة، ثم نقله على إمرة بهادر الإبراهيمى دفعة واحدة و ندبه لمهمّاته، ثم ولّاه أستادارا فعظم أمره، ثم نقله إلى الوزارة و حكّمه فى جميع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۹۲

المملكة، فحسنت سيرته و ساس الناس و أبطل مظالم. و كان جوادا عاقلا عارفا حشما يميل لفعل الخير، انتفع به جماعة كثيرة فى ولايته؛ لأنه كان يأخذ على ولاية المباشرات المال على أيديهم، فقصدهم الناس لذلك. و كان شأنه إذا ولّى أحدا و جاء من يزيد عليه عزله و ولّى من زاد بعد أن يعلم أن المعزول قد استوفى ما قام به، و من لم يستوف ذلك لم يعزله. و لم يصادر أحدا فى مدّة ولايته، و هذا من العجب! و لا ظلم أحدا، بل كانت أيامه مشكورة. و كان المستولى عليه مجد الدين إبراهيم بن لفيتة. و خلّف الأمير مغلطاى المذكور عدّة أولاد من زوجته بنت الأمير أسندمر كرجى نائب طرابلس. و إليه تنسب المدرسة الجماليّة بالقرب من درب ملوخيّا داخل القاهرة بالقرب من داره.

و توفى الملك المؤيّد عماد الدين أبو الفداء إسماعيل صاحب حماة ابن الملك الأفضل علىّ ابن الملك المظفّر محمود ابن الملك

المنصور محمد ابن الملك المنصور عمر ابن شاهنشاه بن أيّوب الأيّوبى فى ثالث عشرين المحرّم. و تولّى حماة بعده ابنه الملك الأفضل، و قد تقدّم ذكر قدومه على الملك الناصر و ولايته لحماة بعد وفاة أبيه المؤيّد هذا. انتهى. و كان مولد الملك المؤيّد فى جمادى الأولى سنة اثنتين و سبعين و ستمائة، و حفظ القرآن العزيز و عدّة كتب، و برع فى الفقه و الأصول و العربية

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۹۳

و التاريخ و الأدب و الطّبّ و التفسير و الميقات و المنطق و الفلسفة مع الاعتقاد الصحيح.

و كان جامعا للفضائل، و صار من جملة أمراء دمشق، إلى أن خدم الملك الناصر محمدا عند خروجه من الكرك فى سلطنته الثالثة. فلما تمّ أمره أنعم عليه بسلطنة حماة بعد الأمير أسندمر كرجى- و قد تقدّم ذلك كله فى صدر ترجمة الملك الناصر- و جعله صاحب حماة و سلطانها. و قدم على الناصر القاهرة غير مرّة و حجّ معه و حظى عنده إلى الغاية، حتى إنّ الملك الناصر رسم إلى نوّاب البلاد الشامية بأن يكتبوا له:» يقبّل الأرض». فصار تنكز مع جلالة قدره يكتب له:» يقبّل الأرض»، و» بالمقام الشريف العالى المولوىّ السلطانىّ العمادىّ الملكىّ المؤيّدىّ». و فى العنوان:» صاحب حماة».

و يكتب السلطان الملك الناصر له:» أخوه محمد بن قلاوون، أعزّ اللّه أنصار المقام الشريف العالى السلطانىّ الملكىّ المؤيّدىّ العمادىّ» بلا مولوىّ. و كان الملك المؤيّد مع هذه الفضائل عاقلا متواضعا جوادا. و كان للشعراء به سوق نافق، و هو ممدوح الشيخ جمال الدين بن نباتة، مدحه بغرر القصائد ثم رثاه بعد موته. و من جملة مدائحه له:

أقسمت ما الملك المؤيّد فى الورى إلّا الحقيقة و الكرام مجاز

هو كعبة للفضل ما بين النّدى منها و بين الطالبين حجاز

و لما مات رثاه بالقصيدة المشهورة التى أوّلها:

ما للنّدى ما يلبّى صوت داعيه أظنّ أنّ ابن شاد قام ناعيه

ما للرّجاء قد اشتدّت مذاهبه ما للزمان قد اسودّت نواحيه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۹۴

مالى أرى الملك قد فضّت مواقفه مالى أرى الوفد قد فاضت مآقيه

نعى المؤيّد ناعيه فوا أسفا للغيث كيف غدت عنّا غواديه

وا روعتا لصباح من رزيّته أظنّ أنّ صباح الحشر ثانيه

وا حسرتاه لنظمى فى مدائحه كيف استحال لنظمى فى مراثيه

أبكيه بالدّرّ من دمعى و من كلمى و البحر أحسن ما بالدّرّ أبكيه

أروى بدمعى ثرى ملك له شيم قد كان يذكرها الصّادى فترويه

أذيل ماء جفونى بعده أسفا لماء وجهى الذى قد كان يحميه

جار من الدّمع لا ينفكّ يطلقه من كان يطلق بالإنعام جاديه

و مهجة كلّما فاهت بلوعتها قالت رزيّة مولاها لها إيه

ليت المؤيد لا زادت عوارفه فزاد قلبى المعنّى من تلظّيه

[ليت الحمام حبا الأيام موهبة فكان يفنى بنى الدنيا و يبقيه].

ليت الأصاغر يفدى الأكبرون بها فكانت الشّهب فى الآفاق تفديه

و القصيدة أطول من هذا، تزيد على خمسين بيتا. و له فيه غير ذلك. و قد تقدّم من ذكره فى المنهل الصافى أشياء أخر لم نذكرها هنا، فلتنظر هناك. و من شعر الملك المؤيّد فى مليح اسمه حمزة:

اسم الذى أنا أهواه و أعشقه و من أعوّذ قلبى من تجنّيه

تصحيفه فى فؤادى لم يزل أبدا و فوق وجنته أيضا و فى فيه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۹۵

و توفّى الشيخ الصالح المعتقد ياقوت بن عبد اللّه الحبشىّ الشاذلىّ تلميذ الشيخ العارف باللّه تعالى أبى العباس المرسى فى ليلة الثامن عشر من جمادى الآخرة بثغر الإسكندرية و بها دفن. و كان شيخا صالحا مباركا ذا هيبة و وقار و سمت و صلاح، و له أحوال و كرامات. و قبره بالإسكندرية يقصد للزيارة.

و توفّى الشيخ الصالح عبد العال خليفة الشيخ أحمد البدوىّ و خادمه بقرية طنتا بالغربية من أعمال القاهرة فى ذى الحجة. فكان له شهرة بالصلاح، و يقصد للزيارة و التبرك به؛ و دفن بالقرب من الشيخ أحمد البدوىّ، الجميع فى موضع واحد، غير أن كلّ مدفن فى محلّ واحد على حدته. و خلفاء مقام الشيخ أحمد البدوىّ من ذريّة أخيه، لم يبلغنا من كراماته شىء.

و توفّى القاضى الرئيس فخر الدين محمد بن فضل اللّه ناظر الجيوش المنصورة بالديار المصرية فى يوم الأحد سادس عشر شهر رجب. قال الشيخ صلاح الدين:

كان متأهّلا عمره لما كان نصرانيّا، لما أسلم حكى الشيخ فتح الدين بن سيد الناس عن خاله القاضى شرف الدين بن زنبور قال: [هذا] ابن أختى، عمره متعبّدا، لأننا لما كنا نجتمع على الشّراب فى ذلك الدّين يتركنا و ينصرف، فنتفقّده

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۹۶

إذا طالت غيبته فنجده واقفا يصلّى. و لما ألزموه بالإسلام همّ بقتل نفسه بالسيف و تغيّب أيّاما. ثم أسلم و حسن إسلامه إلى الغاية، و لم يقرب نصرانيّا بعد ذلك و لا آواه و لا اجتمع به، و حجّ غير مرّة، و زار القدس غير مرّة. و قيل إنه فى آخر عمره كان يتصدّق فى كلّ شهر بثلاثة آلاف درهم. و بنى مساجد كثيرة بالقاهرة، و عمر أحواضا كثيرة فى الطّرقات، و بنى بنابلس مدرسة و بالرملة بيمارستانا. قال:

و أخبرنى القاضى شهاب الدين بن فضل اللّه أنه كان حنفىّ المذهب، ثم قال:

و كان فيه عصبيّة شديدة لأصحابه، و انتفع به خلق كثير فى الدولة الناصرية لوجاهته عند أستاذه و إقدامه عليه. قال الصلاح: أمّا أنا فسمعت السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون يقول يوما فى خانقاة سرياقوس لجندى واقف بين يديه يطلب إقطاعا:

لا- تطوّل، و اللّه لو أنك ابن قلاوون ما أعطاك القاضى فخر الدين خبزا يعمل أكثر من ثلاثة آلاف درهم. و قد ذكرنا من أحواله أكثر من هذا فى المنهل الصافى.

و توفّى الأمير سيف الدين سوتاى صاحب ديار بكر بالموصل فى هذه السنه.

و كان ملكا جليلا ذا رياسة و وقار، و عمّر طويلا، و كان من أجلّ ملوك ديار بكر.

و توفّى شيخ القرّاء فى زمانه برهان الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الربعى الجعبرىّ فى شهر رمضان. و كان من أعيان القرّاء فى زمانه.

و توفى شيخ القراءات أيضا صدر الدين أحمد بن محمد بن عبد اللّه الدندرىّ الشافعىّ فى جمادى الآخرة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۹۷

و توفّى الأمير سيف الدين ألجاى بن عبد اللّه النّاصرى الدّوادار. كان من مماليك الملك الناصر محمد و جعله دوادارا صغيرا جنديّا مع الأمير أرسلان الدّوادار، فلما توفّى أرسلان استقلّ ألجاى المذكور بالدّواداريّة الكبرى عوضه على إمرة عشرة مدّة سنين، ثم أعطاه إمرة طبلخاناه. قال الإمام خليل بن أيبك فى تاريخه:

و أمّا اسمه فى العلامة فما كتب أحد أحسن منه. و كان خبيرا عارفا عفيفا خيّرا طويل الروح. و كان يحبّ الفضلاء و يميل إليهم و

يقضى حوائجهم و ينامون عنده و يبحثون و يسمع كلامهم، و يتعاطى معرفة علوم كثيرة. و مع هذا كان لا بدّ فى خطّه أن يؤنّث المذكّر. و عمر له دارا على الشارع خارج بابى زويلة، غرم على بوّابها مائة ألف درهم، فلم تستكمل حتّى مرض و نزل إليها من القلعة مريضا، فأقام بها إلى أن مات. و ولى الدّواداريّة من بعده الأمير صلاح الدين يوسف.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و ست أصابع.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و إحدى عشرة إصبعا. و اللّه أعلم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۹۸

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۳۳]

سنة اربع و عشرين من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر، و هى سنة ثلاث و ثلاثين و سبعمائة.

فيها توفى القاضى قطب الدين موسى بن أحمد بن الحسين ناظر جيش دمشق و رئيسها، المعروف بابن شيخ السّلاميّة عن اثنتين و سبعين سنة، و كان نبيلا فاضلا و فور الحرمة.

و توفّى القاضى القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد اللّه بن جماعة الحموىّ الشافعى فى حادى عشر جمادى الأولى و هو معزول بعد ما عمى. مولده بحماة فى سنة تسع و ثلاثين و ستمائة، و هو والد قاضى قضاة الديار المصريّة عزّ الدين عبد العزيز بن جماعة. و كان إماما عالما مصنّفا، أخذ النحو عن ابن مالك، و أفتى قديما، و عرضت فتواه على الشيخ محيى الدين النّووىّ فاستحسن ما أجاب به.

و تولّى قضاء القدس و الخطابة بها. ثم نقل إلى مصر فولّى قضاءها بعد عزل تقىّ الدين ابن بنت الأعزّ فى أوائل سنة تسعين و ستمائة. ثم وقع له أمور حكيناها فى ترجمته فى تاريخنا «المنهل الصافى». و من شعره:

ارض من اللّه ما يقدّره أراد منك المقام أو نقلك

و حيثما كنت ذا رفاهية فاسكن فخير البلاد ما حملك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۲۹۹

و تمّم هذه الأبيات الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر، فقال رحمه اللّه:

و حسّن الخلق و استقم فمتى أسأت أحسن و لا تطل أملك

من يتّق اللّه يؤته فرجا و من عصاه و لا يتوب هلك

قلت: و البيت الثانى من قول ابن جماعة مأخوذ من قول المتنبّى، و لكن فاته الشّنب، و هو:

و كلّ امرئ يبدى الجميل محبّب و كلّ مكان ينبت العزّ طيّب

و توفّى الشيخ الإمام المؤرّخ الفقيه شهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن عبد الوهّاب ابن أحمد بن عبد الوهاب بن عبادة البكرىّ النّويرىّ الشافعىّ، صاحب التاريخ المعروف «بتاريخ النّويرى» فى يوم الحادى و العشرين من شهر رمضان. كان فقيها فاضلا مؤرّخا بارعا، و له مشاركة جيّدة فى علوم كثيرة و كتب الخطّ المنسوب. قيل إنه كتب صحيح البخارى ثمانى مرّات، و كان يبيع كلّ نسخة من البخارى بخطّه بألف درهم، و كان يكتب فى كل يوم ثلاث كراريس، و تاريخه سمّاه: «منتهى الأرب، فى علم الأدب» فى ثلاثين مجلدا. رأيته و انتقيته و نقلت منه بعض شىء فى هذا التاريخ و غيره. و مات و هو من أبناء الخمسين. رحمه اللّه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۰۰

و توفّى الأمير سيف الدين بكتمر بن عبد اللّه الرّكنىّ الساقى الناصرىّ بعد ابنه أحمد بثلاثة أيام فى عاشر المحرّم و حمل إلى نخل

فدفن بها، و اتّهم الملك الناصر أنّه اغتالهما بالسمّ. و قد تقدّم ذكر ذلك كله مفصلا فى ترجمة الملك الناصر، غير أنّنا نذكره هنا تنبيها على ما تقدّم ذكره. كان أصل بكتمر من مماليك الملك المظفر بيبرس الجاشنكير، ثم انتقل إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون، لعلّه بالخدم، فإنّ أستاذه المظفر بيبرس كان أمّره عشرة فى أواخر دولته، و لو لا [أنه] أعتقه ما أمّره، فعلى هذا يكون عتيق المظفّر. و اللّه أعلم. و يقوّى ما قلته ما سنذكره، و هو أن بكتمر هذا حظى عند الملك الناصر لجمال صورته و جعله ساقيا. و كان غريبا فى بيت السلطان: لأنه لم يكن له خشدش، فكان هو وحده، و سائر لخاصكيّة حربا عليه.

و عظمت مكانته عند السلطان حتى تجاوزت الحدّ. قال الصلاح الصّفدىّ: كان يقال: إنّ السلطان و بكتمر لا يفترقان، إما أن يكون بكتمر عند السلطان، و إما أن يكون السلطان عند بكتمر. انتهى كلام الصّفدىّ باختصار.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۰۱

قلت: و وقع لبكتمر هذا من العظمة و القرب من السلطان ما لم يقع لغيره من أبناء جنسه. و قد استوعبنا أمره فى «المنهل الصافى» مستوفى، حيث هو كتاب تراجم الأعيان، و ليس لذكره هنا إلا الاختصار؛ إذ هذا الكتاب موضوع للإطناب فى تراجم ملوك مصر لا غير، و مهما كان غير ذلك يكون على سبيل الاستطراد و الضميمة لحوادث الملك المذكور لا غير، فيكون الاختصار فيما عدا ملوك مصر أرشق، و إلا يطل الشرح فى ذلك حتى تزيد عدّة هذا الكتاب على مائة مجلّد و أكثر. و قد سقنا أيضا من ذكر بكتمر فى أصل ترجمة الملك الناصر قطعة جيّدة فيها كفاية فى هذا الكتاب، فلتنظر هناك.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و ثمانى أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ست عشرة إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۳۴]

سنة خمس و عشرين من ولاية الملك الناصر الثالثة على مصر، و هى سنة أربع و ثلاثين و سبعمائة.

فيها توفّى الأمير سيف الدين ألماس بن عبد اللّه الناصرىّ حاجب الحجّاب بالديار المصريّة فى محبسه خنقا فى ليلة ثانى عشر صفر، و حمل من الغد حتّى دفن بجامعه بالشارع خارج بابى زويلة. و كان من مماليك الناصر محمد، اشتراه و رقّاه و أمّره و جعله جاشنكيره، ثم ولّاه الحجوبيّة، فصار فى محلّ النيابة لشغور منصب النيابة فى أيامه، فكان أكابر الأمراء يركبون فى خدمته و يجلس فى باب القلعة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۰۲

و تقف الحجّاب فى خدمته، و لا زال مقرّبا عند السلطان حتّى قبض عليه لأمور بلغته عنه: منها، أنه كان اتّفق مع بكتمر الساقى على قتل السلطان، و منها محبّته لصبىّ من أولاد الحسينيّة و تهتّكه بسببه، و غير ذلك. و لمّا حبسه السلطان منعه الطعام و الشراب ثلاثة أيام ثم خنقه. و قد تقدّم من ذكره فى أصل ترجمة الملك الناصر بعد عوده من الحجاز نبذة أخرى يعرف منها أحواله. و كان ألماس غتميّا لا يعرف بالعربيّة شيئا. و كان كريما و يتباخل خوفا من الملك الناصر.

و لمّا مات وجد له أشياء كثيرة.

و توفّى الأمير علم الدين سليمان بن مهنّا بن عيسى ملك العرب و أمير آل فضل فى خامس عشرين ربيع الأوّل، و تولّى الإمرة بعده سيف بن فضل [بن عيسى ابن مهنا].

و توفّى السلطان الملك الظاهر أسد الدّين عبد اللّه ابن الملك المنصور نجم الدين أيّوب ابن الملك المظفّر يوسف بن عمر [بن علىّ] بن رسول متملّك اليمن، بعد ما قبض عليه الملك المجاهد بقلعة دملوه، و صار الظاهر هذا يركب فى خدمة المجاهد، ثم سجنه المجاهد مدّة شهرين و خنقه بقلعة تعزّ.

و توفّى قاضى حماة نجم الدين عمر بن محمد بن عمر بن أحمد بن هبة اللّه بن محمد ابن هبة اللّه بن أحمد المعروف بابن العديم الحلبى الأصل الحنفىّ عن خمس و أربعين سنة، و هو من بيت علم و رياسة و فضل.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۰۳

و توفّى الأمير طغاى تمر بن عبد اللّه [العمرىّ] الناصرىّ أحد مماليك الملك الناصر و زوج ابنته فى ليلة الثلاثاء ثامن عشرين شهر ربيع الأوّل. و كان من أجلّ مماليك الناصر و أمرائه و أحد خواصه.

و توفّى الأمير سوسون بن عبد اللّه الناصرىّ أحد مقدّمى الألوف بديار مصر و أخو الأمير قوصون فى ليلة الجمعة رابع عشر جمادى الأولى.

و توفّى الشيخ الإمام العالم الحافظ ذو الفنون فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد ابن محمد [بن أحمد] بن عبد اللّه بن محمد بن يحيى بن سيد الناس اليعمرىّ الإشبيلىّ فى شعبان. كان إماما حافظا مصنّفا، صنّف السّيرة النبويّة و سمّاه «كتاب عيون الأثر، فى فنون المغازى و الشمائل و السّير»، و مختصر ذلك سمّاه «نور العيون»، و كتاب «تحصيل الإصابة، فى تفضيل الصحابة» و «النّفح الشّذى، فى شرح جامع التّرمذى» و كتاب «بشرى اللّبيب، بذكرى الحبيب». و كان له نظم و نثر علامة فيهما حافظا متقنا. و من شعره قصيدته التى أوّلها:

عهدى به و البين ليس يروعه صبّا براه نحوله و دموعه

لا تطلبوا فى الحبّ ثأر متيّم فالموت من شرع الغرام شروعه

عن ساكن الوادى- سقته مدامعى- حدّث حديثا طاب لى مسموعه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۰۴

أفدى الذى عنت البدور لوجهه إذ حلّ معنى الحسن فيه جميعه

البدر من كلف به و الغصن من عطف عليه خضوعه

للّه حلوىّ المراشف و اللّمى حلو الحديث ظريفه مطبوعه

دارت رحيق لحاظه فلنا بها سكر يحلّ عن المدام صنيعه

يجنى فأضمر عتبه فإذا بدا فجماله ممّا جناه شفيعه

و توفّى الأمير قرطاى بن عبد اللّه الأشرفىّ نائب طرابلس، و قد جاوز ستين سنة فى ثامن عشرين صفر، و كان مطّبا عند الملك، أمّره و ولّاه نيابة طرابلس إلى أن مات بها.

و توفّى الأمير سيف الدين بلبان بن عبد اللّه المعروف بطرنا نائب صفد فى حادى عشرين ربيع الأوّل. و كان أميرا شجاعا مقداما.

و توفّى قاضى القضاة جمال الدين أبو الربيع سليمان ابن الخطيب مجد الدين عمر ابن عثمان الأذرعى الشافعى المعروف بالزّرعىّ، فى سادس صفر بالقاهرة و هو قاضى العسكر بها. و كان فقيها عالما.

و توفّى الأمير سيف الدين خاص تركك بن عبد اللّه الناصرىّ أحد مقدّمى الألوف بالديار المصريّة فى شهر رجب بدمشق، و كان من خواصّ مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۰۵

و توفّى الشيخ مجد الدين حرمى بن قاسم بن يوسف العامرىّ الفاقوسىّ الفقيه الشافعىّ فى ذى الحجّة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ذراعان و ثمانى أصابع. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و اثنتان و عشرون إصبعا.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۳۵]

السنة السادسة و العشرون من ولاية الملك الناصر الثالثة على مصر و هى سنة خمس و ثلاثين و سبعمائة.

فيها توفّى الأمير علم الدين سنجر بن عبد اللّه الخازن والى القاهرة و هو معزول فى يوم السبت ثامن جمادى الآخرة عن نحو تسعين سنة. و أصله من مماليك الملك المنصور قلاوون و ترقّى حتى صار خازنا ثم شادّ الدواوين، ثم ولى الكشف بالبهنسا بالوجه القبلى، ثمّ ولى القاهرة و شدّ الجهات و أقام عدّة سنين. و كان حسن السّيرة، و إليه ينسب حكر الخازن خارج القاهرة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۰۶

على بركة الفيل، و تربته بالقرب من قبة الإمام الشافعىّ بالقرافة.

و توفّى الأمير صلاح الدين طرخان ابن الأمير بدر الدين بيسرى بسجنه بالإسكندرية فى جمادى الأولى بعد ما أقام بالسجن أربع عشرة سنة.

و توفّى الشيخ الإمام الحافظ المؤرخ قطب الدين أبو علىّ عبد الكريم بن عبد النّور ابن منير الحلبىّ ثم المصرىّ الحنفىّ. و مولده فى سنة أربع و ستين و ستمائة. و كان بارعا فى فنون صاحب مصنفات، منها «شرحه لشطر صحيح البخارى»، و «تاريخ مصر» فى عدّة مجلدات، بيّض أوائله و لم اقف عليه إلى الآن، و خرّج لنفسه أربعين تساعيّات. و هو ابن أخت الشيخ نصر المنبجىّ، و بخاله كان يعرف و انتفع بصحبته.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۰۷

و توفّى الشيخ الإمام المجوّد العلّامة محمد بن بكتوت الظاهرىّ القلندرىّ الحنفىّ بطرابلس فى خامس عشر ربيع الأوّل، و كان كاتبا مجوّدا. ذكر أنّه كتب على ابن الوحيد. و كان يضع المحبرة على يده اليسرى و المجلّدة فى يده من كتاب الكشّاف للزّمخشرىّ و يكتب منه ما شاء و هو يغنّى فلا يغلط. و كان أوّلا خصيصا عند الملك المؤيّد صاحب حمّاة، و أقام عنده مدّة ثم طرده عنه.

و توفّى الشيخ الواعظ شمس الدين الحسين بن أسد بن المبارك بن الأثير بمصر فى جمادى الآخرة. و كان فقيها يعظ الناس و عليه قابليّة.

و توفى القاضى زين الدّين عبد الكافى ابن ضياء الدين علىّ بن تمّام الأنصارىّ الخزرجىّ السّبكىّ بالمحلّة و هو على قضائها. و كان فقيها بارعا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۰۸

و توفّى الشّيخ بهاء الدين محمود ابن الخطيب محيى الدين محمد بن عبد الرحيم بن عبد الوهّاب بن علىّ بن أحمد بن عقيل السّلمىّ شيخ الكتّاب فى زمانه، المعروف بابن خطيب بعلبكّ بدمشق فى شهر ربيع الأوّل.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم لم يحرر. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و إحدى و عشرون إصبعا. و اللّه تعالى أعلم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۰۹

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۳۶]

السنة السابعة و العشرون من ولاية الملك الناصر محمد الثالثة على مصر، و هى سنة ست و ثلاثين و سبعمائة.

فيها توفّى القان بو سعيد بن القان محمد خربندا بن القان أرغون بن القان أبغا بن القان الطاغية هولاكو ملك التّتار و صاحب العراق و الجزيرة و أذربيجان و خراسان و الروم و أطراف ممالك ما وراء النهر فى شهر ربيع الآخر، و قد أناف على ثلاثين سنة. و كانت دولته عشرين سنة، لأنّ جلوسه على تخت الملك كان فى أوّل جمادى الأولى سنة سبع عشرة و سبعمائة بمدينة السلطانية، و عمره إحدى

عشرة سنة. و بو سعيد اسم غير كنية (بضم الباء ثانية الحروف و سكون الواو).

و سعيد معروف لا حاجة لتعريفه، و من الناس من يقول بو صعيد (بالصاد المهملة).

و كان بو سعيد المذكور ملكا جليلا مهابا كريما عاقلا، ولديه فضيلة، و يكتب الخط المنسوب، و يجيد ضرب العود و الموسيقى، و صنّف فى ذلك قطعا جيّدة فى أنغام غريبة من مذاهب النّغم. و كان مشكور السّيرة، أبطل فى سلطنته عدّة مكوس، و أراق الخمور من بلاده و منع الناس من شربها، و هدم الكنائس، و ورّث ذوى الأرحام؛ فإنه كان حنفيّا، و هو آخر ملوك التتار من بنى چنكزخان، و لم يقم للتتار بعد موته قائمة إلى يومنا هذا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۱۰

و توفّى الأمير جمال الدين آقوش بن عبد اللّه الأشرفىّ المعروف بنائب الكرك محبوسا بثغر الإسكندرية فى يوم الأحد سابع جمادى الأولى. و أصله من مماليك الملك المنصور قلاوون، و أضافه قلاوون إلى ولده الأشرف خليل و جعله أستاداره فعرف بالأشرفىّ، و استمر بخدمة الملك الأشرف إلى أن تسلطن، أمّره ثم ولّاه نيابة الكرك. و قيل: إنه ما ولّى نيابة الكرك إلا فى سلطنة الملك الناصر الثانية، و هو الأقوى. و قد مرّ من ذكر آقوش هذا أشياء كثيرة فى ترجمة المظفّر بيبرس، و عند قدوم الملك الناصر إلى الكرك لمّا خلع نفسه و غير ذلك. و كان آقوش أميرا جليلا معظّما، و كان يقوم له الملك الناصر لمّا يدخل عليه و هو جالس على تخت الملك أمام الخدم. و طالت أيامه فى السعادة، و له مآثر كثيرة. و هو صاحب الجامع الذى بآخر الحسينيّة بالقرب من كوم الرّيش، و هو إلى الآن عامر و ما حوله خراب.

و توفّى الأمير أيتمش بن عبد اللّه المحمدىّ نائب صفد فى ليلة الجمعة سادس عشرين ذى الحجة. و كان من مماليك الملك الناصر محمد و من خواصه، و هو أحد من كان يندبه الناصر و هو بالكرك لمهماته؛ و لمّا تسلطن أمّره ثم ولّاه نيابة صفد و غيرها إلى أن مات. و كان أميرا عارفا كاتبا فاضلا عاقلا مدبّرا متواضعا كريما.

و توفّى الأمير سيف الدين إيناق بن عبد اللّه الناصرىّ أحد مقدّمى الألوف فى ثامن عشرين شعبان، و كان أيضا من خواصّ الملك الناصر محمد بن قلاوون و من أكابر مماليكه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۱۱

و توفّى شيخ الكتّاب عماد الدين محمد بن العفيف محمد بن الحسن الأنصارىّ الشافعىّ المعروف بابن العفيف، صاحب الخط المنسوب. كتب عدّة مصاحف بخطه. و كان إماما فى معرفة الخط، و عنده فضائل، و له نظم و نثر و خطب، تصدّى للكتابة مدّة طويلة، و انتفع به عامة الناس. و كان صالحا ديّنا خيّرا فقيها حسن الأخلاق. مات بالقاهرة و دفن بالقرافة و له إحدى و ثمانون سنة.

و توفّى القاضى عماد الدين إسماعيل بن محمد بن الصاحب فتح الدين عبد اللّه ابن محمد القيسرانىّ كاتب حلب فى ذى القعدة.

و توفّى الشيخ تقىّ الدين سليمان بن موسى بن بهرام السّمهودىّ الفقيه الشافعىّ الفرضىّ العروضىّ الأديب.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و سبع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا. و الوفاء يوم النوروز.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۱۲

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۳۷]

السنة الثامنة و العشرون من ولاية الملك الناصر محمد الثالثة على مصر، و هى سنة سبع و ثلاثين و سبعمائة.

فيها توفّى الأمير عزّ الدين أيدمر الخطيرىّ المنصورىّ أحد أمراء الألوف بالديار المصرية فى يوم الثلاثاء أوّل شهر رجب بالقاهرة. و

أصله من مماليك الخطير الرومىّ والد أمير مسعود، ثم انتقل إلى ملك المنصور قلاوون، فرقّاه حتى صار من أجلّ الأمراء البرجيّة. ثم ترقّى فى الدولة الناصريّة و ولى الأستادارية. ثم وقع له أمور، و قبض عليه السلطان الملك الناصر محمد فى سلطنته الثالثة، ثم أطلقه و أنعم عليه بإمرة مائة و تقدمة [ألف] و زيادة إمرة عشرين فارسا، و صار معظّما عند الناصر، و يجلس رأس الميسرة، و بقى أكبر أمراء المشورة. و كان لا يلبس قباء مطرّزا و لا يدع عنده أحدا يلبس ذلك. و كان أحمر الوجه منوّر الشيبة كريما جدّا واسع النّفس على الطعام. حكى أن أستاداره قال له يوما: يا خوند، هذا السّكّر الذى يعمل فى الطعام ما يضرّ أن نعمله غير مكرر؟ فقال: لا، فإنه يبقى فى نفسى أنه غير مكرر فلا تطيب. و لمّا مات خلّف ولدين أميرين: أمير علىّ و أمير محمد. و هو من الأمراء المشهورين بالشجاعة و الدين و الكرم، و هو الذى عمر الجامع برملة بولاق على شاطئ النيل و الرّبع المشهور، و غرم عليه جملة مستكثرة، فلمّا تم أكله البحر و رماه، فأصلحه و أعاده فى حياته. و قد تقدّم ذكر بنائه لهذا الجامع فى أصل ترجمة الملك الناصر، و سبب مشتراه لموضع الجامع المذكور و تاريخ بنائه.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۱۳

و توفّى الأمير سيف الدين أزبك بن عبد اللّه الحموىّ فى يوم الأربعاء خامس عشرين شعبان على مدينة آياس، و قد بلغ مائة سنة، فحمل إلى حماة و دفن بها. و كان مهابا كثير العطاء، طالت أيّامه فى الإمرة و السعادة. و هو ممن تأمّر فى دولة الملك الظاهر بيبرس البندقدارىّ. رحمه اللّه.

و توفّى الشيخ المعتقد الصالح محمد بن عبد اللّه بن المجد إبراهيم المرشدىّ، صاحب الأحوال و الكرامات و المكاشفات بناحية منية مرشد فى ثامن شهر رمضان.

و كان للناس فيه اعتقاد حسن، و يقصد للزيارة.

و توفّى الشيخ قطب الدين إبراهيم بن محمد بن علىّ بن مطهّر بن نوفل الثعلبىّ الأدفوىّ فى يوم عرفة بأدفو. و كان فقيها فاضلا بارعا ناظما ناثرا.

و توفّى الشيخ المحدّث تقىّ الدين أبو عبد اللّه محمد بن علىّ بن محمد بن أحمد اليونينىّ البعلبكىّ الحنبلىّ. و مولده سنة سبع و ستين و ستمائة؛ ذكره الحافظ أبو عبد اللّه الذهبىّ فى معجمه و أثنى عليه.

و توفّى الشيخ ناصر الدين محمد ابن الشيخ المعتقد إبراهيم بن معضاد الجعبرىّ الواعظ بالقاهرة فى يوم الاثنين رابع عشرين المحرّم. و كان يعظ الناس، و جلس مكان والده الشيخ إبراهيم الجعبرىّ، و كان لوعظه رونق، و هو من بيت صلاح و وعظ.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۱۴

و توفّى المسند المعمّر مسند الديار المصرية شرف الدين يحيى بن يوسف المقدسىّ المعروف بابن المصرىّ بالقاهرة عن نيّف و تسعين سنة.

و توفّى الشيخ كمال الدين أبو الحسن علىّ [بن الحسن بن علىّ] الحويزانىّ شيخ خانقاه سعيد السّعداء فى صفر بالقاهرة. و كانت لديه فضيلة، و عنده صلاح و خير.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و ثمانى عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ست عشرة إصبعا. و اللّه تعالى أعلم.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۳۸]

السنة التاسعة و العشرون من ولاية الملك الناصر الثالثة على مصر، و هى سنة ثمان و ثلاثين و سبعمائة.

فيها توفّى قاضى قضاة دمشق شهاب الدين محمد ابن المجد عبد اللّه بن الحسين ابن علىّ الإربلىّ الزرزارىّ الشافعىّ، وقع عن بغلته فلزم الفراش أسبوعا و مات فى جمادى الأولى بدمشق. و مولده سنة اثنتين و ستين و ستمائة. و كان بارعا فى الفقه و الفروع و الشروط، و أفتى و درّس و كتب الطباق و سمع الكثير، و ولّى قضاء دمشق بعد القاضى جمال الدين بن جملة، و عزل بالقاضى جلال الدين القزوينىّ. و لمّا تولّى القاضى شهاب الدين ابن القيسرانىّ كتابة سرّ دمشق توجّه القاضى شهاب الدين هذا إليه لتهنئته، فنفرت به البغلة فى الطريق فوقع فشجّ دماغه، فحمل فى محفّة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۱۵

إلى بيته و مات بعد أسبوع. و لمّا وقع عن بغلته قال فيه الشيخ شمس الدين محمد ابن الخيّاط الدمشقىّ رحمه اللّه:

بغلة قاضينا إذا زلزلت كانت له من فوقها الواقعه

تكاثر ألهاه من عجبه حتى غدا ملقّى على القارعه

فأظهرت زوجته عندها تضايقا بالرحمة الواسعه

و توفى الشيخ الإمام العلّامة النحوىّ ركن الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن ابن يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الجليل المعروف بابن القوبع القرشىّ التونسىّ المالكىّ النحوىّ، صاحب الفنون الكثيرة بالقاهرة عن أربع و سبعين سنة.

و توفّى شيخ الإسلام شرف الدين هبة اللّه ابن قاضى حماة نجم الدين عبد الرحيم ابن أبى الطاهر إبراهيم بن المسلم بن هبة اللّه بن حسّان بن محمد بن منصور بن أحمد الشافعىّ الجهنى المعروف بابن البارزىّ قاضى حماة فى نصف ذى القعدة. و مولده فى خامس شهر رمضان سنة خمس و أربعين و ستمائة. و كان إماما علّامة فى الفقه و الأصول و النحو و اللغة، و أفتى و درّس سنين و انتفع الطلبة به و تخرّج به خلائق، و حكم بحماة دهرا، ثم ترك الحكم و ذهب بصره. و صنّف كتبا كثيرة، و حجّ مرّات، و حدّث بأماكن. و لمّا مات غلّقت [أبواب] جماة لمشهده. و من مصنّفاته:

تفسيران، و «كتاب بديع القرآن»، و «و شرح الشاطبية»، و «الشرعة فى السبعة» و «كتاب الناسخ و المنسوخ»، و «كتاب مختصر جامع الأصول»، مجلدين و «الوفا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۱۶

فى شرح [أحاديث] المصطفى»، و «الأحكام على أبواب التنبيه». و «غريب الحديث»، و «شرح الحاوى فى الفقه» أربع مجلدات، و «مختصر التنبيه فى الفقه»، و «الزبدة فى الفقه»، و المناسك. [و كتاب فى] العروض، و غير ذلك.

و توفى القاضى الرئيس محيى الدين يحيى بن فضل اللّه بن مجلّى العمرىّ القرشىّ كاتب السّر الشريف بالشام أوّلا ثم بمصر آخرا، و هو أخو القاضى شرف الدين عبد الوهاب، و أخو القاضى بدر الدين محمد، و والد القاضى العلّامة شهاب الدين أحمد، و بدر الدين محمد، و علاء الدين علىّ، و جدّ القاضى بدر الدين محمد بن علىّ آخر من ولى من بنى فضل اللّه كتابة السرّ بديار مصر الآتى ذكره فى محله إن شاء اللّه تعالى.

قال الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك: لم أر فى عمرى من كتب النسخ و خرّج التخاريج و الحواشى أحلى و أظرف و لا ألطف منه، بل الشيخ فتح الدين بن سيد الناس معه و القاضى جمال الدين إبراهيم ابن شيخنا شهاب الدين محمود؛ فإن هؤلاء الثلاثة غاية فى حسن الكتابة. لكن القاضى محيى الدين هذا رعشت يده و ارتجّت كتابته أخيرا. قال: و لم أر عمرى من نال سعادته فى مثل أولاده و أملاكه و وظائفه و عمره. و كان السلطان قد بالغ أخيرا فى احترامه و تعظيمه، و كتب له فى أيام الأمير سيف الدين ألجاى الداودار توقيعا بالجناب العالى يقبّل الأرض، و استعفى من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۱۷

ذلك و كشطها و قال: ما يصلح لمتعمم أن يعدّى به «المجلس العالى». انتهى كلام الشيخ صلاح الدين.

و توفّى قاضى القضاة جمال الدين يوسف بن إبراهيم بن جملة الدمشقىّ الشافعىّ قاضى قضاة دمشق بها. و كان فقيها بارعا، ولى قضاء دمشق إلى أن عزل بقاضى القضاة شهاب الدين بن المجد.

و توفى الأمير سيف الدين طغجى بن عبد اللّه المنصورىّ فى الحبس. و كان من أعيان الأمراء البرجية معدودا من الشجعان.

و توفّى الأمير سيف الدين صلديه بن عبد اللّه كاشف الوجه القبلىّ، و كان من الظّلمة، مهّد البلاد فى ولايته.

و توفّى الأمير سيف الدين آقول بن عبد اللّه المنصورىّ ثم الناصرىّ الحاجب بديار مصر. و كان من أعيان الأمراء.

و توفّى الشيخ الأديب شهاب الدين أحمد بن يوسف بن هلال الصّفدىّ الطبيب، و مولده فى سنة إحدى و ستين و ستمائة. كان من جملة أطبّاء السلطان، و كان بارعا فى الطب، و له قدرة على وضع المشجّرات، و يبرز أمداح الناس فى أشكال أطيار و عمائر و أشجار و عقد و أخياط و غير ذلك، و له نظم و نثر. و من شعره ما يكتب على سيف:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۱۸

أنا أبيض كم جئت يوما أسودا فأعدته بالنصر يوما أبيضا

ذكر إذا ما استلّ يوم كريهة جعل الذكور من الأعادى حيّضا

أختال ما بين المنايا و المنى و أجول فى وسط القضايا و القضا

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و خمس عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و عشرون إصبعا. و كان الوفاء يوم النوروز.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج۹؛ ص۳۱۸

اللّه تعالى أعلم.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۳۹]

السنة [المتمّة] الثلاثين من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر، و هى سنة تسع و ثلاثين و سبعمائة.

فيها توفّى خطيب القدس زين الدين عبد الرحيم ابن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد اللّه بن جماعة الشافعىّ الحموىّ الأصل المعروف بابن جماعة

و توفّى الأمير سيف الدين بهادر بن عبد اللّه المعزّىّ الناصرىّ أحد أمراء الألوف بالديار المصرية فى ليلة الجمعة تاسع شعبان. و كان أميرا جليلا معظّما فى دولة أستاذه، بلغت تركته مائة ألف دينار، أخذها النّشو ناظر الخاصّ.

و توفّى قاضى القضاة العلّامة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد ابن محمد بن عبد الكريم القزوينىّ الشافعىّ بدمشق فى خامس عشر جمادى الآخرة.

و كان ولى قضاء مصر و الشام، و كان عالما بارعا مفتنّا فى علوم كثيرة، و له مصنّفات فى عدّة فنون. و كان مولده بالموصل فى سنة ست و ستين و ستمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۱۹

و توفّى الشيخ الإمام الحافظ المؤرخ علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد [ابن يوسف] البرزالىّ الشافعى بخليص، و هو محرم فى رابع ذى الحجة عن أربع و سبعين سنة. و برزالة: قبيلة قليلة جدّا. و كان أبوه شهاب الدين محمد من كبار عدول دمشق. و أما جدّ أبيه محمد بن يوسف فهو الإمام الحافظ زكىّ الدين الرحّال محدّث الشام أحد الحفّاظ المشهورين. و قد تقدّم ذكره. انتهى. و كان الحافظ علم الدين هذا محدّثا حافظا فاضلا، سمع الكثير و رحل إلى البلاد و حصّل و دأب و سمع خلائق كثيرة، تزيد عدّتهم

على ألفى شيخ، و حدّث و خرّج و أفاد و أفتى و صنّف تاريخا على السنين.

و توفّى الشيخ الأديب أبو المعالى زين الدين خضر بن إبراهيم بن عمر بن محمد ابن يحيى الرفّاء الخفاجىّ المصرىّ عن تسع و سبعين سنة. و من شعره فى ساق:

للّه ساق له ردف فتنت به لمّا تبدّى بساق منه برّاق

فلا تسل فيه عن وجدى و عن ولهى فأصل ما بى من ردف و من ساق

قلت: و أحسن من هذا قول القيراطىّ:

و أغيد يسقى الطّلا بديع حسن قد بهر

فى كفّه شمس فما له لرائيه قمر

و أحسن منهما قول القائل فى هذا المعنى:

قد زمزم الساقى الذى لم يزل يدير للأحباب كأس المدام

و قد فهمناه و همنا به بأحسن ما زمزم وسط المقام

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۲۰

و توفّى الشيخ جمال الدين أحمد بن هبة اللّه بن المكين الإسنانى الفقيه الشافعىّ بإسنا، و قد جاوز السبعين سنة فى شوّال.

و توفّى الأمير علاء الدين على ابن أمير حاجب والى مصر و أحد الأمراء العشرات و هو معزول، و كان عنده فضيلة، و عنى بجمع القصائد النبويّة، حتى كمل عنده منها خمسة و سبعون مجلدا.

و توفّى قاضى القضاة فخر الدين أبو عمرو عثمان بن علىّ بن عثمان بن علىّ بن عثمان ابن إسماعيل بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب بن علىّ بن هبة اللّه بن ناجية الشافعىّ المعروف بابن خطيب جبرين بالقاهرة بالمدرسة المنصورية ليلة السبت السابع و العشرين من المحرّم و دفن بمقابر الصوفيّة. و مولده فى العشر الأخير من شهر ربيع الأوّل سنة اثنتين و ستين و ستمائة بالحسنية ظاهر القاهرة. و كان بارعا فى الفقه و الأصول و النحو و الأدب و الحديث و القراءات، و تولّى قضاء حلب سنة ست و ثلاثين و سبعمائة فتكلّم فيه، فطلبه الملك الناصر و طلب ولده، فروّعهما الحضور قدّامه لكلام أغلظه لهما، فنزلا مرعوبين و مرضا بالبيمارستان المنصورىّ، فمات ولده قبله، و توفّى هو بعده بيوم أو يومين. و كان عالما، و له عدّة مصنّفات، شرح الشامل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۲۱

الصغير، و شرح التعجيز، و [شرح] مختصر ابن الحاجب و [شرح] البديع لابن الساعاتى. و قد استوعبنا ترجمته فى المنهل الصافى بأوسع من هذا.

و توفّى الأمير الفقيه علاء الدين أبو الحسن علىّ بن بلبان بن عبد اللّه الفارسىّ الحنفىّ بمنزله على شاطئ النيل فى تاسع شوّال. و مولده فى سنة خمس و سبعين و ستمائة.

كان إماما فقيها بارعا محدّثا، أفتى و درّس و حصّل من الكتب جملة مستكثرة، و صنّف عدّة مصنّفات، و رتّب التقاسيم و الأنواع لابن حبّان، و رتّب الطبرانى ترتيبا جيّدا إلى الغاية، و ألف سيرة لطيفة للنبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم، و كتابا فى المناسك جامعا لفروع كثيرة فى المذهب.

و توفّى القاضى فخر الدين محمد بن بهاء الدين عبد اللّه بن أحمد [بن علىّ] المعروف بابن الحلّى بالقدس الشريف. و كان رئيسا، ولى نظر جيش دمشق عدّة سنين.

و توفّى علاء الدين علىّ بن هلال الدولة بقلعة شيزر بعد ما ولى بالقاهرة عدّة وظائف.

و توفّى الأمير سيف الدين بيليك بن عبد اللّه المحسنىّ بطرابلس. و كان من جملة أمرائها.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و خمس عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و عشر أصابع. و اللّه تعالى أعلم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۲۲

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۴۰]

السنة الحادية و الثلاثون من ولاية الملك الناصر الثالثة على مصر، و هى سنة أربعين و سبعمائة.

فيها توفّى الخليفة أمير المؤمنين المستكفى باللّه أبو الربيع سليمان ابن الخليفة الحاكم بأمر اللّه أبى العبّاس أحمد بن الحسن بن أبى بكر الهاشمىّ العباسىّ بمدينة قوص فى خامس شعبان عن ست و خمسين سنة و ستة أشهر و أحد عشر يوما. و كانت خلافته تسعا و ثلاثين سنة و شهرين و ثلاثة عشر يوما. و كان حشما كريما فاضلا.

كان أخرجه الملك الناصر إلى قوص لما كان فى نفسه منه لما كان منه فى القيام بنصرة الملك المظفّر بيبرس الجاشنكير، و تولّى الخلافة من بعده ولده أبو العباس أحمد و لقّب بالحاكم على لقب جدّه بعهد منه إليه. و كان الناصر منع الحاكم من الخلافة و ولّى غيره، حسب ما ذكرناه فى ترجمة الملك الناصر، فلم يتم له ذلك و ولّى الحاكم هذا.

و توفّى الأمير شمس الدين آق سنقر بن عبد اللّه شادّ العمائر المنسوبة إليه قنطرة سنقر على الخليج خارج القاهرة و الجامع بسويقة السبّاعين على البركة الناصرية فيما بين القاهرة و مصر. و كانت وفاته بدمشق.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۲۳

و توفّى الأمير علاء الدين علىّ بن حسن المروانىّ والى القاهرة فى ثانى عشرين رجب بعد ما قاسى أمراضا شنيعة مدّة سنة، و كان ظالما غشوما سفّاكا للدماء، اقترح فى أيام ولايته عقوبات مهولة، منها أنه كان ينعل الرجل فى رجليه بالحديد كما تنعل الخيل. و منها تعليق الرجل بيديه و تعلّق مقايرات العلاج فى رجليه فتنخلع أعضاؤه فيموت، و قتل خلقا كثيرا من الكتّاب و غيرهم فى أيام النّشو. و لمّا حملت جنازته وقف عالم كثير لرجمه، فركب الوالى و ابن صابر المقدّم حتّى طردوهم و منعوهم و دفنوه.

و توفّى شرف الدين عبد الوهاب ابن التاج فضل اللّه المعروف بالنّشو ناظر الخاص الشريف تحت العقوبة فى يوم الأربعاء ثانى شهر ربيع الآخر. و قد تقدم التعريف بأحواله و كيفية قتله و القبض عليه فى ترجمة الملك الناصر هذه مفصّلا مستوفى. كان هو و أبوه و إخوته يخدمون الأمير بكتمر الحاجب، ثم خدم النّشو هذا عند الأمير أيدغمش أمير آخور. فلما جمع السلطان فى بعض الأيام كتّاب الأمراء رأى النّشو و هو واقف وراء الجماعة و هو شابّ نصرانىّ طويل حلو الوجه، فاستدعاه و قال له:

إيش اسمك؟ قال: النّشو. فقال السلطان: أنا أجعلك نشوى، و رتّبه، مستوفيا، و أقبلت سعادته، فأرضاه فيما ندبه إليه و ملأ عينه، و استمر على ذلك حتى استسلمه الأمير بكتمر الساقى و سلّم إليه ديوان سيّدى آنوك ابن الملك الناصر إلى أن توفّى القاضى فخر الدين ناظر الجيش، نقل الملك الناصر شمس الدين موسى ناظر الخاصّ إلى نظر الجيش عوضه، و ولّى النشو هذا نظر الخاصّ على ما بيده من ديوان ابن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۲۴

السلطان. و وقع له ما حكيناه فى ترجمة الملك الناصر كل شىء فى محلّه. قال الصلاح الصّفدىّ: و لمّا كان فى الاستيفاء و هو نصرانىّ كانت أخلاقه حسنة و فيه بشر و طلاقة وجه و تسرّع لقضاء حوائج الناس، و كان الناس يحبّونه. فلمّا تولّى الخاصّ و كثر الطلب عليه و زاد السلطان فى الإنعامات و العمائر و بالغ فى أثمان المماليك و زوّج بناته و احتاج الى الكلف العظيمة، ساءت أخلاق النّشو و أنكر من يعرفه، و فتح أبواب المصادرات. انتهى كلام الصفدىّ باختصار.

و توفّى الشيخ مجد الدين أبو بكر بن إسماعيل بن عبد العزيز السّنكلونىّ الشافعىّ فى شهر ربيع الأول، و كان فقيها فاضلا، شرح التنبيه فى الفقه، و تولّى مشيخة خانقاه الملك المظفّر بيبرس و درّس و أفتى.

و توفّى الأمير ركن الدين بيبرس بن عبد اللّه الأوحدىّ المنصورىّ والى قلعة الجبل فى شهر ربيع الأول.

و توفّى الأمير سيف الدين أيدمر بن عبد اللّه الدّوادار بدمشق. و كان أميرا جليلا خيّرا ديّنا.

و توفّى الأمير سيف الدين بهادر بن عبد اللّه البدرىّ الناصرىّ نائب الكرك، بعد ما عزل عن الكرك و نفى إلى طرابلس فمات بها.

و توفّى شيخ الشيوخ بخانقاه سرياقوس العلّامة مجد الدين أبو حامد موسى بن أحمد بن محمود الأقصرائى الحنفىّ فى شهر ربيع الآخر. و كان إماما فقيها بارعا مفتيا.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۲۵

و توفّى الشيخ جمال الدين عبد القاهر بن محمد بن عبد الواحد بن محمد بن إبراهيم التبريزى الحرّانىّ الشافعىّ. كان فقيها عالما أديبا شاعرا. و من شعره [قوله دو بيت]:

وجدى و تصبّرى قليل و كثير و القلب و مدمعى طليق و أسير

و الكون و حسنكم جليل و حقير و العبد و أنتم غنىّ و فقير

و توفّى الأمير ركن الدين بيبرس الرّكنىّ كاشف الوجه البحرى و نائب الإسكندرية.

و كان أصله من مماليك الملك المظفّر بيبرس الجاشنكير. رحمه اللّه.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و خمس أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثمانى أصابع.

***

[ما وقع من الحوادث سنة ۷۴۱]

سنة اثنتين و ثلاثين و سبعمائة من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر، و هى سنة إحدى و أربعين و سبعمائة، و هى التى مات فيها الملك الناصر حسب ما تقدّم ذكره.

فيها (أعنى سنة إحدى و أربعين) توفّى الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير بدر الدين چنكلى بن البابا فى يوم الرابع و العشرين من رجب. و كان من أعيان الأمراء، و كان فقيها أديبا شاعرا.

و توفّى الوزير الصاحب أمين الدين أمين الملك أبو سعيد عبد اللّه بن تاج الرّياسة ابن الغنّام تحت العقوبة مخنوقا فى يوم الجمعة رابع جمادى الأولى، و وزر ثلاث مرّات بالديار المصريّة، و باشر نظر الدولة و استيفاء الصحبة، و خدم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۲۶

فى بيت السلطان من الأيام الأشرفيّة، و تنقّل فى عدّة خدم بمصر و دمشق و طرابلس نصرانيّا و مسلما. و لمّا أسلم حسن إسلامه و تجنّب النصارى، و كان رضىّ الخلق.

و توفّى العلّامة افتخار الدين جابر بن محمد بن محمد الخوارزمىّ الحنفىّ شيخ الجاولية بالكبش خارج القاهرة فى يوم الخميس سادس عشر المحرم، و كان إماما عالما بارعا فى النحو و اللغة شاعرا أديبا مفوّها.

و توفّى القاضى عزّ الدين عبد الرحيم بن نور الدين علىّ بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن محمد بن الفرات أحد نوّاب الحكم الحنفيّة فى ليلة الجمعة ثانى عشرين ذى الحجة، و كان فقيها محدثا.

و توفّى الأمير الكبير شمس الدين قراسنقر المنصورىّ ببلاد مراغة، و قد أقطعه إيّاها بو سعيد بن خربندا ملك التتار بمرض الإسهال. و

قد أعيا الملك الناصر قتله، و بعث إليه كثيرا من الفداوية بحيث قتل بسببه نحو مائة و أربعة و عشرين فداويّا ممن كان يتوجّه لقتله فيمسك و يقتل. فلما بلغ السلطان موته قال: و اللّه ما كنت أشتهى موته إلّا من تحت سيفى، و أكون قد قدرت عليه.

قلت: و قد مرّ ذكر موت قراسنقر قبل هذا التاريخ. و لكن الظاهر لى أن الأصحّ المذكور هنا الآن من قرائن ظهرت.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۲۷

و توفّى الأمير سيف الدين بن الحاج قطز بن عبد اللّه الظاهرىّ أحد أمراء الطّبلخاناه بالديار المصرية، و هو آخر من بقى من مماليك الظاهر بيبرس البندقدارىّ من الأمراء.

و توفّى الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن يوسف المزّىّ الشافعىّ أخو الحافظ جمال الدين المزّى لأبيه فى يوم الثلاثاء ثالث شهر رمضان.

و توفّى الشيخ المعتقد عزّ الدين عبد المؤمن بن قطب الدين أبى طالب عبد الرحمن بن محمد بن الكمال أبى القاسم عمر بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الحسن المعروف بابن العجمىّ الحلبىّ الشافعىّ بمصر. كان تزهّد بعد الرياسة، و حج ماشيا من دمشق و جاور بمكة، و كان لا يقبل لأحد شيئا، بل كان يقتات من وقف أبيه بحلب، و كان له مكارم و صدقات و شعر جيّد.

و توفّى الأمير سيف الدين تنكز بن عبد اللّه الحسامىّ الناصرىّ نائب الشام.

كان أصله من مماليك الملك المنصور حسام الدين لاچين. فلمّا قتل لاچين صار من خاصّكيّة الناصر، و شهد معه وقعة وادى الخازندار ثم وقعة شقحب، ثم توجّه مع الناصر إلى الكرك. فلما تسلطن الملك الناصر ثالث مرة رقّاه حتى ولّاه نيابة الشام، فطالت مدّته إلى أن قبض عليه السلطان الملك الناصر فى هذه السنة، و قتله بثغر الإسكندرية. و قد مرّ من ذكر تنكز فى ترجمة الملك الناصر الثالثة ما فيه كفاية عن الإعادة هنا؛ لأنّ غالب ترجمة الملك الناصر و أفعاله كانت مختلطة مع أفعال تنكز لكثرة قدومه إلى القاهرة و خصوصيّته عند الناصر من أوّل ترجمته إلى آخرها إلى جين قبض عليه و حبسه. كل ذلك ذكرناه مفصّلا فى اليوم و الشهر، و ما وجد له

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۲۸

من الأموال و الأملاك. كلّ ذلك فى أواخر ترجمة الملك الناصر. و لمّا ولى الأمير ألطنبغا الصالحىّ نيابة الشام بعد تنكز قال الشيخ صلاح الدين الصفدىّ فى تنكز المذكور أبياتا منها:

ألا هل لييلات تقضّت على الحمى تعود بوعد للسرور منجّز

ليال إذا رام المبالغ وصفها يشبّهها حسنا بأيام تنكز

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع إحدى عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و تسع عشرة إصبعا. و اللّه تعالى أعلم.

*** انتهى الجزء التاسع من النجوم الزاهرة، و يليه الجزء العاشر، و أوّله: ذكر ولاية الملك المنصور أبى بكر ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون على مصر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۲۹

*** تنبيه: التعليقات الخاصة بالأماكن الأثرية و المدن و القرى القديمة و غيرها مع تحديد مواضعها من وضع حضرة الأستاذ العالم الجليل محمد رمزى بك المفتش السابق بوزارة المالية و عضو المجلس الأعلى لإدارة حفظ الآثار العربية. كالتعليقات السابقة فى الأجزاء الماضية. فنسدى إليه جزيل الشكر و نسأل اللّه جلّت قدرته أن يجزيه خير الجزاء عن خدمته للعلم و أهله.

*** ملاحظة: ورد فى ص ۲۸۱ س ۸ من الجزء الثامن من هذه الطبعة- قول ابن نباتة المصرى فى الملك المؤيد إسماعيل صاحب حماة-:

»

أفديه من ملك يكاتب عبده...

الخ» بفتح الهمزة و سكون الفاء من كلمة «أفديه». و بكسر اللام من كلمة «ملك».

و هذا الضبط قد صرف البيت من بحر الطويل إلى بحر الكامل. و صوابه:

«أفدّيه من ملك يكاتب عبده». و رواية ديوان ابن نباتة:

«فديتك من ملك يكاتب عبده»

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۳۰

استدراكات

اشارة

لحضرة الأستاذ الجليل محمد رمزى بك، مع ملاحظة أن الاستدراكات الخاصة بالأجزاء الثالث و الرابع و الخامس الواردة فى آخر الجزء السادس فى صفحة ۳۸۰ و ما بعدها من وضع حضرته أيضا.

باب سعادة

سبق أن ذكرت فى تعليقاتى بصفحة ۲۸۰ من الجزء السابع من هذه الطبعة ما يفيد أن باب سعادة أحد أبواب القاهرة القديمة من سورها الغربى كان واقعا فى مكان الباب الغربى للطرقة الفاصلة بين محكمة الاستئناف و بين محافظة مصر بميدان باب الخلق. و الصحيح أن باب سعادة كان واقعا فى نفس الوجهة الغربية لمبنى محكمة الاستئناف على بعد عشرة أمتار من شمال الباب الغربى للمحكمة المذكورة.

و كانت الطريق التى توصل من هذا الباب إلى داخل المدينة تسير إلى الشرق فى القسم البحرى من مبنى محكمة الاستئناف حتى تتلاقى بمدخل شارع المنجلة، و هو امتداد الطريق التى لا تزال توصل إلى داخل مدينة القاهرة القديمة. و باقى الشرح الوارد بالجزء السابع صحيح.

حوض ابن هنس

ذكرت فى الحاشية رقم ۴ ص ۲۰۶ من هذا الجزء أن حوض ابن هنس كان واقعا بشارع الحلمية على رأس شارع الهامى باشا، بناء على ما ورد فى كتاب الخطط التوفيقية. و بعد طبع هذه الحاشية رأيت فى خطط المقريزى عند كلامه على حمام الأمير سيف الدين ألدود الجاشنكيرى (ص ۸۵ ج ۲) أن هذا الحمام فى الشارع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۳۱

المسلوك خارج باب زويلة تجاه زقاق خان حلب بجوار حوض سعد الدين مسعود ابن هنس. و من هذا يتضح أن هذا الحوض كان بجوار الحمام المذكور.

و بالبحث تبين لى: أوّلا- أن حمام الأمير سيف الدين ألدود لا يزال قائما و يعرف اليوم بحمام الدّود بشارع محمد على عند تقابله بشارع السروجية، و كان باب الحمام يفتح قديما على الشارع المسلوك خارج باب زويلة، و كان بجواره حوض ابن هنس يقع على نفس الشارع فيما بين مدخلى شارع السروجية و شارع الحلمية الآن. ثانيا- أنه لما اختطت الحكومة شارع محمد على و فتحته فى سنة

۱۸۷۳ دخل فى طريقه القسم الغربى من الحمام بما فيه الباب الأصلى، و دخلت فيه أيضا الأرض التى كان عليها الحوض، و بذلك زال أثره، ثم فتح للحمام باب جديد هو بابه الحالى الذى فى شارع محمد على.

و من هذا يعلم أن حوض ابن هنس كان واقعا فى محور شارع محمد على غربى المنزل المجاور لحمام ألدود من الجهة البحرية و فى تجاه مدخل شارع على باشا إبراهيم بالقاهرة.

مسجد الأمير بكتوت الخازندار

ذكرت فى الحاشية رقم ۵ ص ۲۱۹ من هذا الجزء أن هذا المسجد هو الذى يعرف اليوم بجامع البلك ببولاق، اعتمادا على الرخامة التى أخرجتها إدارة حفظ الآثار العربية من بين أنقاض هذا الجامع الخرب، و نقش على تلك الرخامة إنشاء الأمير بكتوت لمسجده فى سنة ۷۰۹ ه. و بعد طبع هذه الحاشية تصادف أن اطلعت على كتاب وقف رضوان بك الفقارى المحرر فى ۸ ربيع الأوّل سنة ۱۰۵۳ ه فعلمت منه أن وقف البدرى بكتوت و هو الأمير بكتوت المذكور كان واقعا خارج باب زويلة بالخضريين على يسار السالك طالبا سوق سفل الربع الظاهرى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۳۲

و بما أن المؤلف ذكر أن المسجد الذى أنشأه بكتوت يقع خارج باب رويلة فلا بدّ أن يكون قريبا من وقف رضوان بك المذكور. و بالبحث عن هذا المسجد خارج باب زويلة تبين لى أنه قد زال و ليس له أثر اليوم، بدليل أن اللوحة الرخام التى كانت على بابه نقلت من عهد قديم إلى جامع البلك ببولاق ثم إلى دار الآثار العربية بميدان باب الخلق بالقاهرة.

دار الأمير آقوش الموصلى

ذكر المؤلف فى صفحة ۹۴ من هذا الجزء كما ذكر المقريزى فى (ص ۳۰۷ ج ۲) أن هذه الدار هدمت و دخلت فى جامع الأمير قوصون الناصرى. و قد كتبنا على تلك الحاشية رقم ۳ من هذه الصفحة. و هذه الحاشية ملغاة و لا لزوم لها.

مدارس و جوامع أخرى

يلاحظ القارئ أن مؤلف هذا الكتاب قد خص الملك الناصر محمد بن قلاوون بذكر ما أنشئ فى عصره من العمارات و المنافع العامة على اختلاف أنواعها، سواء أكانت من إنشائه خاصة أم من إنشاء رجال دولته، و مع ذلك فإن المؤلف ترك بعض المساجد مما لا يقل شأنا عما ذكره. لهذا رأيت إتماما للفائدة من هذا الحصر أن أذكر طائفة مما تركه المؤلف من الجوامع و المدارس التى هى من منشآت عصر الملك الناصر فى القاهرة. و هى:

(۱) المدرسة القراسنقرية. أنشأها الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى نائب السلطنة سنة ۷۰۰ ه (المقريزى ص ۳۸۸ ج ۲). و مكانها اليوم مدرسة الجمالية الابتدائية بشارع الجمالية بقسم الجمالية.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۳۳

(۲) المدرسة السعدية. أنشأها الأمير شمس الدين سنقر السعدى نقيب المماليك السلطانية فى سنة ۷۱۵ ه (المقريزى ص ۳۹۷ ج ۲). و لا تزال قائمة إلى اليوم بشارع السيوفية، و كانت مستعملة أخيرا تكية للمولوية بقسم الخليفة.

(۳) المدرسة المهمندارية. أنشأها الأمير شهاب الدين أحمد بن آقوش العزيزى المهمندار و نقيب الجيوش فى سنة ۷۲۵ ه (المقريزى ص ۳۹۹ ج ۲).

و لا تزال قائمة إلى اليوم باسم جامع المهمندار بشارع التبانة بقسم الدرب الأحمر.

(۴) المدرسة الملكية. أنشأها الأمير الحاج سيف الدين آل ملك الجوكندار الناصرى فى سنة ۷۱۹ ه، كما هو ثابت بالنقش على بابها، و ذكرها المقريزى فى خططه (ص ۳۹۲ ج ۲). و لا تزال قائمة إلى اليوم باسم جامع الجوكندار بشارع أم الغلام بقسم الجمالية بالقاهرة. و تسميه العامة زاوية حالومة، و هو رجل مغربى طالت خدمته لهذا المسجد فعرف به.

(۵) جامع ابن غازى. أنشأه نجم الدين بن غازى دلال المماليك فى سنة ۷۴۱ ه (المقريزى ص ۳۱۳ ج ۲). و مكانه اليوم الجامع المعروف بجامع الشيخ نصر بشارع درب نصر ببولاق.

(۶) جامع ابن صارم. أنشأه محمد بن صارم شيخ بولاق. ذكره المقريزى (ص ۳۲۵ ج ۲)، و لم يذكر تاريخ إنشائه، و لكن إبراهيم بن مغلطاى ذكره فى منشآت عصر الملك الناصر محمد بن قلاوون. و مكانه اليوم الجامع المعروف بجامع الشيخ عطية بدرب نصر ببولاق.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۹، ص: ۳۳۴

(۷) جامع الشيخ مسعود. ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على سويقة العياطين (ص ۱۰۷ ج ۲) فقال: إن الذى أنشأه هو الشيخ مسعود بن محمد بن سالم العياط فى سنة ۷۲۸ ه. و لا يزال هذا المسجد قائما إلى اليوم باسم جامع الشيخ مسعود بعطفة الشيخ مسعود بدرب الأقماعية بقسم باب الشعرية.

(۸) جامع فلك الدين فلك شاه. يستفاد مما هو منقوش فى لوح من الرخام مثبت بأعلى محراب هذا المسجد أن الذى أنشأه هو الأمير فلك الدين فلك شاه بن دادا البغدادى فى سنة ۷۲۰ ه. و من هذا التاريخ يتبين أنه من منشآت عصر الملك الناصر محمد بن قلاوون. و لا يزال هذا الجامع موجودا، و يعرف بجامع الجنيد بشارع الدوب الجديد بقسم السيدة زينب، و ينسب إلى الشيخ على الجنيد المدفون فيه.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم

الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّـُبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّـُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹